جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر

دراسات في التنمية والمجتمع

مجلة دولية محكمة يصدرها
مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر
جامعة حسيبة بن بو علي – الشلف

Revue du Laboratoire de Société & Problèmes
du Développement Local en Algérie

العدد الثاني – جوان 2015

دار التل للطباعة

رقم الإيداع: 2014–4343
ISSN 2437-0436

مجلة دراسات في التنمية والمجتمع

مجلة دولية محكمة يصدرها
مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر
جامعة حسيبة بن بو علي – الشلف

العدد الثاني – جوان 2015

الهيئة الإدارية

مدير المجلة المسئول عن النشر : د. تقية محمد المهدي حسان
رئيس هيئة التحرير / د. ضامر وليد عبد الرحمن
نائب رئيس التحرير/ د. بوبكر جيلالي
اعضاء هيئة التحرير
د. زيان محمد
د. يخلف رفيقة
أ. قرينات العلجة

اعضاء الهيئة العلمية لمجلة دراسات في التنمية والمجتمع	
أ.د. عبد الوهاب جودة الحايس	جامعة السلطان قابوس / سلطنة عمان
ا.د. محمد الدقس	الجامعة الاردنية / الاردن
أ.د.فاتن مبارك	جامعة صفاقس/ تونس
أ.د. فيصل بن عبد الله الرويس	جامعة شقرا / السعودية
أ.د. حسان الباهي	جامعة ابن طفيل / المغرب
ا.د بوعرفة عبد القادر	حامعة وهران السانيا / الجزائر
أ.د. بو كرلدة الزواوي	حامعة وهران السانيا/ الجزائر
أ.د. دهوم عبد المجيد	جامعة الجزائر 2/ الجزائر
أ.د. زمام نور الدين	جامعة بسكرة/ الجزائر
ا.د الهاشمي مقراني	جامعة الجزائر 2/ الجزائر
ا.د. شريف زهرة	جامعة الجزائر 2/ الجزائر
ا.د. بشير محمد	جامعة تلمسان / الجزائر
ا.د.رفقيه العيد	جامعة تلمسان/ الجزائر
ا.د. بوكربوط عز الدين	جامعة الجلفة / الجزائر
د. كويحل فاروق	جامعة البليدة 2/ الجزائر
ا.د. ماهر فرحان مرعب	جامعة قالمة / الجزائر
د. سعداوي زهرة	جامعة شلف / الجزائر

قواعد النشر

1. تنشر المجلة الابحاث باللغة العربية والفرنسية والإنكليزية

2. ان يكون الموضوع ضمن أحد محاور التنمية (الاجتماعية السياسية، الاقتصادية)

3. ان لا يتجاوز عدد صفحات المقال 25 صفحة كحد اقصى.

4. يُشترط أن لا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نُشرت أو أُرسلت للنشر في مجلات أخرى.

5 . تخضع المواد الواردة لتحكيم اللجنة العلمية للمجلة ولا تعاد المواد المعتذر عن نشرها إلى أصحابها.

6. يجري إعلام الكاتب بقرار اللجنة الاستشارية خلال شهرين من تاريخ تسليم النص.

7. تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة المجازة وفق خطة التحرير.

8 .تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simplified Arabic مقاسه 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Gras 16 Simplified Arabic، العناوين الفرعية Simplified Arabic 14 Gras، أما الفرنسية أو الانجليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.

9. التهميش والإحالات بطريقة الية Note de fin على أن تعرض في نهاية المقال وفق الترتيب التالي : المؤلف، عنوان الكتاب أو ألمقال عنوان المجلة أو المؤتمر، الناشـر، البلـد ، ألطبعة ألسنة و الصفحة.

11. ان يرفق المقال بملخص باللغة الانكليزية.

12. ترسل المقالات عير البريد الالكتروني : developmentr@yahoo.com

أو revudevelopment@gamil.com

للاتصال:

الهاتف: 21 71 72 27 213+

فهرس العدد

تصور و ممارسة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري بين الفضاء الالكتروني و الممارسة الواقعية	د/ بيبيمون كلثوم،	07
التجربة التنموية في تونس الإشكالات والأفاق	د.فاتن مبارك	41
واقع التنمية الاجتماعية الاقتصادية للمرأة في المجتمع الجزائري	د/ سعداوي زهرة	53
تنمية قدرات الحواس لدى الافراد المعاقين بصريا	د. ضامر وليد عبد الرحمن	71
ظروف بروز الحركات العمالية في الجزائر (1880- 1956)	د. زبيري حسين	83
الرضاعة الطبيعية بين القران الكريم و العلم	ا .د. عميرة جويدة	99
استحالة التنمية الاقتصادية دون تنمية بشرية	د/ حسن عالير	107
التنمية البيئية في المناهج المدرسية قراءة تحليلية لكتب التربية المدنية للتعليم الابتدائي	د. بوشيخاوي اسمهان أ. سوالمية نوريـة	125
الأسس الفلسفية والاجتماعية لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات	د.بوبكر جيلالي	145
المجال الخطابي داخل الأسرة بين عنف اللغة و ديمقراطية السوق	كريم محمد بن يمينة	167
دور المعالم الأثرية في إرساء التنمية بالجزائر.	بن زغادي محمد،	191
ظاهرة الإرهاب وانتهاكات حقوق الإنسان بعد عام 2001	أ.م. د . هالة خالد حميد، أ.م. د. قاسم محمد عبد،	201
المعوقات الثقافية لمساهمة المرأة الجزائرية في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية	أ. لحول فايزة أ. جمعي فاطمة الزهراء	215
تأثير المخدرات على العلاقات الاجتماعية عند المراهق	أ. سعيد زيوش	227

افتتاحية العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين

ان صدور العدد الثاني من مجلة دراسات في التنمية والمجتمع يمثل نتيجة لستمرارية للنشاط العلمي للمجلة ، بهيئتيها العلمية والإدارية ، ولاستمرار للنشاط العلمي لمخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية .

لقد جاء العدد الثاني مؤكدًا للمشروع العلمي للمجلة والمخبر ، من خلال تركيز مواضيع البحث حول دراسات في التنمية ، باتجاهاتها الرئيسية الثلاث وهي السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهو ما انعكس في النتاج والمقالات العلمية التي تضمنها العدد الثاني ، حيث تنوعت المقالات في اتجاهات مختلفة ومناهج بحث مختلفة ، على المستوى التطبيقي والمعرفي ، فقد تضمنت هذه المقالات مقاربات مايكرو ومكرو سسيولوجية ، وهو ما يعكس اتجاهات فكرية مختلفة حاولت ان تصب في موضوع التنمية .

وتأكيدا منا على مصداقية المجلة وترقيتها الى مجلة دولية محكمة ، فقد تضمن العدد الاول والثاني مقالات لباحثين من خارج الجزائر ، وكانت في مجملها تصب عند موضوع التنمية ، هذا إضافة إلى مقالات متنوعة من مختلف الجامعات ومخابر البحث الجزائرية.

اننا نعى بشكل كبير مدى اهمية موضوع المجلة العلمية ، وهو ما تطلب من هيئة التحرير السهر على خروج اعداد المجلة بالشكل المطلوب ، فموضوع التنمية وخاصة في الدول النامية يعتبر الموضوع الاستراتيجي الذي تجند له الامكانيات المادية والمعنوية .فهو السبيل للرقي بالفرد والمجتمع .

وفي الختام لا يسعنا كهيئة تحرير الا ان نقدم كل ايات الشكر والعرفان للسيد رئيس المخبر الدكتور تقية محمد المهدي وكل اعضاء المخبر على دعمهم المتواصل لهيئة التحرير.

د. ضامر وليد عبد الرحمن

رئيس هيئة التحرير

تصور و ممارسة الهوية الثقافية لدى الشباب الجزائري بين الفضاء الالكتروني و الممارسة الواقعية

دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعي مستخدمي شبكة التواصل الاجتماعي «الفايس بوك» باتنة نموذجا

Imagine and practice cultural identity among Algerian youth between cyberspace and realism practice

Empirical Study of a sample university students, social network «Facebook page.» Batna communication users model

د/ بيبيمون كلثوم، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر

الملخص

تتناول هذه الدراسة تأثير شبكة التواصل الاجتماعي من خلال واحد من اهم ابعادها وهو تأثيرها في الهوية الثقافية لمستخدمي هذه الشبكة من خلال عملية الاتصال مع الاخر اذ ان المستخدم يميل الى تقمص عذة هويات اثناء عملية الاتصال بالمقارنة مع الممارسة الواقعية لسلوك المواطنة .

Abstract

This study deals with the influence of social media net through one of the most important dimensions which impact on the cultural identity of the users in the network through the communication process with the other as the user tends to be the reincarnation of several identities during the connection process compared with the real practice of citizenship behavior.

مقدمة :

أسهم التقدم التقني و نمو شبكة الاتصالات الرقمية في دعم التدفق السريع للمعلومات و تفعيل أنماط الاتصال و التبادل بين الشعوب التي أصبحت تتفاعل في ظل «مجتمعات شبكية ذات صبغة افتراضية عززت أنماط التواصل الشخصي و سرعت من وتيرة عملية التثاقف بين الأمم، الأمر الذي ساهم في انتشار تصورات، ممارسات و رموز ثقافية جديدة، و جعل مفهوم الثقافة محل استقطاب واسع بل محور النقاش الحضاري، لذاكان من الطبيعي أن يشهد مضمون الهوية الثقافية ديناميكية حقيقية بفعل تنوع النماذج الثقافية المطروحة من جهة، و الاقتناع بان الهوية تعكس عناصر ثقافة ما و تؤسس مواقف الإنسانية من رموزها و مقدساتها التي تعبر من خلالها عن خصوصيتها الثقافية و انتمائها الحضاري .

لهذا يواجه مفهوم الهوية الثقافية رهانات حقيقية، خاصة في ظل التحديات الراهنة التي أضحى تأثيرها بارزا للعيان سواءا بالنسبة لمجتمعاتنا العربية أو مجتمعنا الجزائري، حيث أبدت معظمها انشغالها و تخوفها من الانعكاسات السلبية التي قد تنجر عن ذلك والتي يصعب تقديرها، رغم اعترافها الصريح بأهمية الانفتاح الثقافي و الإعلامي في ظل الكونية في دفع عجلة النمو و توسيع أفاق التبادل التقني المعرفي، إلا أن ذلك لا يعني تجاهل حقيقة التوزع غير متكافئ للقوى و تزايد الهوة بين الشمال و الجنوب، الأمر الذي يجعلها في الغالب في موقع المتأثر لا المؤثر، خاصة بالنسبة للشباب الذي يمثل جيل الغد و تعتبر علاقته بهويته الثقافية رهان حقيقي و مطلب استراتيجي في ظل الثورة الثقافية الآنية. ويقول احد الباحثين في هذا الصدد :

« ما يزيد من فعالية هذه الثقافة المعولمة، أن التبادل الثقافي الحالي هو تبادل غير متكافئ بين ثقافات متقدمة تملك إمكانيات واسعة و ثقافات تقليدية لا تزال أدواتها الموروثة التاريخية هي ذاتها، وبهذا يكون الحاصل غزوا و استتباعا ثقافيا، بل هيمنة احتوائية أكثر منها عملية تثاقف أو تبادل ثقافي وبهذا تصبح ثقافة العولمة فعل اغتصاب ثقافي و عدواني رمزي على سائر الثقافات ..» [1]

لقد ساهم التحالف بين التقنية و الثقافة في تعميق الهوة، حيث بدا عجز الاستراتيجيات الدفاعية التقليدية في الحفاظ على الهوية المحلية بفعل تراخي دور المؤسسات التنشئوية التقليدية التي ظلت تشرف لعقود على عملية نقل التراث الثقافي و دعم القيم الثقافية الأصيلة المؤسسة لمضمون الهوية، لكنها اليوم بدأت تفقد آليات المتابعة و التوجيه، وقدرتها على استقطاب فئة الشباب الذين أضحت هوياتهم الثقافية تبنى ضمن سياقات عالمية لا محدودة بفعل تأثير شبكات التواصل الاجتماعي و الرقمي التي أعطتها دلالات جديدة أوسع من الفضاءات التقليدية سواءا الأسرية، الجمعاتية، المحلية ...، التي تميزت بعمق

تأثيرها و قدرتها على استقطاب عقول الشباب نتيجة اعتمادها على التقنيات الرقمية التي تيسر إمكانية تصفح، نقل و تخزين النصوص المقروءة و المرئية، سهولة عرضها و تعديلها، كما أن نمط تأثيرها يكمن في تجاوزها حدود المكان و الزمان لأن الاتصال في ظلها يتخذ طابعا شخصيا لا جمعيا يتجاوز نسقية المكان و الزمان و يتعامل مع الأفراد كذوات مستهلكة لمجموعة من الوسائل، و متفاعلة في فضاء لا محدود يجمع بين العالمين الافتراضي و الواقعي، فتغطى حاجاتهم الذاتية لتبث عبرها قيم جديدة لثقافة وافدة مغايرة للثقافة المحلية.

و يذكر **مانويل كاستيل** في هذا الصدد «ان تكنولوجيا الاتصال و المعلومات (TIC) و تبدل الرأسمالية العالمية، أصبحنا نعيش تنازع قوتين من أجل تحوير العالم و حياتنا هما : العولمة و الهوية، لقد خلقت ثورة تكنولوجيا الإعلام و إعادة إنبناء الرأسمالية نمطا جديدا من المجتمع، انه مجتمع الشبكات ...تخترقه الثقافة الافتراضية الواقعية ...و يكون فضاء تدفقات، و زمنا غير زمني، تعبر كلها عن أنشطة مهيمنة و نخب مسيّرة، لكن ترافقها في الان نفسه تظاهرات قوية لهويات جماعية تأتي متحدية العولمة و المواطنية العالمية باسم الخصوصية الثقافية و مراقبة الأفراد لحياتهم و بيئتهم»[2].

على ضوء ما سبق يبدو أن مضمون الهوية الثقافية و خاصة بالنسبة للشباب يعرف عمليات تنميط فعلية مادتها ذوات الأفراد التي أضحت تخضع لعملية نمذجة في ظل المجتمع الكوني، وعليه يجد شباب اليوم أنفسهم محاطون بنماذج ثقافية متنوعة تجعهم في صراع دائم بين ثقافة أصيلة يسعون للحفاظ عليها و أخرى وافدة قد تعزلهم أو تهيمن عليهم، لتنعكس مباشرة على مضامين الهوية، ممارساتهم، مواقفهم و تصوراتهم من قضاياهم المجتمعية، رموزهم اللغوية، توجهاتهم القيمية و حتى تطلعاتهم لأدوارهم الحضارية.

لمناقشة حيثيات هذا الموضوع ارتأينا طرح التساؤلات الآتية ومن ثمة ترجمتها على شكل محاور بحثية :

فيا ترى ما الذي يؤسس الهوية الثقافية في ظل المجتمعات الكونية ؟ وهل الهوية تنشأ أم تبنى ؟ ما هي العناصر الموجهة لمضامينها ؟ و كيف تتمظهر الهوية الالكترونية لدى الشباب الجزائري عبر شبكة التواصل الاجتماعي «فايس بوك» ؟ و ما هي انعكاساتها على تصوراتهم و ممارساتهم «الهوياتية في الواقع الاجتماعي ؟

1-ماهية الهوية الثقافية في ظل تحديات التنوع الثقافي و الانفتاح الإعلامي :

حتى نعطي الموضوع حقه من حيث الطرح المعرفي و المقاربة السوسيولوجية الجادة ارتأينا الانطلاق من ضبط مفهوم «الهوية»، ليغننا ذلك عن الدخول في متاهات التأويلات المتعارضة، حول مضامينها خاصة أن الموضوع لطالما كان و لازال محور نقاش فكري وسياسي متجدد، لا يكاد ينفصل عن رهانات الأدلجة التي تتعرض لها الثقافة باعتبارها جوهر الهوية، بالإضافة إلى ما تشهده هذه الأخيرة من تنوع و تشظي بفعل تسارع و تيرة التدفق المعرفي، التقني و التواصل الثقافي بكل ما يحمله من هواجس حول تآكل عناصرها الأساسية بدءا باللغة التي تعرف بروز نماذج لغوية هجينة من لغات أخرى، تعارض أو غموض المواقف و الاتجاهات بشان القيم الدينية، الرموز، المقدسات، السلوكات... وغيرها من العناصر التي تؤسس مضمون الهوية الثقافية و تعكس تفردها من حيث علاقة الإنسان بذاته، بالأخر، ببيئته و انتماءه الحضاري .

فما الذي يؤسس الهوية ؟هل هي ثابتة ام متغيرة ؟ هل تنشأ أم تبنى ؟ وما هي خواصها؟ خاصة في ظل تحديات العولمة ؟

أولا : مفهوم الهوية الثقافية :

فرضت كلمة الهوية نفسها في الفكر الفلسفي و الاجتماعي عموما، من خلال الإرث الأرسطي الذي حددها بمعنى الوجود على المستوى الأول وفي المستوى الثاني تدل على ما به يكون الشيء هو نفسه، أما الفرابي فذكر أن هوية الشيء عينه و تشخصه و خصوصيته ووجوده المنفرد له، أي الذي لا يقع فيه اشتراك [3] ويضيف ابن خلدون ليعبر عن مدلولها «لكل شيء طبيعة تخصه في ذاته « بمعنى تميزه وتشكل كينونته.

فالهوية الثقافية هي مجموع السمات الروحية و المادية و الفكرية و العاطفية المميزة لمجتمع ما،و هي أيضا : « مجموع السمات المعبرة عن الشعور بالانتماء لدى أفراد كيان اجتماعي معين، والوعي بخصوصيتهم المتمثلة في نسقهم القيمي، ورؤيتهم المتميزة للكون والإنسان، ورصيدهم المختزن من الخبرات المعرفية والتجارب والأنماط السلوكية، ونوعية تفاعلهم مع البعدين التاريخي والجغرافي كما تصوره مؤسساتهم الاجتماعية والسياسية [4].

فالهوية الثقافية بهذا المعنى تعبر عن كيان معنوي له مضمونه،حياته وحركته الدينامية التي تساعده على أن يتفاعل مع كيانات معنوية أخرى إيجابا أو سلبا، وأن ينمو بسرعة أو ببطء، وأن يواجه المستجدات المحيطة به بأساليب مختلفة تتناسب مع ما يميزه من العناصر المرجعية، ومن التعريفات المميزة للهوية الثقافية تعريف **محمد عابد الجابري** الذي لا يفصل

بين الثقافة و الهوية الثقافية بل يعتبرها انعكاسا لها ويعرفها بأنها :

«ذلك المركب المتجانس من الذكريات و التصورات و القيم و الرموز و التعبيرات و التطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية ...بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية و قابليتها للتواصل و الأخذ و العطاء، وهي بعبارة اخرى المعبر الاصيل عن الخصوصية التاريخية لامة من الامم عن نظرة هذه الأمة إلى الكون و الحياة والموت و الإنسان و مهامه وقدراته و حدوده، وما ينبغي ان يعمل وما لا ينبغي ان يامل» [5]

تؤكد هذه الأطروحات على العناصر الروحية و المادية المؤسسة للهوية و التي لا ينفصل تطورها عن علاقة المخلوق بالخالق و رسالته في الكون في ظل البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، في حين تعكس الأطروحات الحداثية توجهات الفكر الغربي الذي جعل الإنسان مركز الكون و العقل مصدر الحقيقة المطلقة التي لا جدال فيها، الأمر الذي جعل الإنسان المعاصر في شتات غير مدرك لذاته و لا لكينونته .

ثانيا: -خواصها : ما الذي يميزها :

* و إذا نزلنا منزل الطبيعة الإنسانية لوجدنا أن **الانتماء هو حاجة إنسانية** وميزة طبعت فيه. اذ وهبه الله تعالى طبيعة مميزة رغم تغير مواقع تواجده و البيئات الجغرافية و الدينية والاجتماعية و الحضارية ذات صبغة ثنائية روحية سامية و حيوانية غريزية،وكرمه بسمات راقية و فضله عن باقي الكائنات [6].
* إن الكائن الإنساني بطبيعته الاجتماعية **ينتمي إلى مكونات متعددة** من حيث الولادة والسكن و البيئة و العرق و الدين والى غيره من أمور و على اثر ذلك توزعت البشرية إلى أمم و شعوب [7].
* تعتبر الهوية **مصدرا أساسيا للانتماء و الاختلاف** معا فهي تعكس تفرد الذات، كينونتها وانتسابها من جهة و من جهة أخرى، تكون بتميزها أساسا للاختلاف مع الآخر.
* تتميز الهوية **بالثبات و الدينامية** في نفس الوقت، هي نقطة تستوجب التحليل فإذا كانت الهوية ثابتة فما المتغير فيها، في الواقع تحمل الهوية عناصر مرجعية ثابتة و عناصر مكتسبة دينامية تسمح بنموها استنادا إلى العناصر المرجعية المؤسسة لها .
* **تعدد و تنوع** العناصر المشكلة لها أهمها : الدين، القيم، اللغة، التاريخ، التراث الثقافي، المعرفة، ومجمل الخبرات الإنسانية ..الخ، فالتنوع و التعدد هو سنة الله في خلقه
* تتميز الهوية **بالانسجام** فعناصرها في توافق و تكامل دائمين، تكامل لا يعني انغلاقها العضوي على ذاتها و إنما.يضفى عليها طابعها الإنساني الكوني

* تتميز الهوية **بالنمو** و **الاستمرارية** . ويقول **الجابري** في هذا الصدد « الهوية الثقافية كيان يصير ويتطور، وليست معطى جاهزا و نهائيا، هي تصير و تتطور، إما في اتجاه الانكماش و إما في اتجاه الانتشار،و هي تغتني بتجارب أهلها و معاناتهم، انتصاراتهم و تطلعاتهم، وأيضا باحتكاكهم سلبا و إيجابا مع الهويات لثقافية الأخرى [8].فهويتنا الثقافية تشكلت عبر التاريخ و لازالت قيد التشكل و البناء .
* لا يمكننا التحدث عن الذات الإنسانية إلا بانتماء الفرد إلى الجماعة التي تستلزم شغل ادوار معينة ومعايشة مواقف تفاعلية مختلفة، ومنه إنشاء روابط تتطلب التزامات اجتماعية مختلفة تسمح جميعها باكتساب خبرات جديدة تساهم في نموها[9].فهي محصلة التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد و المحيط الاجتماعي الذي يتفاعلون في ظله فهي نسق مفتوح.
* الهوية تُنشأ و تبنى في نفس الوقت، بمعنى أن دلالة الهوية تتعلق بهذه الثنائية فتنمو وتتشكل في إطار جدلية الأنا و الأخر.

ولكي تتضح جوهر عملية نمو الهوية يجدر بنا الغوص في طبيعة العقل البشري التي تتلقى العالم من حولها بإيجابية، فالعقل البشري عقل توليدي يبقي و يستبعد و يهمش، وعليه يؤكد المفكر العربي **عبد الوهاب المسيري** أزمة النموذج الإدراكي في عقل الإنسان المسلم في مؤلفه « **الهوية و الحركية الإسلامية** فيقول في ذلك : « تتم عملية الإبقاء و الاستبعاد والتهميش حسب نموذج إدراكي يشكل هوية الإنسان باعتبارها طريقة للرؤية، و هذا غاب كثيرا، و النموذج كما أسلفت هو صورة في العقل مكونة من عناصر تدخل في علاقة يرى الإنسان أنها تشكل أجزاء الواقع في علاقتها و ما حدث بالنسبة ألينا أن النماذج الغربية اقتحمتنا تماما فأصبحنا نرى أنفسنا بعيون غريبة من دون ان ندرك ذلك [10].

ثالثا: أي دلالة للهوية الثقافية في ظل رهانات العولمة :

يبدو من خواص الهوية الثقافية أن مناقشة دلالة المفهوم لا تنفصل عن خصوصية تركيبتها، اجتماعية الذات الإنسانية وما يحيط بها من تغيرات، فالاقتناع بحجم الرهانات المحيطة بها يمهد لنا الطريق لإدراك ضرورة الخروج من منزلقات ضبط مضامينها و دلالتها للحكم عليها بالسلب او الإيجاب[11]، الأمر الذي يغنينا عن الخوض في إشكاليات تشتت وجهتنا و تجزيء وجهة نظرنا لتحيد بنا عن المبتغى وهو الارتقاء بإنسانية الإنسان خليفة الله في الأرض.

لأن المسعى المطلوب هو بحث سبل تفعيلها ودعم إستمراريتها و مساءلة قدرتها على الحفاظ على كينونتها و انفتاحها على الآخر، خاصة أن هوية إنسان اليوم مهددة على جميع

مستوياتها من المستوى البيولوجي إلى الحضاري، تواجه رهانات العدمية الناتجة عن تعالي موجة العولمة بقيمها الحداثية الساعية لإعادة تشكيل الإنسان وفق مقاييسها لتحقق لها اكبر قدر من الهيمنة، موظفة في ذلك رغبة الإنسان الجامحة لتحقيق الانتشار و السيطرة لصالح قيمها المادية، النفعية، الفردانية، و التنافسية جاعلة منه وسيلة لخدمة أهدافها الاقتصادية لتهمين فكرة التسليع و الاستهلاك على جميع مظاهر الحياة الإنسانية بما فيها قيم الإنسان ذاته، لتسقط بذلك البعد الغائي من الحياة و الكون، وتجعل الانسان متمركزا حول ذاته يدور في عدمية مطلقة .

لقوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض فأبين أن يحملنها و اشفقن منها و حملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا «سورة الأحزاب الآية 72

ولتحقق المزيد من الانتشار فهي تميل إلى قهر المتعدد و المتنوع لتقوده إلى النموذج فتتمكن من صياغة حاجاته لتنجح في توجيهها و التحكم فيها، فالعولمة كظاهرة حضارية تقود الإنسان باستخدام وسائل الإعلام و الوسائط الرقمية المتعددة التي روجت لسلاح أكثر فتكا وهو «ثقافة الصورة»، حيث تلجا إلى توظيف الصورة لتقويض الكلمة و التحكم في دلالاتها و معناها باعتبارها الأكثر نفوذا إلى الأخر، بل لجأت عبرها إلى تفعيل آليات التسطيح الثقافي عبر الترويج لدلالات و قيم جديدة من خلال الرسائل التي تحملها الصورة المتكررة و التي تتوجه إلى مخاطبة اللاوعي بدلا من الوعي، فتطمس الكلمة وتشوه التاريخ، تسيطر على الحس و تعطل الملكات الأخرى التي تساعد الإنسان على تمييز ما حوله و إدراك ما يخفيه المعطى الفيزيقي، وبالتالي تنجح في تنميط المخيال ومن ثم الوجدان فتشوه القيم الأصيلة لتبث منظومة قيمية جديدة عبر الفن و الجمال، الأدب... الخ، بدعوى التحديث، التقدم و التحرر...الخ

و قوله سبحانه و تعالى اصدق تعبير على هذه الوضعية :

«**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** « الاية 7 سورة الروم، «و قوله : «**لقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و الإنس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها أولائك كالأنعام بل هم أضل أولائك هم الغافلون** «**الآية 179 سورة الأعراف** .

يقر الفيلسوف المغربي **طه عبد الرحمان** في كتابه «**روح الحداثة**» بتعقد ظاهرة العولمة ذات الأبعاد الكونية و التي ترتكز حسبه على مظاهر **التعقيل الآداتي للعالم** بما يجعله يتحول إلى مجال واحد من العلاقات بين المجتمعات و الأفراد عن طريق تحقيق سيطرات ثلاث «سيطرة الاقتصاد في حقل التنمية « و «سيطرة التقنية في حقل العلم «و سيطرة الشبكة في حقل الاتصال»، ومن الآفات التي تنتج حسبه عن سيطرة الشبكة في مجال الاتصال هو

الإخلال **بمبدأ التواصل** الذي يجمع بين مقتضى تناقل المعلومات و تجاوب الذوات [12]، و عليه فالعلاقات في ظل المجتمع الشبكي تؤسس لعلاقات إجرائية بين اطراف التواصل الذين يشتغلون بتناقل المعلومات و لا يبالون بتجاوب الذوات الإنسانية المتفاعلة، لدرجة ان صارت العلاقات في ظلها تتمظهر في شكل صور متداولة و عبارات مفككة، و بالتالي هويات الكترونية مختزلة في شكل ملفات قابلة للتعديل غيب فيها جوهر التعارف في العلاقات الانسانية .

إذن نحن نعيش في عصر لا يحارب عناصر الهوية في حد ذاتها، بل يحارب كيان الهوية عبر الذات، ليجعلها تعيش جدالا مستمرا حول مأسسة و جودها و تفردها، فنكون بهذا أمام هويات فردية مشتتة تعيش وهم الحرية، تشرف بنفسها على تنشئة ذاتها الكترونيا، وتشارك عبر تفاعلاتها الشخصية و تواصلها الافتراضي في إعادة نشر بل إنتاج تلك النماذج التي تلج من خلاله إلى العالم الواقعي ...

فهل شبابنا مدرك لهذه الحقيقة ؟ كيف هي علاقته بهويته ؟ هل يقف موقف المؤثر أم المتأثر ؟

2-العناصر الموجهة لمضمون الهوية الثقافية في ضوء الفكر الاجتماعي المعاصر :

لا نقصد من خلال الطرح السابق الإقرار بموت الهوية وهدر الإنسان، فالهوية أيا كانت هي ذات طبيعة دينامية في جوهرها لا يمكنها الركون إلى السكون وان كانت ترمي إلى تحقيق الاستقرار، فدائرة الهوية قد تبدأ من الفرد وتتسع إلى أن تشمل حضارة بأسرها، من هنا تطل علينا وجهة نظر علماء الاجتماع الذين يتفقون على ذلك، لكنهم عندما ناقشوا مسالة الهوية و العناصر الموجهة لها نظر إليها كل مفكر من زاويته الخاصة و منطلقاته النظرية .

فيذهب إميل **دوركايم** إلى القول بالعقل الجمعي الذي يعكس كيان المجتمع ويتجسد واقعيا في نظمه و ظواهره ليشكل روح الجماعة و هويتها، وعليه يرى دوركايم في الهوية كيان الجماعة، في المقابل ينظر باريتو الى الهوية من خلال مفهوم الرواسب الكامنة في الذات الإنسانية و التي تشكل في مجملها رواسب الجماعة، فإذا كانت هوية المجتمع بالنسبة لدوركايم تعكس معاني علوية تتجلى في قمة المجتمع، فإنها بالنسبة **لباريتو** تتاسسس من ذوات الأفراد [13].

يعكس ذلك بداية النقاش الفكري و بوادر الخلاف النظري حول الموضوع الذي استمر مع محاولات المعاصرين أمثال : **أنتوني جيدنز** الذي اقر أن مفهوم الهوية مفهوم متعدد الجوانب ويمكن قراءته من عدة زوايا لهذا يعتقد أن الهوية تتعلق بفهم الناس و تصورهم

لأنفسهم، ولما يعتقدون انه مهم في حياتهم، ويتشكل هذا الفهم انطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى و الدلالة « ويضيف «من مصادر الهوية الجنوسة و التوجه الجنسي و الجنسية، و المنطلقات الإثنية و الطبقية الاجتماعية « [14]

يعكس طرح جيدنز ملامح فكره البنياني او نظريته التركيبية التي يرنوا من خلالها الى تعزيز الذات و دورها في إعادة صياغة الهوية و تحديد دلالتها ومعانيها وفق معايير ذاتية مركزية تقوض سنن الفطرة و تتجاوز البعد الغائي من الحياة و الكون. ولتأكيد ذلك يقول : «إننا اليوم نتمتع بفرص غير مسبوقة لنصنع أنفسنا و نشكل هويتنا المتميزة، إن مواردنا تكمن في أعماق أنفسنا لتعريف أنفسنا، و لتحديد من أين أتينا و إلى أين سنتوجه، وقد غدت علامات الطريق التقليدية اقل بريقا و تأثيرا وضرورة، و أصبح العالم الاجتماعي يواجهنا بتشكيلة واسعة و محيرة من الخيارات و الإجابات عن هذه الأسئلة من دون أن يزودنا بأية إشارة لتحديد ما تؤثره من الخيارات، و يرغمنا العالم الحديث على ان نكتشف انفسنا و بفضل قدرتنا بوصفنا بشرا واعين لأنفسنا و مدركين لقدراتنا فاننا نخلق هوياتنا و نعيد خلقها على الدوام « [15]

تلكم هي النظرة التي تدافع عنها العولمة، تروج لها و تقتات منها ليستمر وجودها، يعيش الإنسان في ظلها وهم الحرية لكنه في الأصل لا ينفك أن يصبح وسيلة لها خاصة إذا تجاهل عن وعي أو لا وعي منطلقاته المعرفية الاصيلة ورسالته في الكون. إضافة الى ما سبق لا يمكن بما كان تجاهل إسهامات مدرسة التفاعلية الرمزية التي ترى أن الهوية تستمد كثيرا من عناصرها من عمليات التفاعل المستمر بين الذات و الاخر في العالم الخارجي، وهو التفاعل الذي يسهم في رسم و اعادة تشكيل تصور الفرد لنفسه باعتبار الفرد مدرك لتلك الحقيقة و يقوم بدور مركزي في توجيه مضمونها، لهذا اولى أرفين جوفمان أهمية خاصة لنظرة الآخرين و انطباعاتهم نحو الفرد و توجهاته نحو هويته، فهو يعزز سلوكه نحو هويته بقدر التقدير الذي يلقاه من الجماعة، وهو حال المتصفح في الفضاء الالكتروني الذي يعدل هويته بحسب ما يلقاه من ردود من قبل الآخرين، الأمر الذي يجعل هويته طيعة مرنة قابلة للتوجيه .

و عليه يبدو إن الاختلاف حول مضمون الهوية بالنسبة لرواد الفكر الاجتماعي الغربي متعلق بإشكالية الثنائيات النظرية التي ظلت لعقد من لزمن تهمين على الأطروحات السوسيولوجية بدءا بالمفهوم و انتهاء بالنظرية، ولعل الإشكال كله متعلق بموقفها من الوجود الإنساني وعلاقته بالأخر و رسالته في الحياة، فمن خصائص النمط المعرفي الغربي القطيعة مع عالم الغيب و الوحي و اعتبار قيم «العلم « المعرفة و الحق محصورة في الملموس و المحسوس و المجرب و المدنس من الماديات «فهي و ان اعترفت بالجانب الروحي،

فلكي تحصره في النطاق الشخصي للفرد دون باقي شؤون المجتمع و خاصة الاقتصادية و السياسية منها، بينما الأصل عندنا هو الجمع بين الوحي و العقل، العلم و الأخلاق، المادة و الروح، الدنيا و الآخرة ....[16] وان كان ذلك لا ينفي أهمية التلاقح المعرفي بين الأطروحات و توظيف أدواتها لاستقراء الواقع وفق منظومتنا القيمية و خصوصية البنى الاجتماعية و الثقافية دون الوقوع في النمذجة .

لهذا السبب اقر الكثير من المفكرين الاجتماعيين حتى الغربيين منهم بحقيقة التناقضات التي يواجهها إنسان اليوم حتى في علاقته بهويته من بينهم **ألان توران** الذي اعترف بما آل إليه إنسان اليوم من تشظي للهوية الفردية ذاتها لذا دعا إلى ضرورة صياغة براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ويذكر في هذا الصدد : «لم يعد الفرد سوى شاشة تعرض عليها رغبات وحاجات و عوالم خيالية مفبركة في مصانع الاتصالات الجديدة، إن الصورة التي غالبا ما استخدمت للتعريف بالحداثة هي صورة الفرد هذه الذي لم يعد يتحدد بمجموعات انتماء، و الذي يزداد ضعفا و لا يجد في ذاته ضمانا لهويته ...تتكون الذات الفاعلة وسط إرادة الإفلات من القوى و الأنظمة و السلطات التي تمنعنا من أن نكون ذواتنا ...»[17]

لهذا فهو يعتقد انه جرى تغير سريع في علاقة الذات الفاعلة الذي يعتبره مفهوما جوهريا، ولتجاوز هذه الأزمة المخرج يكمن في قدرة هذه الذات على إيجاد مؤسسات وقواعد قانونية تدعم حريتها وقدرتها الفاعلة، من خلال العودة إلى الحركات التي نجحت في النضال ضد العولمة كحركات حماية البيئة ...

فهل بالفعل تحقق الذات الفاعلة مقاصدها بهذه الطريقة ؟ خاصة في ظل اعتقاده أن الذات الفاعلة هي غاية في حد ذاتها

لقد طرحت العولمة نهاية القرن العشرين صورا جديدة من الرأسمالية الكونية، أكثر عنفا و مرونة في اتجاهها نحو تحقيق أهدافها، و أكثر تنافسية و هدرا لكرامة الإنسان، و لقد تمخض عن ذلك بروز حركات اجتماعية متعددة باسم التفرد الثقافي، ونزوع الناس إلى أن يسيطروا على حياتهم و بيئاتهم، هذا التوتر هو الذي يميز الديناميكية المركزية لعصر المعلومات عصر يتأسس حسب **مانويل كاستيلز** الذي تاثر بوجهة **نظر توران** على التعارض الثنائي بين الشبكة (net) و الذات ;(self)[18] و الذي ينتج عنه أزمات متوالية على مستوى الهوية في ظل سعي الأفراد نحو مزيداً من التأكيد على ممارسة هوياتهم، وتسارع وتيرة عمليات التغير البنيوي التي يمر بها العالم، فالهوية حسبه هي : «سيرورة بناء معنى انطلاقا من مستند ثقافي او جملة متجانسة من المستندات الثقافية التي تحظى باولوية دون بقية مصادر الهوية»، و عليه فهو يعتقد بوجود ثلاث انماط من الهوية :[19]

* **هوية إضفاء الشرعية** : التي تصوغها المؤسسات المسيطرة لتبسط نطاق سيطرتها على الفاعلين الاجتماعيين و لتبرير هذه السيطرة .

* **الهوية المقاومة**: وهي تلك الهوية التي ينتجها هؤلاء الفاعلين الذين يجدون أنفسهم مستبعدين بحكم منطق السيطرة

* **هوية المشروع** : و التي تنتجها الحركات التي تطمح إلى تغيير المجتمع ككل .

في المقابل يقترح رواد الفكر الاجتماعي الإسلامي من المجددين رؤية مغايرة تتفق مع سابقيها في منطلقاتها الرافضة للآفات الاجتماعية و الأخلاقية التي خلفتها العولمة في مراحلها، لكنها تختلف حول سبل مواجهتها فإذا كان الفكر الغربي كما أسلفنا يصر على طابع التعارض الدينامي للعلاقات بين المجتمع الشبكي المعلوماتي و الذات الفاعلة، فان الأطروحات الإسلامية المجددة ترى غير ذلك .

رغم إقرار **عبد الوهاب المسيري** بأزمة الهوية التي تتأرجح بين نقطتين متناقضتين : الأولى : **نقطة صلبة** تقوم على ثنائية قطبية حادة (أنا مقابل الأخر) مثل النزعة النازية او الصهيونية في الغرب، و الثانية : **نقطة سائلة** تذوب فيها الحدود و الهويات، و لتجاوز هذه الأزمة اقترح مفهوم «الإنسانية المشتركة « بدلا من مفهوم «الإنسانية الموحدة « التي يقترحها الغرب، بحكم أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه أن يرقي فوق إنسانيته و يمكن أن يهبط دونها [20]

ولتوضيح الرؤية اقترح **طه عبد الرحمن** الذي يتفق معه كثيرا بدائل نظرية لمواجهة شراسة العولمة و سعيها نحو تقويض الهويات، لهذا صنف الهويات الناتجة عنها إلى : [21]

* **الهوية الصماء** : التي تتولد من النظر إلى الذات بعين الذات و النظر إلى الغير بعين الذات أيضا مثل الهوية المنغلقة أو الهوية المتسلطة

* **الهوية اللينة** : و تتولد من النظر إلى الذات بعين الغير و العكس أيضا، أي النظر إلى الغير بعين الذات.

* **الهوية المائعة** : و هي تتولد من النظر إلى الذات بعين الغير و النظر إلى الغير بعين الغير، فالإنسان الذي يقتبس جل فكره من غيره تذوب ذاته تدريجيا في ذات الآخر.

و لمواجهة الأزمات الأخلاقية التي ولدتها العولمة التي تعد أزمة الهوية احدي مظاهرها بفعل سيطرة المجتمع الشبكي على حقل الاتصال اقترح ضرورة إيجاد أخلاقيات تؤثر في منطق الحداثة مصدرها الدين الاسلامي، بحيث ترتقي بالذات الإنسانية و تؤسس لتنمية روحية تنعكس على التنمية الاقتصادية، لانها تستند إلى قيم مستقلة في منطقها لا تستطيع العولمة التسليعية أن تخضعها لها لأنها لا تقوم عليها، لأنها تقوم على قيم إيمانية ذات طبيعية

كونية لا مادية تستطيع بفضل منطقها أن تضبط مسلكها التعقيلي الهادف لتسليع كل شيء. لهذا و لتجاوز إشكالية أزمات الهوية يجدر بنا النظر بعين التمعن في منظومتنا القيمية التي تؤسس نموذجنا الفكري لخدمة الإنسان حتى لا تصبح نظرتنا لهويتنا مؤسسة بذات الصبغة الانتشارية و المتعالية التي طبعت نظرة الآخر و نسقط بالتالي في مركزية مضادة للعولمة الغربية، و اصدق تعبير على ذلك ما قاله **مولود قاسم نايت بلقاسم** في مؤلفه «**انية و اصالة** «الاصالة ليست التقوقع و لا تفرقع، بل هي اعتبار الماضي لبناء المستقبل، الإنية و الأصالة مع التفتح و العالمية لان الانحلال هو بداية الاضمحلال، فاستقرار عناصر الإنية و ثباتها تحفظ للإنسان توازنه وتوجه سيره في الحياة معتبرا لما يدور حوله ومدركا لحقيقة وجوده .

3-ديناميكية الهوية الالكترونية عبر شبكة التواصل الاجتماعي «الفايس بوك»:

على ضوء ما سبق يبدو أن مضمون الهوية الالكترونية يعد انعكاسا مباشرا لتمثلات الذات الفاعلة، طبيعة قيمها و تصوراتها التي تؤسس وجودها الاجتماعي و الرقمي، وإن كان ذلك لا يغنينا عن تفهم طبيعة التأثيرات التي تكون عرضة في ظل المجتمع الشبكي باعتباره فضاء اجتماعي مفتوح على مختلف الثقافات الإنسانية يتيح لها إمكانية التفاعل والتواصل الرقمي من خلال عمليات تبادل المعلومات التي تتخذ في العادة شكل الصور، الملفات، الفيديوهات أو الصوتيات، و التي تساهم بالفعل في عملية التنشئة الالكترونية للذات الفاعلة في الفضاء الالكتروني الافتراضي، بحكم أنها تتفاعل و تتواصل في فضاء مفتوح خارج عن الطابع المؤسساتي التقليدي .

وعليه تشرف الهوية الذاتية بصفة إرادية على تنشئة نفسها من خلال التنقل عبر الفضاءات الرقمية التي تكون مجالا لاستدخال و تبادل قيم، معاني و دلالات متنوعة نتاج انساق ثقافية متباينة، الأمر الذي يجعل الهوية الثقافية عرضة لرهانات زمانية و عمليات تفاوض أنية قد تقوض مدلولاتها الاصلية.

فالهوية الالكترونية هي : «مجمع الصفات و الدلالات و الرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي فيتفاعل و يتواصل على أساسها مع الآخرين و قد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية.في الواقع الاجتماعي «() . اختلف الباحثون حول الطابع السلبي أو الايجابي لمميزاتها من منطلق الآثار المتمخضة عنها، رغم الاعتراف الصريح بالمكاسب الهامة التي حققها لإنسان اليوم من خلال توسيع قدرته على التواصل الرقمي، التعريف بشخصيته و قدراته مع إمكانية التحرر من عراقيل التواصل الاجتماعي

الواقعي، إلا أن ذلك لا يغنينا عن التنويه إلى مضارها، خاصة إذا لم تكن الذات الفاعلة فيه مدركة لكينونتها الأمر الذي يفقدها طابعها الإنساني، الاجتماعي، و حتى المعياري، كما تسقط ضوابط الألفة والمستلزمات الأخلاقية الموجهة لجوهر العلاقات الاجتماعية وتجعلها أكثر سطحية، و نفعية كونها تفسح المجال لتقويض و تعديل العلاقة دون الأخذ بعين الاعتبار ردود الأخر او إحترم خصوصيته و إنسانيته مما يعني هدر الإنسان.

مع ذلك يعد **الفايس بوك** احد المواقع الالكترونية المعروفة التي استطاعت أن تحتل مكانة مرموقة بين شبكات التواصل الاجتماعي المتداولة في الفضاء الالكتروني خاصة بالنسبة إلى للشباب و هذا بالنظر إلى عدد المنتسبين إليه و الذي تجاوز مليار مستخدم حول العالم (*)، حيث يفتح فضاءا واسعا للتواصل الاجتماعي و الثقافي بين الهويات التي تتبادل المعلومات و تتقاسم الاهتمامات فيما بينها وتنسج علاقات اجتماعية متعددة، لكن ما يميز هذا الفضاء انه يطبع الهوية الالكترونية لمنتسبيه بسمات نوعية تميزها عن غيرها أهمها : [22]

*يستطيع المشترك اخفاء هويته الحقيقية و التحكم في معلوماته الشخصية مع ضبط هوية متصفحيها من الاصدقاء

*سمة الدوام : بقاء المعلومات على الصفحة لفترة طويلة ووجود امكانية الاستخدام المستقبلي و تحقيق تواصل «غير متزامن» .

*إمكانية التواصل، الحوار، التعليق و المشاركة في اي وقت وفي اي مكان .

*إمكانية استرجاع نص الحوار مستقبلا لإعادة التفاعل و إعادة صياغة مضامينه أو التعليق عليه من جديد، فالزمن على الشبكة يتطابق فيه الماضي مع الحاضر.

*القدرة على العزل و التصنيف لانتقاء الأصدقاء وفق الاهتمامات و الخصائص المعدة سلفا لعزل المجموعات غير المرغوب فيها.

*ربح الوقت بدل تضييعه في البحث عن علاقات ذات خواص محددة سلفا .

*إمكانية نقل المعلومات نسخها و استرجاعها بين الصفحات المختلفة و التعليق عليها

*وجود جمهور غير مرئي مجهول الهوية بإمكانه الاطلاع على المحادثات و الصور المتداولة .

*إمكانية التحيز في الرأي، المواقف و الاتجاهات المطروحة .

* التحرر من سلطة الرقابة الاجتماعية من حيث المضامين المتداولة

بفضل المميزات التي يتيحها الفايس بوك للمستخدمين تتخذ علاقات التواصل عبر الشبكة وتيرة مغايرة الأمر الذي ينعكس بقوة على هوياتهم الالكترونية، الهوية خاصة إذا علمنا أن طابع التواصل الاجتماعي في الفضاء الافتراضي يفترض تفاعل الذوات في فضاء مفتوح على انساق ثقافية متباينة باستخدام مجموعة من الوسائط الالكترونية متعددة، فإذا

كان مارشال ماكلوهان قد نبأ بالتحديات التي جاءت بها العولمة بفعل تأثيرات تكنولوجيا الإعلام و الاتصال بمختلف وسائلها التي حولت العالم إلى قرية كونية صغيرة، فقد نوه عبد الرحمن عزي من خلال نظرية الحتمية القيمية إلى البعد القيمي و الحضاري للمضمون الذي تحمله الرسالة الإعلامية و الذي لطالما تجاهله الفكر الغربي (23) ليس الأمر كذلك فحسب بل حتى الفعل و رد الفعل تغير في ظل الشبكة لان حيز و حدود العلاقات الاجتماعية بين المستخدمين تغيرت و أضحى حيز الشخصي في تداخل مع المهني .

فإذا كانت الرسائل المتداولة حاملة لقيم يجري تداولها في حيز ثقافي مفتوح و تستقطب الشباب و تجعله عرضة لوسائط رقمية ذات تأثير كبير يوجه اللاوعي الإنساني قبل الوعي فكيف تتمظهر هويتهم ؟ وهو السؤال البحثي الذي حاولنا الإجابة عليه من حلال الدراسة الاستطلاعية التي قمنا بها على عينة من الشباب الجزائري الجامعي .

فكيف تتمظهر الهوية الالكترونية لدى الشباب الجزائري عبر شبكة التواصل الاجتماعي «فيس بوك» ؟ وما هي انعكاساتها على تصوراتهم و ممارساتهم «الهوياتية في الواقع الاجتماعي الفعلي ؟

أولا : المنهج المستخدم، العينة و ادوات الدراسة :

حتى نضفي على الدراسة بعدا عمليا نقترب من خلالها إلى الواقع الاجتماعي للشباب الجزائري، لجأنا إلى تطبيق دراسة استطلاعية سعينا من خلالها إلى استكشاف الظاهرة والتعرف على خصائصها، و عليه طبقنا **المنهج الوصفي** الذي نهدف من خلاله إلى جمع معلومات و حقائق دقيقة حول الظاهرة قيد الدراسة و التعبير عنها تعبيرا كميا، وعليه فقد لجانا إلى استخدام **العينة القصدية** التي حددنا معايير لانتقاء مفرداتها بالنظر إلى إعتبارات منهجية فرضتها الدراسة : وهي :* أن يكون شابا جامعيا *أن يكون اشتراكه على الفايس بوك منذ سنة على الأقل

وعليه تم إعداد الاستمارة التي اشتملت على 35 سؤالا توزعت على أربع محاور رئيسية:

المحور الأول : البيانات الشخصية

المحور الثاني : أنماط استخدام الشباب الجامعي لشبكة التواصل الاجتماعي فايس بوك

المحور الثالث : خصائص الهوية الالكترونية لدى الشباب الجامعي على صفحات الفايس بوك.

المحور الرابع :انعكاسات الهوية الالكترونية على الممارسة الهوياتية الواقعية لدى الشباب الجامعي.

وزعت 100 إستمارة على طلبة قسم العلوم الاجتماعية **شعبة علم الاجتماع** وتم استرداد 55 استمارة معبرة، نظرا لقلة الطلبة المنتسبين إلى لشبكة خاصة بالنسبة لطلبة السنة أولى والثانية مقارنة بطلبة السنة الثالثة و الماستر وقد يلعب السن دورا جوهريا في ذلك، بالإضافة إلى ان الدراسة حددت فترة الانتساب إلى الفايس بوك بسنة على الأقل كأولوية في انتقاء مفردات عينة الدراسة سعيا للوصول إلى نتائج أكثر عمقا ودلاله من حيث تشكل هوية الشاب الالكترونية و ارتباطها بها و بروز آثارها في الواقع الاجتماعي .

ثانيا : عرض ووصف نتائج الدراسة

أولا : الخصائص الشخصية للمفردات :

جدول رقم 01 يبن توزيع مفردات العينة حسب الجنس

الجنس	ك	النسبة ٪
ذكر	26	47.27٪
انثى	29	52.72٪
مجموع	55	100٪

يعكس الجدول 01 وجود نوع من تجانس بالنسبة لحضور الذكور و الإناث في مفردات العينة و استخدام الموقع موجود لدى الإناث و الذكور بنفس الدرجة تقريبا

الجدول رقم 02 يبين توزيع مفردات العينة حسب السن

السن	ك	النسبة ٪
20-18	5	9.09٪
23-21	27	49.09٪
26-24	17	30.90٪
29-27	5	9.09٪
32-30	1	1.81٪
المجموع	55	100٪

يعكس الجدول رقم 02 ان الفئة العمرية الاكثر تواجدا في العينة هي فئة 21-23 سنة يمثلها طلبة السنة الثالثة و طلبة الماستر بصورة كبيرة وهنا تبدأ هوية الطالب بالتشكل

وتبحث لها عن فضاءات للتعبير عن ذاتها .وبدرجة اقل بالنسبة لفئة 24-26 سنة

ثانيا : أنماط استخدام الشباب الجامعي لشبكة التواصل الاجتماعي فايس بوك :

الجدول رقم 03:توزيع مفردات العينة حسب عادات استخدام شبكة الانترنيت

عادات الاستخدام	ك	النسبة ٪
يومي	30	54.54٪
أسبوعي	10	18.18٪
شهري	2	03.63٪
عند الحاجة فقط	13	23.63٪
المجموع	55	100٪

من خلال **الجدول رقم 03** يبدو أن أغلب الشباب تطغى عليهم عادة الاستخدام اليومي للشبكة بنسبة ٪54.54، في حين ٪23.63 يستخدمونها عند الحاجة فقط و ٪18.18 يستخدمونها اسبوعيا، و يعكس ذلك حاجة الشباب الدائمة و اليومية إلى استخدام الانترنيت التي أصبحت مصدرا معلوماتيا أساسيا بالنسبة للشباب الذي تعود على استخدامها بصفة يومية لإشباع حاجاته المتعددة في حين يبدو أن نسبة اقل تستخدمها عند الحاجة فقط بالنظر إلى ظروف الطالب الجامعي خاصة المقيم و تكاليف الاتصال الدوري بها.

الجدول رقم 04: توزيع مفردات العينة حسب مدة الانتساب إلى الفايس بوك

	التكرار	النسبة
سنة على الاقل	08	14.54٪
سنة ما فوق الى سنتين	11	20٪
سنتين ما فوق الى ثلاث	21	38.18٪
ثلاثة فما فوق إلى اربع سنوات	15	27.27٪
المجموع	55	100٪

يبدو من خلال نتائج **الجدول 04** أن ٪38.18 من مفردات العينة يعود انتسابهم إلى موقع الفايس ما بين سنتين فأكثر إلى ثلاث سنوات و بنسبة اقل من ذلك وهي 27.37 ٪

منذ ثلاث سنوات فما فوق إلى أربع سنوات وهي نسبة مهمة تعبر على وجود تقاليد مهمة لدى مفردات العينة في استخدام الشبكة يعول عليها للكشف عن تصوراتهم و ممارساتهم الهوياتية عبر الفضاء الالكتروني و يعبر أيضا على حاجة الشباب إلى هذا الموقع الاجتماعي الذي أصبح جزء اساسيا من الحياة الاجتماعية الطالب .

الجدول رقم 05 : توزيع مفردات العينة حسب عادات استخدام شبكة الفايس

عادات الاستخدام	التكرار	النسبة
يومي	28	50.90٪
اسبوعي	12	21.81٪
شهري	01	1.81٪
عند الضرورة	14	25.45٪
المجموع	55	100٪

تعكس نتائج **الجدول رقم 05** ان نسبة مهمة وهي اكثر من 50٪ من مفردات العينة ستستخدم موقع الفايس بوك بشكل يومي وهي نسبة معتبرة اذا ما قارنا بنتائج الجدول رقم 03 بمعنى ان تقريبا جل الاستخدام اليومي للانترنيت متعلق باستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، ويمكن تفسير ذلك بتعلق الشاب بالعلاقات الافتراضية التي ينسجها عبر الموقع و تعوده اليومي عليها و على التواصل معها، خاصة ان الموقع يتيح للأصدقاء المتصفحين الولوج لصفحات بعضهم البعض، الاطلاع على محادثات بعضهم البعض، تبادل ملفات بعضهم البعض، الأمر الذي يغير صفة الفعل الاجتماعي التي يصبح متوقعا بالنسبة للأخر و مجرى العلاقات الاجتماعية التي تضخي أكثر تفاعلية لان حيز العلاقة الشخصية و العلاقة الدراسية أو العلاقة المهنية أو حتى العائلية تتداخل مع بعضها البعض مما قد يحدث مشكلات في حدود العلاقات بين الأفراد وهي إحدى الإشكاليات التي يفرزها الموقع و التي يجب البحث فيها.

الجدول رقم 06 بين توزع مفردات العينة حسب وتيرة تصفح موقع على الفايس بوك

وتيرة الاستخدام	التكرار	النسبة
اقل من ساعة	12	21.81٪
من ساعة الى ساعتين	24	43.63٪
2سا -3سا	07	12.72٪
3سا-4سا	01	1.81٪
4 سا-5 سا	08	14.54٪
5ساعات فما فوق	03	5.45٪
المجموع	55	100٪

تعكس تنائج **الجدول رقم 06** وتيرة استخدام الشاب لموقع الفايس بوك و التي توضح لنا أن نسبة مهمة وهي 43.63 ٪ تستخدم الموقع من ساعة إلى ساعتين في حين أن نسبة 21.81٪ تستخدم الموقع اقل من ساعة، في حين أن 14.54٪ متوسط استخدامها للموقع هو من 4 ساعات إلى 5 ساعات وهي نسبة استخدام معتبرة تعكس بداية بوادر الإدمان على الشبكة، من خلال النظر في هذه الوتيرة بإمكاننا الجزم ان التواصل الافتراضي أضحى جزءاً هاما من الحياة الاجتماعية للشاب الجامعي .

الجدول رقم 07: يوضح توزيع مفردات العينة حسب دوافع الانتساب الى موقع الفايس بوك :

دوافع الانتساب	التكرار	النسبة
التسلية و الترفيه	10	7.87٪
تقاسم الاهتمامات المشتركة مع المجموعات	19	14.96٪
تقوية الروابط الأسرية	07	5.51٪
التعرف على أخر الأخبار و مواكبة الأحداث	30	23.62٪
تشكيل صداقات جديدة	12	9.44٪
التعبير عن مواقفك و رأيك بحرية	19	14.96٪

البحث عن معلومات في تخصصك	16	12.59٪
البحث عن علاقات عاطفية	04	3.13٪
إبراز مهاراتك و تنمية قدراك التواصلية	06	4.72٪
تجاوز معوقات التواصل الاجتماعي الواقعي	04	3.13٪
المجموع	172	100٪

يعكس **الجدول رقم** 07 أهم دوافع الانتساب إلى موقع الفايس بوك التي يبدو انها متعلقة و بصورة كبيرة حسب الاتجاه العام للجدول ببحث الشباب عن أخر الأخبار والمستجدات وهذا لمواكبة الأحداث الجارية بنسبة ٪30 التي أضحت تشكل جزءا أساسيا في لشاب في ظل العولمة أضحت المعلومة مصدراً أساسياً للتفاعل و التبادل الاجتماعيتين فهي تعكس هوية الذات و تعبر عنها، يليها دافع الشاب لتقاسم الاهتمامات مع العلاقات الاجتماعية الافتراضية التي ينسجها عبر الشبكة خاصة ضمن المجموعات التي ينتسب إليها و التي تختصر أمامه الجهد و الوقت في البحث و تشبع حاجاته في تبادل الآراء و المعلومات و كذا التعبير عن آراءه بكل حرية و هي إشباعات قد لا تتوفر له في الواقع، فيلجأ إلى الفضاء الافتراضي ليجد من يسمعه او للهروب من الرقابة الاجتماعية

الجدول رقم 08 توزيع مفردات العينة حسب اهم النشاطات المتعود القيام بها على صفحة الفايس بوك :

أهم النشاطات المتعود القيام بها	التكرار	النسبة
تقاسم صورك الخاصة مع أصدقائك	11	8.19٪
نشر و تقاسم معلومات جديدة في تخصصك	23	18.19٪
التعبير عن مواقفك من القضايا المطروحة في المجموعات	37	30.32٪
الاطلاع على جديد أصدقائك	18	14.75٪
نشر و تقاسم جديد حياتك الشخصية	01	0.81٪
التعليق على صور و أراء أصدقائك	27	22.13٪
التسلية و مشاركة أصدقائك في برامج الألعاب	05	4.09٪
المجموع	122	100٪

يعرض **الجدول 08** أهم النشاطات المتعود القيام بها على الموقع تتعلق في اغلبها و بنسبة 30.32 ٪ بتعبير الشاب عن مواقفه و أرائه من القضايا المطروحة من قبل المجموعات التي ينتسب إليها، والتي تساهم و بقوة في بناء هويته عبر تجدد مناسبات التواصل الرقمي و يعكس هذه النسبة اتجاه اغلب الشباب الى الفضاء الرقمي للبحث عن فضاء للتعبير عن الذات، والاستفادة من خبرات الأخر وقد يعكس لنا هذا لاتجاه إشكالية التواصل بين الاجيال وربما فقدان المؤسسات التقليدية دورها في استقطاب هذة الشريحة التي أصبحت تفضل لغة الصورة و المعلومة المتداولة أكثر من اللغة التلقينية، وما يجدد تأكيد ذلك ان ٪22.13 اكدوا تركيزهم على التعليق على صور و أراء الأصدقاء .

ثالثا: خصائص الهوية الالكترونية لدى الشباب الجامعي على صفحات الفايس بوك:

الجدول 09 توزيع مفردات العينة حسب طريقة عرض الهوية الالكترونية عبر الفايس بوك

الهوية الالكترونية	التكرار	النسبة
اسم مستعار	16	٪29.09
اسمك الحقيقي	15	٪27.27
اسمك الحقيقي مع اسم مستعار	24	٪43.63
المجموع	55	٪100

الجدول 09 يعكس الطريقة التي يعتمدها الشاب لعرض هويته حيث يفضل بنسبة 43.63 ٪عرض اسمه الحقيقي مع اسمه المستعار في حين 29.09 ٪ منهم يفضلون عرض الاسم المستعار فقط، بينما يفضل الباقي اي 27.27 ٪ عرض الاسم الحقيقي، يعكس هذا التباين اختلاف مواقف المستخدمين من خصوصية هويتهم على الشبكة و التي يمزجون فيها في الغالب بين الوجود الافتراضي و الوجود الاجتماعي، لان الهوية الإلكترونية تبني سمعة المستخدم على الشبكة و الردود المستهجنة قد تفقده ثقة أصدقائه، وقد تكسبه احترامهم لكن اذا التزم بالنموذج الهوياتي الذي تدافع عنه المجموعة و الذي تنسجه من خلال ردود الأفعال و التعليقات ...، هنا تبرز وجهة نظر ارفينج جوفمان في «تمسرح الذات في الواقع الاجتماعي»، فغموض الوجود الافتراض يعكس تخوف المستخدم من عرض ذاته الفاعلة على الشبكة و تخوفه من ردود المجتمع الافتراضي، وهي إحدى الآليات المستخدمة

للدفاع عن الذات في الفضاء الافتراضي، كما تعكس الفئة الاخيرة وجود فئة من الشباب يعرضون هويتهم الحقيقية و يطورون عبر الفضاء الالكتروني علاقاتهم على هذا الأساس .

الجدول 10 توزيع مفردات العينة حسب القضايا التي تتحمس للتعبير عن مواقفها منها في المجموعات التي تنتسب لها على الفايس بوك

المعلومات	التكرار	النسبة
شخصية	12	8.69٪
دينية	14	10.14٪
سياسية	13	9.42٪
تربوية	07	5.07٪
اجتماعية	35	25.36٪
فنية	08	5.79٪
انسانية	10	7.24٪
علمية	16	11.59٪
وطنية	15	10.86٪
تاريخية	3	2.17٪
ترفيهية	2	1.44٪
جميعها	3	2.17٪
المجموع	138	٪100

يبدو من خلال **الجدول 10** أن اغلب القضايا التي يتحمس المستخدم للتعبير عنها هي القضايا الاجتماعية التي تشكل جزءا أساسياً من اهتمامه بالنظر الى طبيعة الإختصاص الذي يميز الفئة المبحوثة من جهة وبالنظر لفحوى العلاقات الاجتماعية التي هي الموضوع الأساسي في شبكات التواصل الاجتماعي وهذا بنسبة ٪25.36، تليها القضايا العلمية التي تعد جزءا اساسيا من اهتمامات الطلبة القضايا الوطنية وهذا يعكس طبيعة الحراك الموجود على الشبكة، و تعكس لنا طبيعة الاهتمامات الثقافية للشباب الجزائري

الجدول 11 : توزيع مفردات العينة بحسب ابعاد شبكة علاقاتها الاجتماعية على الفايس بوك :

ابعاد علاقاتك الاجتماعية	التكرار	النسبة
شخصية	14	15.21٪
محلية	15	16.30٪
وطنية	14	15.21٪
مغاربية	07	7.60٪..
عربية	14	15.21٪
اسلامية	07	7.60٪
اوروبية	03	3.26٪
عالمية	18	19.56٪
جميعها	92	100٪

يعكس **الجدول رقم 11** ابعاد العلاقات التي ينسجها الشباب عبر الشبكة و التي تحمل إبعادا عالمية بنسبة ٪19.56 مما يؤكد تفتح الشاب على الثقافات المتعددة تعكس هذه الحقيقة شغف الشاب لإنتشار و الاتصال و التعرف على الأخر و التواصل معه، و هي الوتيرة التي خلقتها هذه الشبكات التي قلصت الزمان و المكان و، مع ذلك يبدو أنها أثرت حتى على وتيرة العلاقات المحلية مما يؤكد أن تشكل و تمظهر الهوية تؤسسه اقطاب عدة تنتقل بين المحلي و العالمي بمرونة عالية .

الجدول رقم 12 : توزيع مفردات العينة حسب لغة التواصل الرقمي على الفايس بوك

اللغة المتداولة	التكرار	النسبة
العربية الفصحى	17	16.03٪
الفرنسية	19	17.92٪
الدارجة المحلية	35	33.01٪
الانجليزية	10	9.43٪
المزج بين بين العربية والفرنسية و الدارجة	11	10.37٪
المزج بين العربية و الفرنسية	10	9.43٪
المزج بين العربية و الدارجة	03	2.83٪
المزج بين الفرنسية و الدارجة	01	0.94٪
المجموع	106	100٪

يبدو من خلال نتائج الجدول 12 ان للغة الغالبة على الشبكة هي اللغة الدارجة المحلية

بنسبة ٪33.01 تليها اللغة الفرنسية ثم اللغة العربية الفصحى و لعل مثل هذه النتائج تعكس لنا طبيعة الممارسة الهوياتية البسيطة التي ترتكز على اللغة المحلية المتداولة في الوسط الاجتماعي، وهي من البساطة بما كانت أن تعبر عن أراء الشباب، عن ثقافتهم و تصوراتهم ونظرتهم نحو واقعهم، كما يعكس تباين توجهاتهم نحو اللغة، بين المعربين و المفرنسين و هو حال النخبة الجزائرية التي ربما ساهمت و لازالت تساهم في انتاج هذه الثنائية وان كان بروز اللغة الانجليزية يعكس و جود اهتمام بهذه اللغة ذات البعد العالمي التي تتيح التواصل بين الثقافات الانسانية، مع ذلك فعلاقة الشاب بلغته تبرز ملامح الازمة، فالممارسة اللغوية تعبير عن حال الثقافة في مجتمع ما، فهذه هي حال لغة الفايس بوك و الجدول 13 يؤكد ذلك .

الجدول رقم 13 : توزيع مفردات العينة حسب طبيعة الحروف المستخدمة في التواصل الرقمي عبر الفايس بوك

الحروف المستخدمة	التكرار	النسبة
العربية	16	٪24.61
اللاتينية	25	٪38.46
العربية و اللاتينية	24	٪36.92
المجموع	65	٪100

بالربط بين الجدول 12 و الجدول 13 : نصل إلى أن الحروف اللاتينية هي الاكثر تداولا في شبكات التواصل و التي يوظفها الشباب للتعبير عن ثقافته و هويته، الامر الذي نلمس من خلال تنوع النماذج الثقافية المتداولة لدى الشاب الذي أضحى يساهم في صنع ثقافته ويعطيها دلالات مخلية من خلال اللغة العامية المتداولة في الحياة العامة والتي تعكس ثقافته الشعبية و ليس اللغة العربية الفصحى التي يستخدها في الدراسة او حتى الفرنسية بل أحيانا يمزج بينها .

المحور الرابع : انعكاسات الهوية الالكترونية على الممارسة الهوياتية الواقعية لدى الشباب الجامعي

الجدول رقم 14: توزيع مفردات العينة حسب تاثير اللغة المتداولة في الفايس على لغة التواصل اليومية

امكانية التاثير	التكرار	النسبة
نعم	23	41.81٪
لا	32	58.18٪
المجموع	55	100٪

يعكس الجدول رقم 14 تباين مفردات العينة بين موقفها من تأثير الفايس بوك على اللغة المتداولة في الواقع، و الحقيقة ان هذا التعارض قد يخفي جزء من الحقيقة الأكيدة والتي سبق أن تناولناها سالفا و يتعلق الأمر بغياب الادراك بثقل تاثير اللغة كعنصر اسسي للتعبير عن كينونة الهوية، ان تبادل الرموز و الدلالات في الفضاء الافتراضي يسمح ببث قيم و دلالات معينة و علاقة الشاب بلغته تعكس تأثره الشديد بالأخر وان كان الامر يتعلق بعملية تواصل تفترض استخدام لغة الاخر لكن، وان كان يصرح بعدم تاثره بها، الا انه اصبح يعبر عن قيم و لغات عالمية تجاوزت حيزه الثقافي. لتعبر عن بعدين أحدهما محلي آخر عالمي.

الجدول 15 : توزيع مفردات العينة امكانية استخدام عبارات الفايس بوك في الاحاديث اليومية مع ذكرها ان وجدت

امكانية الاستخدام	التكرار	النسبة		
نعم	21	38.18٪	LOL	4
			MDR	4
			J AIME	4
			B1 /B8	3
			SLT	4
			OK	2
			MERCI	1
			راك اوف لاين	2
			ديما تفايسبوكي	1
			اكسبتي	2
			شريكي HI	1
			ديما تكومونتي	3
لا	34	61.81٪		
المجموع	55	100٪		

يوضح **الجدول 15** مظاهر تأثير الممارسات اللغوية المتداولة على الفايس بوك على الممارسات اللغوية الواقعية و هذا بنسبة نستطيع ان نقول عنها معبرة وهي 38.18٪، في حين أقرت نسبة 61.81٪ عدم تاثرها بها، وقد تعكس لنا هذه الثنائية موقفين متباينين لهويتان متعارضتان احداهما تقاوم نموذج الاخر و اخرى مائعة مرنة غير مدركة لحقيقة استيلابها الثقافي بل تساهم في اعادة انتاج نموذج ثقافي عالمي لا يعبر عن منظومتها الثقافية المحلية بل يؤسس لانتماء إلى ثقافة عالمية.

الجدول رقم 16 : **توزيع مفردات العينة حسب إمكانية تأثير الفابس بوك على التصورات و الممارسات الهوياتية في الواقع مع التبرير:**

إمكانية التأثير	التكرار	النسبة
نعم	24	43.63٪
لا	31	56.36٪
المجموع	55	100٪

من خلال الجدول يتضح أن اغلب المبحوثين صرحوا بعدم تأثير الفايس بوك على تصوراتهم و ممارساتهم الهوياتية الواقعية و هو الأمر الذي يتعارض مع الممارسة الالكترونية الفعلية، وهذا بنسبة 56.36٪ تؤكد هذه الفئة شكلا من المقاومة الثقافية من خلال إقرارها عدم تأثير الفابس بوك على ممارساتها الهوياتية في الواقع، في حين جددت نسبة 43.63٪ تأكيدها على تاثير شبكة التواصل الاجتماعي على ممارساتها الهوياتية

الجدول 17: توزيع مفردات العينة حسب ابعاد هويتها في الواقع

الابعاد	التكرار	النسبة
محلية	15	14.70٪
وطنية	26	25.49٪
مغاربية	04	3.92٪
عربية	20	19.60٪
اسلامية	24	23.52٪
اوروبية	01	0.92٪
عالمية	12	11.76٪
المجموع	102	100٪

تعكس نتائج الجدول رقم 17 ابعاد هوية الشباب في ضوء العلاقات الاجتماعية التي ينسجها في الواقع فاتضح أن اغلب المفردات اقرت أن هويتها تحمل بعدا وطنيا ثم إسلاميا وبعد ذلك عربيا و نستقرئ من نتائج الدراسة أن الشباب الجزائري شديد الصلة بحسه الوطني و ان كان انفتاحه على الأخر لم يضعف هذه الصلة التي تمازجت مع عناصر هويته الإسلامية و العربية ثم العالمية بالنظر الى تنوع العناصر المؤسسة لها .

الجدول 18: توزيع مفردات العينة حسب إمكانية تأثير الفابس بوك على العلاقات الاجتماعية في الواقع :

امكانية التاثير	التكرار	النسبة
نعم	05	9.09٪..
لا	55	90٪.90
المجموع	55	100٪

تعكس نتائج الجدول 18 إصرار اغلب الشباب على عدم تأثير الفايس بوك على العلاقات الاجتماعية الواقعية وهو أمر يجدد تأكيد النتائج السابقة حول وجود تعارض بين التصور والممارسة و هو الامر الذي يتجدد في النتائج .

الجدول 19: توزيع مفردات العينة حسب امكانية التخلي عن الانتساب الى الفايس بوك :

امكانية التخلي	التكرار	النسبة
نعم	18	32.72٪
لا	37	67.27٪
المجموع	55	٪100

الجدول 19 يؤكد رفض نسبة كبيرة من الشباب التخلي على الشبكة مما يؤكد تشكل رابط قوي معها بفعل الهوية التي تشكلت عبرها و التي اسست منظومة علائقية جديدة، لغة تواصلية نوعية، ابعاد هوياتية تتجاوز خدود الواقع إلى هوية جديدة تعكس تطلعات الذات الفاعلة عبر الشبكة لتجسيد حوار عالمي يحمل ابعادا جديدة، مع ذلك برزت فئة اخرى ابدت رغبتها في التخلي عن شبكة الفايس و التي عكست من خلاله رفضها للآثار التي حملتها و انعكاساتها على هويتها الثقافية .

5-النتائج المتوصل اليها : تعكس نتائج الدراسة ان الشباب في «حيرة من أمره « ولكن كيف يتجلى ذلك ؟

1-الشباب يواجه سجالا حقيقيا بفعل تعدد و تداخل النماذج التصورية التي توجه سلوكاته الهوياتية عبر الشبكات الاجتماعية، بروز بوادر ضعف في النموذج المحلي الذي تتأسس عليه هويته التي اتخذت أبعادا متعددة محلية وعالمية وعدم قدرته على احتوائها.

2-الشباب «في حيرة من امره» بفعل تأثير النموذج الإدراكي الغربي المؤسس على مركزية العقل و حسية المعرفة، فهو يرفض بشكل واع الفكر استلاب هويته الثقافية ولكنه يستبطن النموذج التغريبي بشكل لا واعي من خلال تناقض تصوراته و ممارساته الهوياتية عبر الفضائين الالكتروني و الواقعي و التي تبرز من خلال ما يلي:

1-كيفية عرض الهوية الالكترونية :

يعكس التباين في طريقة العرض اختلاف مواقف المستخدمين من خصوصية هويتهم على الشبكة و التي يمزجون فيها في الغالب بين الوجود الافتراضي و الوجود الاجتماعي، لان الهوية الالكترونية تبني سمعة المستخدم على الشبكة و الردود المستهجنة قد تفقده ثقة أصدقائه، وقد تكسبه احترامهم لكن اذا التزم بالنموذج الهوياتي الذي تدافع عنه المجموعة و الذي تنسجه من خلال ردود الأفعال و التعليقات ...، هنا تبرز وجهة نظر ارفينج جوفمان في «تمسرح الذات في الواقع الاجتماعي»، لكن غموض الوجود الافتراضي يعكس تخوف المستخدم من عرض ذاته الفاعلة على الشبكة و تخوفه من ردود المجتمع الافتراضي، كما يعكس إحدى الآليات المستخدمة للدفاع عن الذات في الفضاء الافتراضي.

2-طبيعة علاقاته الشبكية على الفايس بوك مقارنة بالواقع :

هي في غالبها علاقات ذات أبعاد عالمية، ثم محلية و ووطنية، مما يؤكد الطابع العالمي الذي أصبحت تتخذه هويات شباب اليوم و المحلي للتواصل .

3- اللغة المتدولة على الفايس بوك: :

ان للغة الغالبة على الشبكة هي اللغة الدارجة المحلية بنسبة 33.01٪ تليها اللغة الفرنسية ثم اللغة العربية الفصحى و لعل مثل هذه النتائج تعكس لنا طبيعة الممارسة الهوياتية البسيطة التي ترتكز على اللغة المحلية المتداولة في الوسط الاجتماعي، وهي من البساطة بما كانت أن تعبر عن أراء الشباب، عن ثقافتهم و تصوراتهم ونظرتهم نحو واقعهم، كما يعكس تباين توجهاتهم نحو اللغة، بين المعربين و المفرنسين و هو حال النخبة الجزائرية التي ربما ساهمت و لازالت تساهم في انتاج هذه الثنائية وان كان بروز اللغة الانجليزية يعكس و جود اهتمام بهذه اللغة العالمية التي تتيح التواصل بين الثقافات الانسانية

4-التعارض بين موقفه على الفضاء الافتراضي و موقفه في الواقع :

بغياب الإدراك بثقل تاثير اللغة كعنصر أساسي للتعبير عن كينونة الهوية، ان تبادل الرموز و الدلالات في الفضاء الافتراضي يسمح ببث قيم و دلالات معينة و علاقة الشاب بلغته تعكس تأثره الشديد بالأخر وان كان الامر يتعلق بعملية تواصل تفترض استخدام

لغة الأخر، وان كان يصرح بعدم تاثره بها، الا انه اصبح يعبر عن قيم ولغات عالمية تجاوزت حيزه الثقافي وتبرزه كمواطن عالمي .

5-صياغة النموذج الهوياتي :

تساهم عمليات التفاعل و التواصل المتجدد داخل المجموعات الافتراضية في تشكيل النموذج الهوياتي تدريجيا من خلال توجيهات المجموعة بحسب الآراء و التعليقات والنقاشات المثارة و التي تبث رموزا ودلالات ومعاني معينة يتلبسها أفرادها و يساهمون في نشرها عبرالفضاء لافتراضي لتتنقل بعض دلالاتها الى الممارسة الواقعية .

6-تمثلات هوية الشاب الجامعي بين الفضاء الالكتروني و الواقعي ؟:

على ضوء ما سبق تتجلى ملامحها كما يلي :

أ- العلاقة بين هوية الشباب الالكترونية و هويته الواقعية : و التي تعكس العلاقة بين المتخيل و الحقيقة و ان كان هذا المتخيل جزءا من الحقيقة لانه يتضمنها و يعبر عنها، إلا انه يصطدم مع ضوابط الواقع التي توجهه وتحدد تصوراته و ممارساته .

ب- وجود صراع لإرادتان في الذات الفاعلة المشكلة لهوية الشاب :

و ان كان للنموذج الإدراكي دور أساسي فيها وهي ارادة تسعى لرفض واقع تاثر المستخدم بملامح هويته الالكترونية و التاثيرت التي تتأتى عنها من خلال تصريحه و بنسبة كبيرة على عدم تأثيره على علاقاته الواقعية، و إرادة تستبطن بشكل لا واعي حقيقة التأثر و التي تبرز من خلال أبعاد شبكة علاقته الاجتماعية و طبيعة اللغة المتداولة بين الفضائين .

ج- وجود نموذجان مسيطران للهوية الثقافية تبرز من خلال كيفية النظر الى الذات والتفاعل مع الأخر من الفضاء الافتراضي الى الفضاء الواقعي و هو ما تعكسه النتائج النظرية السابقة هما :

* **هوية مقاومة** تسعى للحفاظ على خصوصيتها و توظيف الفضاء الافتراضي لتنمية الذات و التعبير عن مظاهر المقاومة الثقافية عبر تاكيد الذات من خلال إثبات العلاقة القوية مع عناصر الهوية بأبعادها الحضارية وهي الدين، اللغة، التاريخ و الوطن ...، مع تاكيد انفتاحها مع الأخر لكن لغاية عليا و هي التعريف بالذات .
* **هوية اختزالية مائعة** تتميز بالطابع الاختزالي للغة، للعلاقات، تتعامل بمرونة كبيرة مع الأحداث تتلبس الرموز و الدلالات الجديدة بمرونة و تتواصل مع الثقافات الأخرى بذات الطريقة من خلال تأكيد انفتاحها اللا محدود والغير موجه نحو الاخر وهو الأمر الذي انعكس سلبا على علاقتها بلغتها، واقعها، ممارساتها، مواقفها من قضاياها .

5- التوصيات :

سمحت لنا االمقاربة النظرية و نتائج الدراسة الميدانية الوقوف على قضايا عدة دفعتنا إلى رصد هذه المقترحات كبدائل تمكن من تعزيز الهوية الثقافية لدى الشباب في ضوء مجتمعاتنا الإسلامية و مجتمعنا الجزائري على وجه الخصوص و هي كالآتي :

*ضرورة تفعيل الرؤية الكونية و الشمولية في نظرتنا للهوية الثقافية حتى لا يحصل الصدام الحضاري في تفاعلنا مع الأخر، فبدلا من تعطيل أدوات الإدراك ومعطيات الإيمان بجدر بنا التمتع بها من منطلق الاقتناع بمسؤوليتنا الجماعية عن الواقع الذي نعيشه فيه، لا أن نلقي المسؤولية على بعضنا البعض، ولن يتاتى لنا ذلك اذا لم نقتنع بضرورة الانطلاق من الذات لقوله تعالى : «**ذلك بما قدمت أيديكم و أن الله ليس بظلام للعبيد « سورة الأنفال الاية 51، و قوله أيضا « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الإبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور «الآية 46 سورة الحج .**

* ضرورة الاقتناع بعجز النموذج الإدراكي الغربي : باعتباره نموذج مادي يستخدم الحواس لادراك الظواهر الاجتماعية كما تدرس الظاهرة الطبيعية و هو بهذا المنهج عقيم لأدراك المعرفة فالواقع هو جزء من المعرفة وليس كل المعرفة، وبالتالي فهو يهدر جوهر الهوية لأنه يتعامل مع الواقع بمعطيات مادية تعيق النظرة الشمولية، وعاجزة عن رصد كنه الهوية و تركيبتها الأصيلة، وهو الأمر الذي قاد هذا الفكر إلى الإنسان الطبيعي وهو الإنسان العولمي بجشعه الذي لا يعرف الحدود لا إدراك له و لا قيم توجهه .

*توعية الشباب بضرورة توجيه و مراقبة الهوية الالكترونية ومجرى العلاقات الاجتماعية علي صفحات الفايس بوك، و التمييز بين الصفحات بحسب طبيعة العلاقات حدودها و الغاية منها، و لتحقيق الفصل بين الحيز الشخصي و الحيز المهني، لتفادي إشكاليات تجاوز العلاقات الاجتماعية في الوسط الفضاء الافتراضي الى الحيز الشخصي .

-تعزير صلة شبابنا بدينه، تاريخه، لغته و تراثه الحضاري باعتباره سفيرا له، وتعميق دوره باعتباره ذاتا فاعلة و مسؤولة في الوسط الافتراضي، وبالتالي فهذه المسؤولية فردية وجماعية في تفس الوقت لأنها تتعلق بحاضر و مستقبل الأمة، وهذا الوعي يمكنه من الاستخدام العقلاني و الأخلاقي لهذا الفضاء لغايات نبيلة تخدم أمتنا و تعزز صلة الشاب بلغته .

-توظيف شبكات التواصل الاجتماعي وتوجيهها لبث ثقافة المواطنة لدى الشباب و تقوية الروابط الجمعية بين أفراد المجتمعية من خلال تنظيم النشاطات التوعوية، التطوعية والخيرية ...الخ إلى تعزز ممارستهم الهوياتية في الواقع.

-تعزيز استراتيجيات المرافقة الالكترونية للشباب باستخدام تقنيات التعليم عن بعد لمتابعة ديناميكية الجماعات الالكترونية والقيم المتداولة فيها، وترسيخ تاريخنا الحضاري وقيم الثقافة الإسلامية السمحاء ليساهم بدوره في الترويج لها عبر شبكات التواصل الاجتماعي .

-ترسيخ تقاليد الرقابة الذاتية لدى الشباب من خلال دعم قيم الروحية الأصيلة عبر التنشئة الاجتماعية و تعزيز روح المسؤولية الجماعية عن كيان مجتمع و الوطن باعتباره رمز الانتماء، حاصرة و مستقبله.

-إعداد نشئ منفتح على الأخر من منطلق كونية الإنسان المسلم الذي لا يتصادم مع الآخر بل يحتويه و يتقن فنيات الحوار الحضاري من منطلق عالمية رسالة الإنسان المسلم .

-وفي هذا المقام يحضرنا قول على بن ابي طالب رضي الله عنه : «لا تكرهوا أبناءكم على عاداتكم فإنهم ولدوا في زمان غير زمانكم « مرافقة الشباب و الاستماع إليه مع الثقة في قدراته و إمكانياته و توعيته بالمسؤوليات الموضوعة على عاتقه، و لا يتأتى ذلك إلا من خلال إشراكه الفعلي في القضايا الأساسية ليدرك حقيقة ذلك و تحصل النقلة النوعية و السلسة بين الأجيال .

قائمة المراجع :

1- .عبد الاله بلقزيز «العولمة و الهوية الثقافية عولمة الثقافة ام ثقافة العولمة»، مجلة المستقبل العربي، العدد 22، مارس 1998، ص 98

2- عادل بن الحاج رحومة، «تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر الفضاءات الاتصالية و المعلوماتية «، مجلة اضافات، العدد 9،لبنان، 2010، ص132

3- موزة عبيد غباش، هويتي، شمسة بنت سهيل للنساء المبدعات، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص 173

4- فتحية محمد أحمد إبراهيم، أزمة الهوية الثقافية في عصر العولمة: رؤية أنثروبولوجية، مجلة الملك سعود، العدد 2003،15، ص ص 119-120

5- محمد عابد الجابري، العولمة و الهوية الثقافية، عشر اطروحات، مجلة المستقبل، العدد 288، 1998 www.aljaberiabed.net /n06_01jab_awlama.ntm

6- رشيد ميموني، البعد الاجتماعي في القران مقاربة سوسيومعرفية، مخبر علم الاجتماع الاتصال، جامعة قسنطينة، 2009 ص 172.

7- حسن خليل، قضايا قيد التكوين –تعددية، هويات و انتماء وطني –،ط 1، دار الفرابي، لبنان، 2011، ص 68

8- محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 1

9- Robert Campeau et Michel sirois et d'autre .Individu et societé initiation à la sociologie , éd :gaetan morin , canada ,2008,p77

10- عبد الوهاب المسيري، الهوية و الحركية الاسلامية، تحرير : سوزان حرفي، دار الفكر المعاصر : بيروت، 2009، ص 145

11- نصر الدين بن غنيسة، عن أزمة الهوية و رهانات الحداثة في عصر العولمة، ط1، منشورات الاختلاف، لجزائر، 2012، ص 15

12- طه عبد الرحمن، روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الاسلامية، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2009، ص 78

13- علي ليلة، اختراق الثقافة و تبديد الهوية، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، 2012، ص 193

14- انتوني جيدنز، علم الاجتماع، تر : فايز الصياغ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2005، ص 90

15- المرجع نفسه، ص ص 91/ 92

16- فضيل دليو، علم الاجتماع المعاصر ثنائياتة النظرية و المنهجية، مخبر علم جتماع الاتصال، قسنطينة، 2004، ص ص 27/ 28

17- ألان توران، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، تر : جورج سليمان، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،2011، ص، 177

18- عبد الغني عماد، الثقافة و تكنولوجيا الاتصال، التغيرات و التحولات في عصر العولمة و الربيع العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 2012، ص 92

19- المرجع نفسه، ص 95

20- عبد الوهاب المسيري، المرجع نفسه، ص 146

21- طه عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص ص 157/ 158

(*) فايس بوك، http: / /fr.wikipedia.org /wiki /Facebook

22- علي ليلة، تأثير الفايس بوك على الثقافة السياسية و الاجتماعية للشباب، المركز العربي لأبحاث الفضاء الالكتروني، 10 /www.accronline.com/ 09/ 2013 ص67

23- نصير بوعلي، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الاعلام، منشورات اقراء، قسنطينة، 2009 ص 24

التجربة التنموية في تونس
الإشكالات والأفاق

L’expérience de développement en les difficultés :Tunisie et les precpectives

د.فاتن مبارك، جامعة سفاقس، تونس

ملخص

ارتبطت التجربة التنموية في تونس أساسا بخيارات سياسية متأثرة بالظروف المحلية والعالمية وتتلخص هذه التجربة في ثلاث مراحل رئيسية يمكن من خلالها أن نفهم الخيارات الاقتصادية التي مرّ بها الاقتصاد التونسي منذ الاستقلال أي منذ سنة 1956 إلى حدود 14 جانفي 2011 تاريخ سقوط نظام بن علي، من المهم بمكان، أن نضع المسألة ضمن إطارها التاريخي والاجتماعي والاقتصادي، لأن تونس مرت بتجربة تنموية أثّرت في مسارها التاريخي والاقتصادي والاجتماعي. فالخيارات الاقتصادية والتنموية أثرت بشكل بارز في تشكل التجربة التنموية في تونس وما مرّت به من أزمات وإخفاقات أثرت في مؤشرات التنمية وكانت لها تداعيات على ظاهرة الفقر وظاهرة البطالة في تونس.

La Tunisie a vécu une expérience de développement lié essentiellement aux choix politiques influencés par les conditions locales et mondiales. On peut parler dans ce cas de trois principales phases par lesquelles on peut comprendre le système économique en Tunisie depuis l›indépendance, c’est à dire depuis 1956, jusqu’au le mouvement révolutionnaire 14 Janvier 2011 et la chute du régime de Ben Ali.

Il est important, de mettre en question le cadre historique, social et économique dont l’expérience de développement a était créer. Les choix économiques a bien crée une expérience de développement identique a vécu aussi des crises et des échecs qui vas influencer sur le taux de pauvreté et le taux de chômage en Tunisie.

مقدمة

يطرح موضوع التنمية في تونس عموما إشكالات عديدة ومركبة مرتبطة بما هو سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي وحتى نفسي، من المهم بمكان أن نضع المسألة ضمن إطارها التاريخي والاجتماعي والاقتصادي، لأن تونس مرت بتجربة تنموية أثّرت في مسارها التاريخي والاقتصادي والاجتماعي. فالخيارات الاقتصادية والتنموية كانت مرتبطة أساسا بالخيارات السياسية التي أثرت بشكل بارز في تشكل التجربة التنموية في تونس وما مرّت به من أزمات وإخفاقات أثرت في مؤشرات التنمية وكانت لها تداعيات على ظاهرة الفقر وظاهرة البطالة في تونس.

I. إشكالية المفهوم

يدل مفهوم التّنمية لغة[1] على الزيادة والنّماء والوفرة والمضاعفة والإكثار، بينما يتّخذ مفهوم التنمية الاصطلاحي دلالات مختلفة ، إذ تعرف التنمية بكونها مجموعة من التحولات التقدمية العميقة والهيكلية في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يتيحها النمو الاقتصادي المتواصل. فهي تعني مجموعة من الاختيارات المتناسقة (سياسية واقتصادية واجتماعية و ثقافية ومجالية) تحدد طبيعة الوسائل و الإجراءات التي تفرض تحديد الأولويات.

فالتنمية «ليست صعود مجتمع إلى مستوى أعلى من الإنتاج أو العقلانية ولكن المرور إلى مستوى أرفع من التاريخانية وإلى نسق من الفعل التاريخي المختلف، لذلك فإنّ نظرية التنمية ليست هي نظرية النّمو، كما أنّها لا تفسّر آليات التطوّر ولكن آليات المرور من مجتمع إلى آخر».[2] وترتبط التنمية أيضا بالتحديث والتغيير والعصرنة وتحقيق مؤشرات النمو الاقتصادي والرفع من الإنتاجية وتحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي والصناعي والاعتماد على العقلانية والتصنيع هذا في مفهومها العام، أما في مفهومها الأكثر خصوصية فهو مرتبط بالمجال الترابي الذي يخوض في معنى المحلي أو الجهوي.

فالتنمية المحلية لا تستوجب النمو المادي والمرافق والخدمات فحسب، بل تتعدى إلى ما هو هيكلي وبنيوي. هي إذن آلية داخلية تتطلب تواجد فاعلين محلين (اجتماعيين ، اقتصاديين ، ثقافيين ، وسياسيين) لهم صلة وثيقة بالجهة بحكم الانتماء والهوية والاستشراف المستقبلي والمصلحة كذلك. هؤلاء الفاعلين المحليين قادرون على النهوض بالجهة من حيث هي إمكانات يجب استغلالها، وإطار عيش وجب تحسينه وانتماء ترابي تؤسس للهوية يتحتم تلميع صورتها لتكون منطقة جذب السكان والإطارات والمستثمرين بدأ بأصيلي المنطقة وليس منطقة تنفير لا تستطيع حتى شد سكانها لعدم توفر الشغل. فلا وجود لتنمية

جهوية أو محلية دون وجود فاعلين جهويين أو محليين، يأخذون على عاتقهم عملية التنمية بالإضافة طبعا إلى الفاعلين الخارجيين سواء كانوا من الوطن أو من خارجه وتدخل الدولة التي تعتبر من أهم الفاعلين مهما كان النظام السياسي والاقتصادي المتبع وذلك لمساعدة الفاعلين المحليين إن وجدوا وخلقهم إن فقدوا.

II. التجربة التنموية في تونس من 1956-2011

كما أسلفنا الذكر كانت التجربة التنموية في تونس مرتبطة أساسا بخيارات سياسية متأثرة بالظروف المحلية والعالمية وتتلخص هذه التجربة في ثلاث مراحل رئيسية يمكن من خلالها أن نفهم الخيارات الاقتصادية التي مرّ بها الاقتصاد التونسي منذ الاستقلال أي منذ سنة 1956. «إن الاستقلال يعني القطع نهائيا مع كل أشكال التبعية. ولكنه إذا ما عبّر عن نهاية الأشكال القديمة للتبعية مع فرنسا بين 1956 و 1961 فإنّ هذا الاستقلال الجديد بالنسبة إلى الميتروبول يصاحبه رباط تبعي جديد تجاه رأس المال الأمريكي الجاري التطبيق لحظة استقلال تونس، بتمكين كل بلد مستقل يوجد خارج العالم الشيوعي من مساعدة اقتصادية، خاصة بلدان الأطراف بالنسبة إلى العالم الحر، التي تمثل مصلحة استراتيجية هامّة بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية» [3]

1. مرحلة التأميم: 1956-1961 :

كانت مرحلة تأميم الاقتصاد التّونسي وتحريره من مخلّفات الاستعمار بعيد الاستقلال سنة 1956 من أولويات بناء الدولة الوطنية ومن البرامج الأساسية لحكومة بورقيبة. أمّمت الحكومة التّونسيّة القطاعات الحيويّة كالقطاع المصرفي وشركة الكهرباء والماء، وشركات النّقل. وأسّست شركات وطنيّة كالملاحة، والسّكك الحديديّة والطّيران، وأصدرت العملة الرّسميّة الوطنيّة «الدّينار التّونسي». وفي سنة 1957 قامت الحكومة بحلّ نظام الأحباس (الوقف) الخاصّة والعامّة الفلاحيّة باعتبارها عائقا أمام تطوّر الفلاحة، «وتميّزت هذه المرحلة بإتباع سياسة ليبراليّة قائمة على تشجيع الاستثمار والتّجارة الخارجيّة بجانب سيطرة الدّولة على القطاعات والمؤسّسات الحيويّة»[4]، من أجلها حصلت الحكومة على امتيازات جبائيّة وتسهيلات في القروض في الخماسيّة التي تلت الاستقلال لتحفيز مشاركة أكبر للقطاع الخاص.

2. مرحلة التعاضد: 1962-1971

بدأت هذه الفترة مع تولي أحمد بن صالح[5] مهام كاتب الدولة للتصميم والمالية والتجارة. وقد كانت الفكرة الأساسية لهذه التجربة ترتكز أساسا على التدخل المكثف

للدولة لتطوير الاقتصاد، وقد اعتمد هذا التوجه التنموي على التخطيط الشامل لكل القطاعات ضمن تجربة ارتكزت أساسا على سياسة التعاضد خاصة في القطاعين الفلاحي والتجاري. ولتمويل هذه السياسة، تم التّرفيع في نسبة الضرائب والضغط على الأجور والتخفيض في قيمة الدينار،كما تم الالتجاء إلى القروض الخارجية. وفي ماي 1964، تمّ انتزاع أراضي المعمّرين (المزارع التي كانت لا تزال بحوزة الأجانب – فرنسيّون وإيطاليّون)، وتحويل ملكيّتها للدّولة أو للتّعاضديّات الفلاحيّة، ثم بعث ضيعات دوليّة (حكوميّة) يديرها مباشرة ديوان الأراضي الدّوليّة. وتشير الإحصائيّات إلى أنّ نسبة الأراضي الجماعيّة أو ما يعرف بالتّعاضديّات سنة 1969 بلغت نسبة 90٪ من مجمل الأراضي.

انطلق إرساء سياسة التعاضد ببعث تعاضديات إنتاج نموذجية على أراضي الدولة ثم تجميع صغار الفلاحين في إطار تعاضديات إنتاج مماثلة إلى جانب تعاضديات خدمات بهدف تعصير طرق الإنتاج في القطاع الفلاحي وتشغيل اليد العاملة. كما وقع تجميع عديد التجار في تعاضديات كبرى وإنشاء الشركات الجهوية للتجارة والشركات الجهوية للنقل، وفي إطار هذا التوجه الاشتراكي، كانت الدولة هي أهم باعث وممول للمشاريع الصناعية وساهمت في بعث مشاريع مشتركة بتمويل خارجي ورصدت لذلك اعتمادات كبيرة.

وقد تميزت سياسة التصنيع خلال هذه الفترة ببعث أقطاب صناعية ذات أبعاد تنموية شملت أنحاء عديدة من البلاد. رغم هذه المكاسب، لم تتمكن التجربة الاشتراكية من تحقيق كل أهدافها، حيث لم تتجاوز نسبة النمو الاقتصادي 5,3% بين 1960 و1971[7] كما اتسمت هذه الفترة بركود الإنتاج الفلاحي وعدم إسهام حركة التصنيع في الحد من التفاوت الجهوي وفي التخلص من التبعية الصناعية للخارج، شهدت نهاية الستينات أزمة اجتماعية تزامنت مع أزمة قطاع التعاضد الذي واجه إلى جانب الصعوبات الطبيعية، معارضة كل الأطراف خاصة عند اتخاذ قرار تعميم التعاضد، فتم التّخلي في سبتمبر 1969 عن «التجربة الاشتراكية» لفائدة نموذج تنموي يتميز بانفتاح اقتصادي تدريجي.

3. مرحلة الرأسمالية المقيّدة: 1970– 2011

بحلول سنة 1970 بدأت حقبة جديدة للاقتصاد التّونسي إثر تقرير صادر عن البنك الدولي يبرز حجم العجز المالي للمؤسّسات الوطنيّة وهو حصاد التّجربة الاشتراكية. واتّجهت البلاد منذ ذلك الحين عمليّا إلى اقتصاد السّوق، واتّخذت الحكومة خطوات عمليّة لتحجيم تدخّل الدّولة في القطاع الصّناعي وقامت بتشجيع القطاع الخاص. وتعزّز أداء الاقتصاد التّونسي بإنشاء نظام «حوافز الإستثمار الأجنبي» في عام 1971، الذي منح عدّة حوافز ضريبيّة وماليّة للمستثمر الأجنبي، من بينها إعفاء المواد الخام والمعدّات التي تدخل في الإنتاج من الرّسوم الجمركيّة، ومنح إعفاء ضريبي لمدّة 10 سنوات، مع حرّيّة تحويل

الأرباح إلى الخارج. وقد أتاح ذلك لتونس جلب الاستثمارات الأجنبيّة المباشرة، خاصّة الصّناعات التّحويليّة، وخلق الكثير من فرص العمل في قطاع الملابس وغيره من قطاعات الصّناعات التّحويلية.

واستمرّ الاقتصاد التّونسي في هذا النّهج، ومرّ بأزمات اقتصادية أشدّها التي حدثت خلال الفترة 1982-1986، حيث بلغ العجز في الحساب الجاري خلالها 7.8٪ من النّاتج المحلّي الإجمالي، وارتفع الدّين الخارجي إلى 56٪ من النّاتج المحلّي الإجمالي. [7] فزادت الاضطرابات الاجتماعية بشكل كبير نتيجة تخفيض أجور العمّال، وباشر الإتّحاد العام التّونسي للشّغل[8] في تنظيم الإضرابات والاحتجاجات ضدّ ارتفاع معدّلات البطالة حتى وصلت ذروتها يوم الخميس 29 جانفي 1978 يوم الإضراب العام الذي نظّمه الاتّحاد وواجهته الحكومة حينئذ بشكل دمويّ حيث قتل فيه المئات من العمّال.

استمرّ تبنّى الاقتصاد التّونسي منهج الإصلاح اللّيبرالي - وإن ظهرت ملامح الاقتصاد اللّيبرالي لأن حضور الدّولة لا يزال أساسيّا في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعيّة. «فخلال الستينات والسبعينات مرّت تونس من اشتراكية تسلطيّة إلى ليبراليّة تفتح أبوابها الكبرى إلى المبادرة الخاصّة المحليّة والرأسمال الأجنبي، إنّ سياسة «اغتنوا بسرعة» هذه سجّلت نسبة نموّ مرتفعة خاصّة في القطاعات الصّناعية التصديرية والسياحة. ولكن تكلفتها الاجتماعية والسياسية كانت ثقيلة وتمثلت في قلب البنية الاجتماعية وتشتيت الطبقات [9].

بدأت الحكومة مع صندوق النّقد الدّولي في تنفيذ خطّة الإصلاح الهيكلي من خلال التّوقيع على اتّفاق بشأن برنامج الانتعاش الاقتصادي. وبدأت معاناة خرّيجي الجامعات في العثور على عمل في أوائل التّسعينات، وارتفع معدّل البطالة إلى 15٪ بعام 1999. وعلى الرّغم من استمرار تدفّق الإستثمار الأجنبي المباشر، فإن الإستثمار المحلّي الخاص لم يزد إلّا بنسبة طفيفة، من 12.3٪ من إجمالي النّاتج المحلّي في عام 1997 إلى 14.2٪ في عام 2007، كما بدأت آثار الانكماش العالمي على النّشاط الاقتصادي في تونس تبرُز بشدّة خلال الثّلاثيّة الأخيرة من 2008. وسجّلت صادرات كافة قطاعات الإنتاج المحلّي تراجعا ملموسا (-17,1 %) خلال شهري جانفي وفيفري 2009 مقارنة بنفس الفترة من سنة 2008. أمّا القطاعات الأكثر تضرّرا فهي على التّوالي قطاع المناجم والفسفاط ومشتقّاته بنسبة تراجع 33,7٪ ثمّ تجهيزات النّقل (-30,5%) وقطاعي الفلاحة والصّناعات الغذائيّة (-23,7%) والجلد والأحذية (-20,3%). وكانت الحصيلة الحراك الثوري 14 جانفي 2011.

III. تداعيات الحراك الثوري في تونس وتفاقم الإشكالات

1. المواصلة في مرحلة الانكماش:

لقد كان السبب الرئيسي وراء اندلاع الحركة الشعبية في تونس التي أدت إلى سقوط نظام بن علي هو تدهور الوضع الاجتماعي والاقتصادي ومن تفاقم ظاهرة الفقر والبطالة . ولكن بعد ثلاث سنوات من اندلاع هذا الحراك الثوري لم يتغير الوضع الاقتصادي كثيرا فقد ارتفع معدل البطالة بشكل ملحوظ إذ أفرزت نتائج المسح الوطني حول السكان والتشغيل لثلاثي الأول من سنة 2014 إلى تقدير عدد العاطلين عن العمل ب 605.8 ألفا من مجموع السكان النشيطين الذي يبلغ عددهم 3998.3 ألف وتقدّر بذلك نسبة **البطالة** ب 15.2 ٪مقابل 15.3 ٪ خلال الثلاثي الرابع لسنة 2013 [10] ، ومواصلة مرحلة الانكماش بأكثر حدّة نتيجة تدهور الوضع الأمني، الأمر الذي أدّى إلى حرق العديد من المؤسّسات وإتلاف معدّاتها وغلقها، وكثرت الإضرابات عن العمل، وهو ما أثّر على مستوى الإنتاج.

تقلّص مستوى الإنتاج الصّناعي في الشهرين الأولين لسنة 2011 بـ ٪13 خاصّة بالنسبة للصّناعات المعمليّة والفسفاط ومشتقّاته، وقد أثّر ذلك على الخدمات، وشهد القطاع السّياحي انهيارا وتقلّص بنحو ٪60، كما تأثّر قطاع النّقل وجميع قطاعات الإنتاج المرتبطة به. وكان لهذا تأثيره على التّشغيل إذ سجّلت تونس خسارة في مواطن الشّغل، كما انهارت التّجارة الخارجيّة وتقلّصت الصّادرات والواردات بأنواعها، وهذا أثّر على الاحتياطي في العملة الصّعبة، كما شهدت السّوق الماليّة انهيارات بنسبة ٪18 في البورصة. وكان النّمو سلبي خلال سنة 2011 (-2,2)، إلّا أنّه تحسّن سنة 2012 وبلغ ٪3.2[11].

هذه الأوضاع كانت له تأثيرات مباشرة على التّشغيل والإنتاج والاستثمار. وقد أثّر ذلك على مكانة تونس كوجهة سياحيّة. ولعلّ ما زاد في تعميق الانكماش، الأزمة اللّيبية والمشاكل الحدوديّة ، هذا إضافة إلى ارتفاع تكاليف المعيشة وخاصة أسعار المواد الاستهلاكية، وقد أفرزت الأشغال الدورية للمسح الشهري حول أسعار البيع عند الإنتاج الصناعي نسبة تضخم في شهر سبتمبر من سنة 2014 بـــ 3,6% مقابل 3,4% في شهر أوت من نفس السنة[12] إلى جانب الانفلات الأمني وانتشار العنف في المجتمع التونسي، مما سبب هروب عديد المستثمرين الذي زاد في تأزم الوضع الاقتصادي وزاد في توتر العلاقة بين الترويكا[13] الحاكمة والمعارضة ، خاصة الاتحاد العام التونسي للشغل الذي قاد الحوار الوطني والذي نتج عنه الإطاحة بحكومة علي العريض[14] وهي الحكومة الرابعة بعد الثورة لصالح حكومة تقنوقراط Technocrate (حكومة مستقلة غير حزبية).

2. اختلال التوازن الإقليمي والجهوي

فتح الحراك الثوري في تونس الطريق للحرية على اثر سقوط الدولة البوليسية. فقد أحيا هذا الحراك الأمل في تحقيق تنمية متوازنة بين مختلف الجهات وكانت الثمرة الأولى تأسيس وزارة خاصة بالتنمية الجهوية باعتبار أن الاختلال في مستويات التنمية بين الجهات الداخلية والساحلية كان سببا فاعلا في اندلاع هذه الاحتجاجات التي أطاحت بنظام بن علي. لقد كانت السياسات الاقتصادية منذ الستينات من القرن الماضي إلى حدود 14 جانفي 2011 تكرس اختلال التوازنات الإقليمية والجهوية بين ساحل البلاد و داخلها، كما ساهمت التجربة الليبرالية في انفتاح البلاد التونسية وربط اقتصادها بالخارج مما دعم دور الساحل على حساب الداخل. واستأثرت السواحل التونسية الشرقية بأهم تجهيزات النقل كالموانئ والمطارات والطرقات والسكك الحديدية واحتكرت أكثر من 90 ٪ من الأنشطة الاقتصادية والتجهيزات السياحية ويتركز بها أكثر من ثلثي سكان البلاد. في حين تراجعت المكانة الوظيفية للجهات الداخلية نتيجة عدم قدرتها على استقطاب الاستثمارات والأنشطة الاقتصادية.

تعمقت الفجوة التنموية بين الجهات الداخلية والساحلية في ظل التجارب التنموية السابقة في عهد نظام بورقيبة ومن بعده بن علي وظلت شعارات التوازن الإقليمي والجهوي حبر على ورق في مخططات التنمية السابقة سيناريوهات التهيئة الترابية هذا من جهة، ومن جهة أخرى دخلت البلاد التونسية في عقود شراكة مع الإتحاد الأوروبي سنة 2008 ، والدعوة الصريحة إلى تحرير الاقتصاد الوطني والانفتاح على الاقتصاديات الأخرى أدى إلى تراجع دور الدولة، وأصبحت الدولة تلعب دوراً سياسياً فقط الهدف منه مراقبة التراب الوطني وتحركات السكان دون الخوض في العملية الإنتاجية. كما اقتصر دورها فقط على تقديم بعض الخدمات الأساسية لبعض الجهات.

تدعمت مكانة القطاع الخاص الذي سيطرت عليه عصابات النظام البائد الأمر الذي كرس اختلال التوازن الإقليمي والجهوي بدعوى الدخول فيما يسمى بالعولمة الاقتصادية. وساهمت هذه العولمة في تكريس ظاهرة « السوحلة » باعتبار أن المدن الساحلية لها القدرة على منافسة أكبر المدن على الضفة الشمالية للمتوسط ، الأمر الذي أدى إلى تعقد إشكالية التنمية الجهوية و صعوبة التأقلم مع المعطيات الجديدة للمجال الوطني.

3. الوضع الاقتصادي العام بعد الحراك الثوري 2011

إن المشهد الاقتصادي العربي اليوم بعد هذا الحراك الاجتماعي القوي الذي أطاح بنظم سياسية وأفرز أخرى جديدة من حيث المضمون والرؤى يعاني الكثير من المشكلات

البنيوية والهيكلية التي كانت دافعا للكثير من النظم الداخلية أفرادا وجماعات إلى ممارسة العنف مثلما يحدث في المجتمع التونسي الذي أصبح يعاني من هذه الظاهرة بشكل ملفت للنظر وقد يعود ذلك إلى إخفاقات في سياسة التنمية والتفاوت في مستويات المعيشة وارتفاع نسب البطالة والفقر الذي أصاب عديد الشرائح الاجتماعية المتوسطة منها خاصة. وبالعودة إلى مؤشرات الفقر والتفاوت الاجتماعي حسب المسح الوطني لسنة 2005 نلاحظ أن 3,8 بالمائة من السكان أي قرابة 400 ألف ساكن يعيشون تحت خط الفقر الأدنى وتمثل هذه الشريحة النواة الصلبة للفقر في المجتمع التونسي، بالإضافة إلى أنّ 11,5 بالمائة من السكان أي قرابة مليون ومائتي ألف تونسي يعيشون تحت خط الفقر الأعلى[15]، وهي فئة تتسم بالهشاشة من حيث موارد رزقها بحيث يمكن لها أن تنزلق في اتجاه الخصاصة المطلقة على إثر حدوث ّ أي طارئ خارجي سلبي.

تساهم هذه المؤشرات الاقتصادية السلبية في ظهور تصدعات اجتماعية وبدورها التصدعات الاجتماعية توفر كل مستلزمات بروز ظاهرة العنف في الفضاء الاجتماعي. فتراكم المشكلات وعدم وجود حلول عميقة يؤدي إلى حالة التأزم وتراكم الأزمات يؤدي إلى الشعور بالإحباط الذي يؤدي إلى شحنات من الغضب «وردود أفعال آنية ومشوشة يعبر ليس فقط عن عنف أفراد منعزلين وإنما عن عنف بنيوي لنظم ومؤسسات ممتدة اجتماعيا في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والإعلام والاتصال وحتى التربية والتعليم.[16]

4. الوضع الاجتماعي والثقافي

إذ ما تجاوزنا الملاحظة الميدانية واتجهنا إلى وسائل الإعلام والاتصال يذهلنا استخدام كلمة أزمة في كل المجالات، الأزمة السياسة والأزمة الاجتماعية والأزمة الاقتصادية.

والسؤال المطروح لماذا وصلنا إلى هذه الحالة من الأزمات التي تتجاوز كمّا وكيفا الحدود المقبولة؟ وقد يعود ذلك إلى أننا لا نتعامل مع ظواهر اجتماعية فردية محدودة، وإنما نتعامل في اعتقادي مع إشكالية مجتمعية ثقافية وبنيوية، متشابكة متبادلة التأثير والتأثر، «فظاهرة العنف لا توجد بطريقة تلقائية وإنما يتم صنعها مثلها مثل الهوية الاجتماعية، والأمراض النفسية، والمشكلات الاجتماعية. كلها أنماط وإنتاجات ثقافية التكوين والتشكيل والتلوين،[17] ولعل من أهم أسباب العنف المصالح المتضاربة، فالمصالح المادية والمعنوية هي التي تسيطر لا الأفكار، سيطرة مباشرة على أعمال الناس، وتتحكم فيها. وكثيرا ما تتحول هذه المصالح إلى محولات منتجة لمظاهر العنف.

إنّ تضارب المصالح داخل المجتمع التونسي الذي ظهر بشكل جلي في الفترة الممتدة من 2011 إلى 2013، سواء كانت الدينية أو الاجتماعية أو ألأيديولوجية أدت إلى حالات من تبادل العنف الغير معتادة على المجتمع متمثلة في التصفية الجسدية وأعمال التخريب

والحرق لمراكز الأمن ومؤسسات عمومية وغيرها من موجات العنف التي أصبحت تعبر عن فقدان للأمن والعدالة فأصبح الأفراد يلجئون إلى أخذ حقوقهم بطرقهم الخاصة.

الخاتمة

لا يمكن أن ننكر أنّ المجتمع التونسي يعاني من أزمة أمنية خلال هذه الفترة تعود إلى عدة أسباب أهما أن الفاعل الاجتماعي لم يعد يتعامل بثقة مع المنظومة الأمنية ونلاحظ أن هناك تجرء واضح من قبل العديد من الأفراد على مداهمة المراكز الأمنية والتعدي بالعنف على بعض الأعوان وحرق المؤسسات الأمنية وقد يفسر هذا في بداية الأزمة بردة الفعل الغاضبة من قبل الأفراد بعد أحداث 14 جانفي 2011 على الأمن ومن يمثله وذلك لانتشار الفساد المالي والأخلاقي في هذه المنظومة طيلة حكم النظام السابق، ولكن تواصل هذا العنف الموجه ضد المنظومة الأمنية إلى حد الآن يشير إلى الأزمة الحقيقة التي تواجهها هذه الأخيرة في كيفية التعامل مع الأفراد من جهة وفي كيفية استرجاع مكانتها الرمزية في المجتمع كحام للممتلكات العامة والخاصة الأفراد على حد سواء.

وفي سياق متصل، فإن الشعور بغياب العدالة الاجتماعية، وتأجيل المحاسبة السياسية والاجتماعية التي ساهمت في ظهور فئة جديدة من ذوي النفوذ في المجتمع بالمال والثروة والتسلط السياسي والاجتماعي، وضعف تكافؤ الفرص في المشاريع والحقوق الاجتماعية الطبيعية والمدنية، وغلاء الأسعار بصورة عامة، ، «ذلك كله يمثل مناخًا ملائمًا لتقبل أفكار العنف وثقافتها، كمخرج سريع من تلك الأزمات والمآزق، خاصة إذا ما تطورت وتناغمت حتى بلغت حدًا يصعب السيطرة عليه أو معالجته»[18].

وبالتالي فإن المنظومة الأمنية اليوم في حاجة لأن تعيد مكانتها الرمزية داخل المجتمع حتى تتمكن من التعامل بشكل عملي وناجع مع المشكلات التي يمكن أن تعترضها عند مواجهتها لموجات العنف ، فهي في حاجة لتعامل مباشر مع المجموعة الاجتماعية ليس لتثبت قوتها من حيث الترسانة الأمنية وإنما لتثب مكانتها من حيث مهامها في تأمين الأمن للأفراد مهما كانت إنتماءاتهم. فالمنظومة الأمنية في تونس عاشت لسنوات عديدة تحت وطأة نظام استعملها من أجل أن يحكم بقوة السلطة المجتمع والبلاد واليوم يطالب الجميع وخاصة المعارضة السياسية بتحييد هذه المنظومة وإفراغها من كل

التوجهات والمصالح السياسية، يمكن أن نقول إذن أن هناك أزمة ثقة متبادلة من جميع الأطراف وخوف من أن تستعمل هذه المنظومة في بناء ديكتاتورية جديدة تحت أي مسمى.

المراجع

1- معجم اللغة العربية، ص45.

2- Touraine, Alain, la conscience ouvrière, Seuil, Paris, 1966, p.24.

3- المولدي القسومي: « السياسة التنموية في تونس والحوار الاجتماعي: بحث في المنوال التعاقدي ومساهمة الفاعلين الاجتماعين»، مجلة التنوير العدد الرابع، مركز التوير المعرفي، سنة 2014 ، ص5.

4- عبد الباقي الهرماسي: «المجتمع والدولة في المغرب العربي». مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 1996 ، ص7.

5- أحمد بن صالح، سياسي ونقابي تونسي شغل عدة حقائب وزارية في فترة الستينات وهو متبني فكرة التعاضد في تونس.

6- المعهد الطني للإحصاء http ://www.ins.nat.tn/indexar.php

7- المعهد الوطني للإحصاء http ://www.ins.nat.tn/indexar.php

8- الاتحاد العام التونسي للشغل هو منظمة نقابية تونسية تأسست في 20 جانفي 1946، وقد جاء تأسيس الاتحاد بعد فشل محاولتين سابقتين لتأسيس منظمة نقابية وطنية هما جامعة عموم العملة التونسية الأولى في العشرينات ثم الثانية في الثلاثينات..

9- المولدي القسومي: « السياسة التنموية في تونس والحوار الاجتماعي: بحث في المنوال التعاقدي ومساهمة الفاعلين الاجتماعي»، مجلة التنوير العدد الرابع، مركز التوير المعرفي، سنة 2014، ص2.

10- إحصائيات 2014، المعهد الوطني للإحصاء http ://www.ins.nat.tn/indexar.php

11- نفس المصدر السابق.

12- نفس المصدر السابق.

13- الترويكا هي ائتلاف حاكم رئاسيا وحكوميا وبرلمانيا يتكون من ثلاثة أحزاب ذات الأغلبية الممثلة في المجلس الوطني التأسيسي التونسي لتكوين أغلبية مستقرة في الحكم في تونس.

14- علي الْعُرَيِّض، كان وزيرا للداخلية في حكومة حمادي الجبالي بين 2011 و2013، ثم رئيس الوزراء من 14 مارس 2013 إلى29 يناير 2014 .

15- المعهد الوطني للإحصاء http ://www.ins.nat.tn/indexar.php

16- سالم ساري:» ثقافة العنف المجتمعي وأسئلة التنمية والتحديث» ، مجلة فيلادلفيا الثقافية، العدد الثامن ،2011، ص 32.
17- خولة احمد يحيى:»الاضطرابات السلوكية والانفعالية»، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى، عمان2000، ص 14.
18- مقدم سهيل، من أجل إستراتجية فاعلة في مواجهة العنف الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، الجزائر، 2012، ص375.

واقع التنمية الاجتماعية الاقتصادية للمرأة في المجتمع الجزائري
دراسة سسيولوجية إحصائية

د/ سعداوي زهرة ، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف

مخلص

هذه المشاركة العلمية هي عبارة عن قراءة إحصائية لواقع التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمرأة في المجتمع الجزائري وذلك من خلال التركيز على بعض المؤشرات مثل واقع التكوين المهني والتعليم للمرأة ثم تقييم حالة العمل النسوي وكذا خصائصه ومميزاته مع تعقيب وتحليل سسيولوجي لهذه المؤشرات.

Abstract

This scientific participation is a statistical read of reality social and economic development of women in Algerian society and by focusing on certain indicators, such as the reality of vocational education and training for women and then assess the situation of women's work as well as the characteristics and advantages with commentary and analysis sociologycal of these indicators.

مقدمة

إنّ عمل المرأة ليس ظاهرة إجتماعية جديدة ،فالمرأة منذ أزل التاريخ وهي تعمل في المزارع والحقول ، هذا بالإضافة إلى مختلف التغيّرات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية التي مرّت بها معظم المجتمعات البشريّة مكّنت المرأة من رفع مكانتها في المشاركة الإقتصادية ولقد كان لتعلمها الأثر الكبير في فسح فرص العمل أمامها فعملت في مختلف القطاعات الإقتصادية.

وقد أصبح عملها ضروريا اليوم لأنّ حرمان نصف المجتمع من العمل وبالتالي جعلها غير منتجة ومستهلكة فقط معناه شلّ الإقتصاد الوطني وعرقلة نموّه فالفرد يجب أن يكون منتجا قبل أن يكون مستهلكا ،فإذا لم تكن المرأة منتجة معناه بالضرورة أن الإنتاج المحلي سيتعثر ولا يسدّ بالتالي متطلبات الحياة المعاشة وغيرها وبالتالي يصبح موضوع اللجوء إلى الاستيراد لأبسط السلع حتميا. بالإضافة إلى أنّ عملها يفسح المجال لها لان تتطور فكريا وثقافيا وإجتماعيا وسياسيا ،وهذا يعني أنّها ستؤدي دورها كاملا في الإجتماعيةوالإقتصادية

والسياسية ويبقى القول بأن المرأة ستنافس الرجل في عمله وسيكون سببا من أسباب البطالة في منافستها لعمل الرجل أسطورة دحضها الواقع في العديد من بلدان العالم كما أنّ الرأي القائل بأنّ عمل المرأة في الميدان الصناعي أو الزراعي يؤثر على أنوثتها دحضه أيضا واقع الحياة ،وخاصة أننا اليوم نعيش عصر التكنولوجيا ، والملاحظ قي قضية عمل المرأة وتطوره تصدّر الدول الأروبية والغربية عامة قائمة الدول التي ترتفع فيها سبة النساء العاملات فالمرأة الغربية أسبق من غيرها في بدأ حياة الكفاح لنيل الحقوق،وكان لإنتشار المذهب الإنساني الذي تمخض عنه عصر الثورات أثرا كبيرا في نمو الشعور بالشخصية وتقرير الحقوق الإنسانية وإلغاء الرق والامتيازات الطبقية وفي القضاء على الأراء والنظريات العقيمة المنادية بعدم المساواة بين المرأة والرجل والعاملة على إتساع الهوة بينهما في الاختصاص والاستعداد ،وقد كان لهذه الصيحة أثرا كبيرا في إعطاء العناية والإهتمام بتعليم وتربية المرأة وبالتالي دفعها لسوق العمل الذي تظل فيه المرأة إلى غاية يومنا هذا تعاني من التمييز وعدم المساواة بينها وبين الرجل في مختلف القطاعات ويتفاوت هذا التمييز من بلد لآخر ،فلا زال عمل المرأة على النطاق العالمي دون المستوى بكثير .ومازال ضعيفاوهشا إذا ماتحدثنا عن المجتمعات العربية وذلك لسيطرة وتغلب القيم والتقاليد على الحياة الإجتماعية والثقافية رغم إنتشار التعليم ووصول المرأة إلى أعلى المستويات وتفوقها أحيانا كثيرة على الرجل إلاّ أنّ عملها يظل محدودا وغير مرغوب فيه أحيانا كثيرة .

والمقال الآتي يبيّن لنا حقائق ووقائع كثيرة حول مسار المرأة الجزائرية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

أولا: واقع التكوين والتعليم المهنيين للمرأة الجزائرية

1- الوضعية التعليمية للمرأة وتطورها:

إمتنع غالبية الناس في الجزائر عن إرسال بناتهم إلى المدارس في عهد الإستعمار،لأنها كانت تمنع تدريس اللغة العربية إلى جانب عدم وجود مدارس في الريف وجعل الأولوية للأولاد وكل ذلك قد أسهم في تأخر إلتحاق البنات بالمدارس [1]حيث قدرت بعض الإحصائيات أن نسبة الأمية بين النساء بلغت ٪94 عام [2] ,1954

وهو عدد مخيف جدا مما أفرز وضعية حرجة وتركة ثقيلة خلفها الإستعمار،لهذا عمدت الجزائر بعد الإستقلال لتسطير برنامج تعليمي يشمل الذكور والإناث معا وقد عملت الحكومة الجزائرية على تحديد سن التمدرس الإلزامي ،كما كان الهدف من مجانية التعليم هو إعطاء فرصا أكثر للعائلات لإرسال أبنائها وخاصة البنات إلى المدارس لأنه لا يمكن تصور مجتمع متطور ونصفه الثاني أمّي وجاهل وبفضل سياسة التمدرس التي إنتهجتها الجزائر لاقتناعها بأنها الوسيلة الوحيدة للتطور والخروج من التخلف وصلت إلى نتائج مرضية في مجال التعليم ومحو الأمية حيث يلاحظ أن الأمية بقيت منحصرة عند الفئة المسنة وأيضا النساء

بنسبة ٪40 والرجال بنسبة ٪23 وهذا سنة 1998 ولعل قراءة الجدول الآتي يوضح التطور الحاصل في مجال التعليم بداية من 1966 إلى 2002[3] .

جدول يمثل تطور معدل التمدرس من 1966 إلى 2002م للفئة المتراوحة سنها 6-15 سنة

السنوات	ذكور	إناث	المموع	الفارق بين الذكور والإناث
1966	56,8	36,9	47,2	9;19
1977	80,8	59,6	70,4	21,2
1987	8_,87	6;71	79,9	16,2
1998	85,3	80,7	83,1	4,6
2000	92,8	88	90,5	4,8
2002	94,5	90,9	92,8	3,6

من خلال القراءة المتأنية للجدول يتضح تسجيل نسبة تمدرس إجمالية عند الأطفال الذين يتراوح سنهم بين 6 و15 سنة وثبة هامة خلال الفترة -1966 2002 إذ أنتقلت من 47,2% إلى 92,8أي بفارق 45,6 نقطة وتتميز نسبة تمدرس البنات خلال هذه الفترة بتطور أسرع إذ إنتقلت النسبة من36,9٪ إلى 90,9% أي تحسن في الفارق ب54 نقطة مقابل 37,7 نقطة فقط عند الذكور. تقليص في الفوارق بين الذكور والإناث إذ بلغ هذا الفارق سنة 2002 حوالي 3,6 بينما كان في 1966 يقدر بحوالي 20 ٪.

ونلاحظ أيضا مستوى تمدرس أضعف عند البنات وهذا يمكن إرجاعه إلى المجتمع الذي يفضل تعليم الذكور على الإناث كجزء من التمييز الذي يعطي للذكور والاهتمام بهم على إعتبار أنهم مستقبل العائلة أي هذا الإختلاف قد يرجع لعوامل ثقافية إجتماعية كما يعتقد فاروق بن عطية [4]

بالإضافة إلى أن المدن الصغرى والقرى كانت دائما ترى أنّه من الضروري المحافظة على الصورة التقليدية للبنت وهي تربيتها وتأهيلها للزواج.

لكن تميّز النظام التربوي بمردود داخلي ضعيف يظهر أكثر من خلال إرتفاع عدد التلاميذ المعيدين للسنة الدراسية وكذا الذين تم إقصائهم من المدرسة والراسبين في مختلف الإمتحانات غيّر موازين الكفة وبالتالي سجلت البنات نجاحا أكثرمن الذكور في الدراسة على جميع المستويات وينعكس ذلك في إرتفاع بالغ لنسبة البنات في الثانوي والتعليم العالي وهو ما يوضحه الجداول الآتية:

جدول يمثل نسب النجاح في شهادة التعليم المتوسط(5)

السنة	1999	2002	فارق 99/ 2002
نسبة النجاح الإجمالية	%33.1	%38.8	+5.7
ذكور	%30	%35	+5
إناث	%36.2	%42.4	2, +6
فارق بنات / بنين	%6.2	%7.4	_

جدول يمثل تطور نسب النجاح في شهادة البكالوريا:(6)

النسبة	1997	2002	2004	فارق 97/02	فارق 04/02
نسبة النجاح الإجمالية	26 .9	33,1	42,5	+ 6,2	9,4+
ذكور	26. 4	3 ,32	36,4	5,9+	4,1+
إناث	27,3	33,6	44,5	3,3	10,9+
فارق بنات/ بنين	9, 0	1,3	8,1	_	_

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن نسبة عدد البنات في شهادة البكالوريا تمثل ٪ 44سنة 2004 مقابل٪ 27.3 في سنة1997 أي بفارق 10 نقاط بينما تمثل هذه النسبة عند الذكور من26,4 ٪ إلى٪ 36,4 أي بفارق10 نقاط وفي سنة 2004 بلغت نسبة النجاح في شهادة البكالوريا عند البنات 5ا44 ٪ بينما لم يتحصل الذكور إلا على نسبة36,4 ٪ وهكذا يبدو

أنّ الفتيات قد رفعن التحدي الإجتماعي بالإضافة إلى أنّه كلما إرتفعت المرأة في المستوى التعليمي تكون أكثر وعيا بوضعها مما يؤدي بها إلى المطالبة بالإستقلالية ورفض التبعية حيث يعتبر التعليم والمدرسة المجال الوحيد لإثبات وجودها.

أمّا بالنسبة لمرحلة التكوين والتعليم العالي فتدل الوضعية الحالية للمجتمع على التغيير الكبير في مجال مزاولة الفتيات لدراسات عليا رغم قطعها مسافات مئات الكيلومترات والسكن في الأحياء الجامعية،التي تكون مختلطة في بعض الأحيان وحسب تحقيق وزارة التعليم العالي يرفض الأولياء وخاصة منهم الأمهات (بنسبة٪96)تزويج بناتهم عند بلوغهم سن 18 حيث تود الأمهات (٪79منهنّ)أن تلتحق بناتهنّ بالجامعة وأغلبية الأمهات (٪85) تودّ منح نفس المستوى الدراسي للإناث والذكور لأنهنّ لاتودنّ أن تعرف بناتهنّ نفس مصير الأمهات ،لذا يوافق العديد من الأولياء بل يشجعون بناتهم على التنقل من مكان الإقامة البعيدة إلى المدن الجامعية . أما الحديث عن تطور عدد الطالبات المسجلات حسب الفروع في الجامعات فنبينه في الجدول التالي

جدول توزيع الطلبة حسب الفروع والجنس المسجلين في مرحلة التدرج [7]

	معدل الزيادة السنوية٪		2003-2002			1991_1990		
	الإناث	المجموع	حصة الإناث ٪	الإناث	المجموع	حصة الإناث ٪	الإناث	المجموع
العلوم التكنولوجية والعلوم الدقيقة	0,8	34,1	14,279	41,914	9, 29	10,050	628, 33	3
التكنولوجيا	5,7	33	28,718	86,978	29,9	13,183	44,584	6,7
العلوم الدقيقة	1,1	59,4	5,722	9,633	44,9	3,775	8,412	3,5
العاوم التطبيقية	- 11,9	29,2	267	914	_	_	177, 4	_
علوم الطبيعة والأرض	8,1	6, 65	28,162	42,923	53,1	8,916	16,803	10,1
العلوم الطبية	5	58,9	26,331	44,674	47,4	11,774	24,838	6,9
العلوم البيطرية	- 0,2	42,4	2,045	4,827	32,8	1,612	4,916	2
العلوم الاقتصادية	17,1	51,2	60960	119001	34,4	6,132	17,846	21,1
العلوم الإجتماعية	12	6,3	3,277	52,447	51,8	7,209	13,906	- 6,4
العلوم السياسية والإقتصادية	17,7	59,5	9,142	15,377	42,2	918	2,174	21,1
العلوم القانونية	20	61,9	59,596	96,334	37,9	4,264	11,247	25
اللغات والآداب	14,3	78,6	58,934	74,971	67,4	10,129	15,027	15,8
المجموع	9,5	55,4	326933	589,993	39,5	77,962	197,560	12,7

من الملاحظ أنّ الطالبات تدرس جميع التخصصات وفي فرع التكنولوجيا حتى وإن كانت حصة الطالبات ضعيفة بنسبة 33 ٪ تضاعف عددهنّ بالضعفين خلال 12 سنة

الأخيرة وفي فرع العلوم التطبيقية بلغت حصة الطالبات 29,2% سنة2003 بينما لم توجد أية طالبة مسجلة خلال 1990، من جهة أخرى إنتقلت نسبة الطالبات في فرع العلوم الدقيقة من 44,9 إلى 59,4 خلال نفس الفترة أي بزيادة 14,5نقطة.

ومن الملاحظ إقبال الطالبات على الفروع التكنولوجية التي كانت حكرا على فئة الذكور سابقا ويمكن تفسير هذا الإقبال بالحركية الجديدة للمهن كالإعلام الآلي والإلكترونيك وتعتبر العلوم الطبية من الفروع المفضلة لدى الطالبات لسنة2000 حيث تمثل نسبتها 58,9 ٪ من إجمالي طلبة هذا الفرع ،ومقارنة بسنة 1990عرفت زيادة قدرها 11,5 نقطة بنسبة 47,4 وتعتبر الفتيات أكثر عدد في هذا التخصص نظرا للنتائج الجيدة المحصل عليها في شهادة البكالوريا ،واعتبرت العلوم الطبية دوما قطاعا مغريا لأسباب إجتماعية وعملية ، ونظرة أفضل للمجتمع والأسرة ،وتسمح هذه المهنة التوفيق بين الحياة المهنية والعائلية (العمل نصف يوم،وإمكانية فتح عيادة خاصة) من جهة أخرى نلاحظ مشاركة كبيرة للفتيات في العلوم الإجتماعية والإنسانية واللغات الأجنبية ،فمن بين,930326 طالبا يتمركز68 ٪ منهنّ في 5 فروع .وخلال الفترة الممتدة بين 1990و2003 ومن أهم نسب الزيادة المسجلة يحتل فرع العلوم القانونية الصدارة بنسبة ٪25 سنويا في حين يقدر معدل الزيادة السنوية لفرع العلوم الاقتصادية والسياسية والإعلام ب ٪21وفي هذه الفروع تضاعف عدد الطالبات ب14مرة في العلوم القانونية و10مرات في العلوم السياسية والإعلام و9.9 مرة في العلوم الإقتصاديةو5.8 مرة في الآداب واللغات الحية.

وبالتركيز على المعطيات المتوفرة يصعب تحديد الدوافع التي تساعد على إختيار التخصصات بسبب نقص التحقيقات على أرض الواقع ،وترتبط هذه الصعوبة بنظام التوجيه المطبق منذ سنوات الذي يرتكز أساسا على النتائج المدرسية وطاقة الإستقبال وبالتالي تقلص هذه المعايير من الخيارات الفردية ويمكن ربط هذه الصعوبة في ذلك بنقص التجانس في المنظومة التربوية والجامعية في مجملها وبعبارة أخرى لا يمكن تفسير زيارة عدد الطالبات في فرع ما كاختيار شخصي أو تغيير حقيقي للدهنيات بدافع إجتماعي ،ويبقى توزيع الطلبة حسب الفروع والتخصصات ،يدل على أن الأفكار المسبقة هي التي توجه الفتيات نحو فروع أكثر تكيّفا للخصائص النسوية (الفروع الثقافية والأدبية) التي عادة ماتتيح فرصا للعمل النسوي ذات الأجر الزهيد كالتعليم وأشغال الأمانات ،وتخصصات أخرى تفسح المجال للفروع التكنولوجية التي أقل مايقال عنها أنها حكرا على الذكور.هذا بالنسبة لواقع تعليم الطالبات في مرحلة التدرج. فما هي حالة مابعد التدرج

جدول يمثل توزيع الطلبة المسجلون في مرحلة مابعد التدرج لسنة 2002/ 2003 حسب المستويات[8]

المستويات	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة٪	حصة الطالبات٪
شهادة ماجيستر	12,591	47,9	5,908	50,6	46,9
شهادة الدراسات الطبية المختصة	5,674	21,6	3,125	26,8	55,1
شهادة دكتوراه دولة	2,014	30,5	634, 2	22,6	32,9
المجموع	26,279	100	11,667	100	44,4

إنتقل العددالإجمالي للطلبة المسجلين في مرحلة مابعد التدرج من 14,853 طالب إلى 26,279 طالب خلال الفترة الممتدة بين 1990/ 2002أي بمعدل زيادة سنوية قدرها 4,9% وفي سنة 2002يتوزع هؤلاء الطلبة على ثلاث مستويات :دكتوراه دولة 30,5% شهادة الماجيستر 47,9% شهادة الدراسات الطبية المختصة 21,6 % وخلال هذه الفترة تضاعف عدد الطالبات المسجلات في مرحلة مابعد التدرج ب 2,8 مرة حيث إنتقل من 4,116 طالبة إلى 11,667 طالبة أي بنسبة ٪44 من إجمالي الطلبة المسجلين

وحسب المستويات ومقارنة بإجمالي المسجلين تتوزع الطالبات كمايلي :دكتوراه دولة 32,9% شهادة ماجيستر46,9 %شهادة الدراسات المختصة55,1%

وفي ختام تقييمنا للوضعية التعليمية للبنات نصل إلى أن المعطيات السابقة تبين أن الفتيات تنجحن أكثر من الذكورفي جميع مستويات وتخصصات التكوين مما يؤكد على إختفاء الإختصصات الموجهة للذكور أو الإناث ،حيث اقتحمت النساء جميع الميادين في مناصب العمل والتي كانت في الماضي حكرا على فئة الرجال إلاّ أن رغم هذه الوضعية المتطورة على المستوى الكمي والكيفي فإنها لاتعكس مكانتها ووضعيتها في سوق العمل. وقبل أن نغادر مجال التعليم والتمدرس علينا إلقاء نظرة أخرى عن واقع التكوين المهني بالنسبة للمرأة الجزائرية بما أنه يدخل هو الآخر في إطار تنميتها الاجتماعية وبالتالي الإقتصادية أيضا.

ثانيا:المرأة في التكوين المهني :من بين المهام الموكلة للقطاع العام والخاص للتكوين والتعليم المهنيين ضمان تكوينا أوليا للشباب،يسمح لهم بالحصول على منصب عمل وفق

الطلب على سوق العمل ،ويضمن القطاع أنماطا مختلفة من التكوين :التعليم في المراكز،وعن طريق التمهين وعن بعد وعن بعد ووفق نظام الدروس المسائية بخمس مستويات تأهلية (عون متخصص إلى غاية تقني سامي) ويتمتع جهاز التكوين (العمومي والخاص) ب 1.253مركزا تعليميا و 222 ملحقة والجدول التالي يوضح لنا بعض المعطيات عن هذا الواقع ا لتكويني للمرأة.[9]

جدول يمثل تطور عدد المتمدرسين حسب نمط التكوين من 1999/ 2003م

نمط التكوين	1999		2003		معدل الزيادة ٪
	العدد	حصة الفتيات٪	العدد	حصة الفتيات٪	
التكوين في المراكز	146,844	100	171,043	100	3,9
الفتيات	77,62	52,8	89,805	52,5	3,8
التكوين عبر المهني	103,353	100	120,900	100	4
الفتيات	29,645	28,8	40,601	33,6	8,2
التكوين عن طريق الدروس المسائية الفتيات	9,539	100	16,636	100	14,9
	_	_	7,408	44,5	_
التكوين عن بعد	10,189	100	14,853	100	9,9
الفتيات	_	_	1,633	11,2	_
المجموع	296,625	100	323,432	100	2,2
الفتيات	107,107	39,7	139,477	42,6	6,5

فحسب إحصائيات وزارة التكوين المهني لسنة 2003 قدّر العمل الإجمالي للمتمرنين في المراكز التكوينية ب342,600 متمرن منهم 323,32 متمرن في قطاع التكوين المهني العمومي وإنتقلت حصة المتمرنات من 39,7 سنة 1999إلى 42 ,6 سنة 2003 أي بزيادة قدرها 2,9 نقاط وخلال هذه الفترة تضاعف معدل الزيادة السنوي للمتمرنات (6,5%) 3مرات مقارنة بالزيادة في إجمالي عدد المتمرنين(2,2%) وحسب نمط التكوين لم بعرف عدد المتمرنات في المراكز تغيرا كبيرا في نسب المشاركة حيث قدرت هذه النسبة ب52,5 ستة 2003 مقابل 52,8 سنة 1999 في حين عرف التكوين عن طريق التمهين زيادة المتمرنات ،حيث إنتقلت النسبة من 28,8 سنة 1999 إلى 33,6سنة 2003 أي بزيادة قدرها 4,8 نقطة ورغم إرتفاع حصص التكوين الأخرى ،تُفضل الفتيات التكوين في المراكز ،فمن أصل 139,477 فتاة تزاولن تكوينا نجد أزيد من 89,800 تزاولن تكوينا في

المراكز و40,600 فتاة تتلقى تكوينا عبر التمهين و7,408 تتلقى دروس مسائية و1,663فتاة في التكوين عن بعد.

أما إذا عرجنا الحديث عن نسب الحائزين على الشهادات فقد قدر عدد الحائزين على شهادة التكوين المهني لسنة 2003 ب 124,352 , 48 % منهم إناث ومقارنة بإجمالي الحائزين على الشهادة يفوق عدد الإناث الذكور وتقدر عدد نسبة الحائزات على المستوى الثالث ب56,9 ، ٪70 في المستوى الرابع و 53 ٪ في المستوى الخامس ومن بين 59,718 فتاة حائزة على شهادة 73 ٪ منهن تزاولن تكوينا في المراكز وتمتاز المر دودية الداخلية للتكوين ا لمهني بنسب عالية للتوقف عن الدراسة والإخفاق ،ففي سنة 2003 قدرت النسبة الإجمالية للرسوب ب 18,2% بينما سجلت نسبة الإناث 13,9 %،وقد تم إحصاء 46,840 توقف عن الدراسة و6,318 إخفاق في امتحانات الشهادة النهائية وتمثل الفتيات نسبة ٪33 من التوقف عن الدراسة و41 من الإخفاق .

ثانيا: تقييم تطورالعمل النسوي في الجزائر

1 – تقدير النساء القادرات على العمل:

للتقدير السليم ينبغي أخذ طلبات التشغيل التي تصدر عن السكان الذين بلغوا سن العمل من رجال ونساء والذين تتراوح أعمارهم بين 15 و59 سنة حيث وحسب الديوان الوطني للإحصائيات إرتفع عدد هذه الفئات من 11,478 مليون سنة 1987 إلى 19,815 مليون نسمة 2003 أي زيادة 8,337مليون نسمة ويكون ضغط طلبات التشغيل أكثر أهمية في المدن الكبرى (الجزائر– وهران–قسنطينة...) والمدن المتوسطة بفعل التوزيع الجغرافي للسكان القادرين على العمل حيث نجد 58,9% من القادرين على العمل في المناطق الحضرية و41,1% في المناطق الريفية وإلى غاية 2010 وحسب تقدير الديوان الوطني للإحصائيات فسيصل عدد الفئات من 15 إلى 59سنة إلى مايقارب 22,267 مليون نسمة أي زيادة مطلقة بالمقارنة مع سنة 2003ب 2ا5 مليون نسمة وستمثل حصتها ضمن إجمالي السكان حوالي ٪64,4 والذي يهمنا هو معرفة تقدير النساء القادرات على العمل وهو ماسيوضحه الجدول التالي:

جدول يمثل تطور السكان الذين بلغوا سن العمل (1987-2003-2010)

1987				2003				2010				
59-15 سنة	5763	5715	11478	51,0	10,103	9,812	19,815	62,2	11,290	10,977	22,267	64,4
الإجمالي	11573	10947	22520	100	16,086	15,761	31,848	100	17,490	17,060	34,550	100

2 - تطور النساء العاملات ومميزاتهنّ:

لا نستطيع تتبع مساهمة المرأة في قوى العمل والذي هو مفتاح تنميتها إن لم نقف عند إستعراض أهم مميزات هذا التطور العملي النسوي وخصائصه والبداية يجب أن تكون من خلال معرفة درجة التطور بالمقارنة مع التشغيل الإجمالي وهو مايوضحه الجدول التالي:

جدول يمثل تطور التشغيل النسوي بالمقارنة مع التشغيل الإجمالي[10]

1977	1987	1991	2000	2001	2003	
إجمالي السكان المشتغلين	2,36,970	4,137,736	4,193,850	6،178,992	6,917,000	7,276,000
المشتغلين (نساء)	180,230	365,094	797,083	797,083	982,210	1,618,640
منهم العاملات بالمنزل	42,000	62,088	-	-	-	-
٪ لتشغيل النسوي ضمن التشغيل الإجمالي	7,7	8,8	12,4	12,9	14,2	14

إذن يتضح من خلال الجدول أنّ فئة الرجال تغطي أكبر نسبة من السكان المشتغلين، وقد إنخفضت نسبتهم بوتيرة جد متباطئة خلال العشرية الأخيرة حيث إنتقلت حصتهم

من 92,4 سنة 1977 إلى ٪86 سنة 2003 أي تراجع لفائدة النساء ب6،4 نقاط خلال 26 سنة وقد إرتفعت نسبة النساء المشتغلات سنويا بوتيرة 6,9% أي 1,5 مرة أكثر من النسبة الوطنية ورغم هذا التطور لاتمثل النساء سوى 14 ٪من إجمالي المشتغلين وإذا أردنا الدخول في التفاصيل أكثر حول هذه الفئة الشغيلة للنساء علينا التطرق لصفات وخصائص هذه الفئة والبداية مع السن وهو مايوضحه الجدول التالي:

جدول يمثل نسبة النشاط النسوي حسب فئات السن سنتي 1996_2003(٪)[11]

فئة السن	1996	2003
16_19 سنة	9,7	3,5
20-24 سنة	20,6	13,9
25-29 سنة	19,2	21,6
30-34سنة	14,9	18,6
35-39سنة	10,7	17,6
40-44سنة	8,9	16,1
45-49 سنة	7,3	12,9
50-54 سنة	4,1	11,1
55-59 سنة	4,5	7,2
60 سنة وما أكثر	1,7	4,4

فحسب فئات السن ،فإن السن الأكثر بالنسبة لمنصب الشغل الأول في سنة 1996 إنحصر في فئة السن 20-24 سنة في حين ينحصر في فئة السن 25-29سنة لسنة 2003 .

كما تراجع النشاط الإجمالي لفئة السن من 16-19 سنة ب2,8 مرة في غضون سبع سنوات حيث إنتقل من 9,7% إلى 3,5%

ويفسّر هذا الإنخفاض بتمديد مدة تمدرس الفتيات وتراجع متوسط السن لدى الزواج .وتسجل السن من 20إلى 34سنة النسبة الأكثر إرتفاعا في سنتي 1996 و2003 فالمرأة المشتغلة تغادر عملها طوعيا إنطلاقا من سن 34 سنة ،وتنخفض نسبة النشاط تدريجيا لتصل مستواها الأدنى بالنسبة لفئة السن 60 سنة وما أكثر .بالتالي تشكل نسبة النشاط النسوي وظيفة متناقضة مع السن ،حيث كلما إرتفع السن ،كلما إنخفضت نسبة النشاط على عكس نسبة نشاط الذكور التي تشهد إستقراراً ضمن فئة سن أوسع (من 20 إلى 59 سنة)

وإذا ما أردنا تحليل هذا التطور الإيجابي للنساء العاملات سوسيولوجيا فله أسباب وعوامل كثيرة منها التحسن الواضح في مستوى التعليم والتأهيل وتراجع متوسط سن

الزواج وإنخفاض الإنجاب وبالتالي إنخفاض عبئ المسؤوليات العائلية هذا من جهة ومن جهة أخرى دفعت الحاجة الاقتصادية النساء إلى دخول سوق العمل بحثا عن منصب شغل تتقاضى من خلاله أجر خاصة بعد تدهور القدرة الشرائية للأسر الذي زاد تفاقما بفعل الإنعكاسات الاجتماعية السلبية لبرنامج التعديل الهيكلي الاقتصادي والدي زاد من توسع رقعة الفقر لتشمل فئات واسعة من المجتمع وهذا مادفع الأزواج والأولياء والإخوة الأزواج والأولياء والإخوة إلى تكوين نظرة جديدة إزاء عملها كوسيلة شريفة لتخفيف عبئ الفقر على عائلتها

ومن خلال الدراسة التي أجراها الدكتور مصطفى بوتفنوشت حول العائلة الجزائرية فقد توصل إلى أن المرأة تعمل بهدف تحسين ميزانية الأسرة وتحسين أوضاعها الشخصية ،حيث شكلت نسبة العاملات بهذالدافع أكبر نسبة من مجموع عينة البحث والتي قدرت ب 28 ,8,% [12] من اللواتي يساهمن بجزء من مرتبهنّ في ميزانية الأسرة . ونفس الحقيقة توصل إليها أحمد الخولي حيث يرى «توزيع الأدوار أصبحت تتسم بطابع ديمقراطي حيث تشارك المرأة في بعض الأدوار الأساسية من خلال إلتحاقها بالعمل ومساهمتها في توفير بعض الإحتياجات المادية للأسرة،حيث أصبح الزوجان يتقاسمان الأدوار إتجاه أبنائهم[13]

وهذا طبعا يعود للمكانة التي أصبحت المرأة تحظى بها في المجتمع الجزائري وهذا طبعا بفضل كفاءتها وفرض لذاتها في مختلف الجوانب.

3 – التطور القطاعي للعمل النسوي:

يلاخظ أنّ أكبر مقدمي مناصب العمل هم الإدارة والصناعة وبدرجة أقل قطاع الخدمات وقد شغلت قطاعات النشاط الأخرى كالتجارة والبناء والأشغال العمومية والفلاحة ،إلى غاية سنة 1996 عددا محدودا من اليد العاملة النسوية وهو مايبرزه الجدول التالي من خلال تحليل هيكلة التشغيل النسوي خلال الفترة 1977–2003

جدول يوضح هيكلة النساء المشتغلات حسب قطاع النشاط

قطاع النشاطات	1977	1982	1983	1984	1987	1989	1996	2003
الفلاحة	5,6	3,4	4,8	2,3	2,7	3,5	1,8	11
الصناعة	17,4	14,3	15,0	13,3	12,4	11,5	7,4	24،2
البناء والأشغال العمومية	2,1	1,5	2,3	3,5	3,4	3,0	1,9	1
التجارة	3,3	2,5	3,8	5,3	3,4	2,8	4،6	2،9
الخدمات	13,4	12,1	11,4	7,9	7,9	2,4	23	12،5
الإدارة	53,8	64,4	64,2	64,3	64,3	70,6	61،3	48،4
الإجمالي	100	100	100	100	100	100	100	100

من خلال قراءتنا للجدول يظهر أن الإدارة كانت تشغل جوالي ٪54 من النساء في سنة 1977 وأكثر من ٪70 سنة 1989 ،ولا تمثل هذه النسبة سوى 48,4% سنة 2003 وهذا يعني أن النساء يعملن في قطاعات أخرى ويفسر ذلك بتقلص التوظيف في الوظيف العمومي، ويظهر أن الصناعة كانت المشغل الثاني إلى غاية سنة 1989 .ونظرا للقيود التقنية والعضوية لاسيّما في القطاع العمومي أصبحت توظف عدد أقل من النساء .وقد تراجع عدد النساء المشتغلات في هذا القطاع تراجعا كبيرا ولم يعد يمثل سوى 7,4% سنة 1996 أي جوالي نصف العدد النسبي المتوسط للسنوات المنصرمة. وقد سجل في سنة 2003 إنعكاس في هذا التوجه فقد تضاعفت نسبة النساء المشتغلات في القطاع الصناعي وأصبحت تقدر ب 24,2 %

ونظرا لركود القطاع العمومي ،يفسر التطور الشديد لحصة النساء العاملات في الصناعة فقط بإنشاء مناصب شغل جديدة في القطاع الخاص الرسمي وغير الرسمي مثل وحدات تركيب إلكترونية وكهر ومنزلية وزراعية غذائية ووحدات خياطة عائلية أو أنجزت في إطار الشراكة مع مستثمرين أجانب.

أما الحديث عن الفلاحة فقد سجلت أضعف حصص العمل النسوي لاسيّما من سنة 1984 1996وقد إحتلت الصف الثالث بنسبة ٪11 سنة 2003 ويعود هذا الإنجاز إلى نتائج المخطط الوطني للتنمية الفلاحية وبرنامج دعم الإنعاش الإقتصادي ،ليبقى في الأخير قطاعي البناء والأشغال العمومية والتجارة أقل عددمن النساء.

ومنه يظهر أنّ نصيب العمل النسوي في الوظيف العمومي لا يستهان به مقارنة مع القطاعات الأخرى وهذا ماجعلنا نتفحص وبالأرقام واقع العمل النسوي في الوظيف العمومي فحسب المجلس الوطني الإقتصادي والإجتماعي فقد بلغت تعدادات الموظفين والأعوان العموميين في سنة 2002 1,505,845 موظف وعامل عمومي بإرتفاع فدرب14,99+ % بالنسبة لسنة 1995 أي 26,400 موظفا إضافيا سنويا ،إنّ النسبة تقدر ب ٪44,9 موظفة لكل 100 ساكن وحسب الطبيعة القانونية لعلاقة العمل ،فإن توزيع تعدادات الوظيف العمومي يتمثل كمايلي: الموظفون المثبتون :1,279,138 (٪85) العمال المتعاقدين:130612(8,6%) الأعوان المؤقتين: 96,097(٪6،4) وتجدر الإشارة إلى أن القضاة لايحملون صفة موظف وذلك طبقا للمبدأ الدستوري المتمثل في فصل السلطات وكذا بالنسبة لتعدادات الجيش الدين لا يدخلون في عدد الموظفين العموميين ويمثل موظفي الإدارة العمومية نسبة 26,3% من السكان الناشطين المشتغلين والذين تمت هيكلتهم في سنة 2002 وتجعل هذه النسبة الدولة في المرتبة الأولى من حيث عدد المستخدمين، وبالعودة إلى موضوعنا ونصيبه من الوظيف العمومي فنجد قطاع الإدارة من أكبر القطاعات توفير للعمل بالنسبة للفئة النسوية فحسب نفس المصدر دائما فعدد النساء في الوظيف العمومي قد تميّز بارتفاع قدره 17,34%+ إذ أنه إنتقل من 343,031 عون في سنة 1995 إلى 402515 عون في سنة 2002م(14)

ويحتل قطاع التربية الوطنية المرتبة الأولى ب 192,894 عونا مما يمثل نسبة 18,9% وعليه تتمركز نسبة 80 ٪من الأعوان النساء على مستوى هذين القطاعين ب 38,9% (في قطاع التربية الوطنية)و(٪14 في قطاع الصحة) ويمكن لنا نحن أن نفسر هذا التمركز الهام بكون هذين القطاعين يسمحان للمرأة أن توفق بين واجباتها المهنية ومسؤولياتها العائلية ويتوزع باقي الموظفين من جنس النساء على النحو التالي:

الداخلية والجماعات المحلية:٪11 –التعليم العالي:5,3% –التكوين والتعليم المهني:2,3% –الإدارات الأخرى:14,6 % وتقوم الطريقة المعمول بها حاليا على مقاييس الكفاءة والإستحقاق ويبلغ عدد النساء الموظفات في الوظيف العمومي اللائي توقفن عن العمل 6613 عون مجموع 27261 عون أي بنسبة ٪24,3 وتعود أسباب التوقف عن العمل حسب إحصائيات المجلس الوطني الإقتصادي والإجتماعي إلى التقاعد (46,8%) الإستقالات(42,2%) التسريح (6,4%) العزل(17,3%) الوفيات(5,3%) [15]

وحسب تحليلنا السوسيولوجي فقد تعود أسباب الإستقالات من الوظيف العمومي إلى التشغيل في القطاع الإقتصادي الذي يوفر أجور أفضل وكذلك إلى أسباب عائلية

كالزواج وتغيير الإقامة والتكفل بالأطفال ،أما إجراءات العزل الخاصة بالنساء تعود عامة إلى التخلي عن المنصب لأسباب عائلية.

ومنه نصل في الأخير إلا أن رغم الترقية النسبية للمرأة لاسيّما بفضل تحسين مستواها الدراسي ومبدأ المساواة في الدخول إلى سوق العمل الذي كرسته النصوص والقوانين ،فإن حجم العمل النسوي المسجل يبقى غير كاف بالنسبة لما كان ينتظر ورغم ماشاهدته من تحسن ،فإن مستوى نشاط النساء يبقى ضئيل بسبب عدم الأخذ في الحسبان أعمال القطاع غير الرسمي والزراعة وهذا مايؤكد أنّ مجال الدراسات لم يحظى باهتمام كبير من طرف السلطات العمومية والباحثين. ومن جهة أخرى، فإنّ السياسة الليبرالية ترمي إلى تقليص القدرة الإنتاجية للقطاع العمومي المستخدم الأول للنساء، بالإضافة إلى خصائص المجتمع الجزائري المختلفة عن باقي المجتمعات نلاحظ أنّ النساء العاملات منخفضة إذا ما أردنا المقارنة مع مختلف المجتمعات العربية التي هي الأخرى لا يمكن مقارنتها بالمجتمعات الغربية التي لاتظلّ فائقة النسبة فيما يخصّ عمل المرأة ،إلاّ أنّ المرأة العربية بصفة عامة والمرأة الجزائرية بصفة خاصة تظلّ تتحدى كل العوائق وتطمح دائما إلى مايسمى بعملية التحرير وخروجها للعمل يمثل جزء كبير من نجاح هذه العملية ،وفي هذا الشأن يرى ألشرابي هشام «تحرير المرأة إذا هي عملية إنعتاق شاملة تبدّل العلاقات الإجتماعية من جذورها وأنّها لايحدث قبول لفظي لحقوق المرأة بل هي حصيلة صراع طويل ،وبالتالي فإنّ تحرير المرأة في مجتمعنا جزء لا يتجزأ من عملية تحرير الرجل وتحرير المجتمع بكامله[16]

ومن جهة أخرى بينت دراسات عربية وحسب الدكتورة نوال السعداوي أنّ إشتغال المرأة لم يؤثر في قيادة الرجل للأسرة ولم يحررها من القيود التقليدية بل أضاف إليها أعباء أخرى ومسؤوليات جديدة، حيث توصلت السعداوي في نتائجها «أنّ المرأة العاملة تستغل إقتصاديا من طرف الزوج والأسرة وتظلّ من دون نفوذ أو سلطة وإنما خاضعة تماما إلى سلطة الرجل[17] ورغم كل هذه المشاكل والضغوطات الإجتماعية فإنّ المرأة الجزائرية إستطاعت فرض وجودها في الميدان المهني منذ أزله فقد عملت منذ القديم في الحقول إلى جانب الأعمال المنزلية وشاركت في مقاومة المستعمرين منذ إحتلاله للجزائر ،وبرهنت على قدراتها في الكفاح خاصة أثناء الحرب التحريرية ،وبعد الإستقلال إقتحمت ميادين العمل المختلفة وأصبح عملها ضرورة ملحة لتنمية المجتمع في مختلف المجالات ،وهذا قصد تغطية وإعادة بناء ماخريه المستعمر الفرنسي ،وإستطاعت فعلا القيام بهذا ،حيث منذ ذلك الحين لم تتوقف عن المساهمة في تنمية المجتمع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،وهذا باقتحامها مختلف ميادين العمل ورغم وجود بعض العوائق ،إلا أنّها إستطاعت أن تكون الأستاذة ،الطبيبة ،المحامية، المهندسة ،،، وصولا للشرطية وبهذا أثبتت أنّه لا فرق

بينها وبين أخيها الرجل في مزاولة مختلف الأنشطة الإقتصادية .

وهو ما يوضحه وجود المرأة تقريبا في جميع القطاعات المهنية الممارسة من طرف الرجل وتتمتع المرأة العاملة بنفس الإمتيازات الخاصة بالرجال في الوظيف العمومي والتي يكرسها تشريع العمل إلاّ أنّه ورغم كل هذه المعطيات فالسؤال يبقى مطروحاً حول محدودية العمل النسوي في الجزائر.

قائمة المراجع:

1 – أحمد،حفصة. أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة ،مؤسسة الرسالة،ط1 ،بيروت،2001 ،ص286

2- Gordon,David.The Passing of French Algeria, Oxford, University press, London, 1966, P50

3 – أحمد ،حفصة،مرجع سابق،ص287

4 - Benatia, Farouk. Le Travail féminin en Algérie, Send, Alger, 1970, P91

5 – احصائات وزارة التربية الوطنية

6 – احصائات وزارة التربية الوطنية

7 – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي للسنة الجامعية 2002/ 2003

8 – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي للسنة الجامعية 2002/ 2003

9- الأرقام الإحصائية 1999و2003 وزارة التكوين المهني

10 – إحصائيات حول النشاط والتشعيل والبطالة مأخوذة من الديوان الوطني للإحصائيات

11 – التحقيق حول التشغيل والمداخيل 2003 / الديوان الوطني للإحصائيات

12 -Boutefnouchet ,Mostefa.La famille algérienne, Evoulution et caractéristiques récentes : Send ; 2ème édition, Alger, 1982, p38.

13 – الخولي أحمد،حسن. دراسات في علم الإجتماع العائلي،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991 ص 97

14 – المجلس الوطني الاقتصادي

15 – المجلس الوطني الاقتصادي

16 – الشرابي،هشام دراسة المجتمع العربي: دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،ص90

17 – السعداوي،نوال الوجه العاري للمرأة العربية:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2،بيروت 1982،ص129

تنمية قدرات الحواس لدى الافراد المعاقين بصريا

The development of sensory capabilities of visually impaired individuals

د. ضامر وليد عبد الرحمن
.جامعة حسيبة بن بو علي (الشلف)

ملخص

تتناول هذه الاوراق البحثية موضوع الاعاقة البصرية وطرق تنمية قدرات الافراد الذين يعانون من هذه الاعاقة، من خلال تنمية الحواس الاخرى مثل الشم السمع اللمس الذوق، والتي تساعده في اكتشاف العالم وتجاوز الاعاقة

Summary

These research papers dealing with the subject of visual disability and methods of the capacity development of individuals who suffer from this disability, through other senses such as smell hearing Touch taste development , its help to discover the world and overcome the disability

اشكالية البحث

تعتبر الاعاقة البصرية من بين الاعاقات الاجتماعية ذات الخصوصية المرضية، كونها تختلف عن الاعاقات الاخرى في كون صاحبها لا يتأثر بشكل كبير في تفاعله مع الافراد الاخرين . بالمقارنة مع الاعاقات الاخرى مثل العوق الذهني، والحركي الخ، اذ ان قدراته الذهنية والعقلية تكون سليمة الى حد بعيد، وهو ما يتطلب تنمية قدراته هذه من اجل جعله فاعل اجتماعي في المجتمع، فالنقص في حاسة البصر سيجعله بالكاد يميل الى تنمية حواسه الاخرى مثل السمع والنطق واللمس و اكتشاف العالم من خلالها ومحاولة تعويض ذلك النقص الذي يعاني منه، وهو ما يجعله يدرك الاشياء الى حد بعيد من خلال وصفها

له، وبالتالي يكون تصوره عن الاشياء ذو اطار موضوعي، وقد قال العرب سابقا البصيرة لا البصر . وهو وصف قد يدل على قدرات البصير كما كان يسمى سابقا.

لقد حفل التاريخ الانساني بكثير من المبدعين الذين كانوا يعانون من هذه الاعاقة مثل هوميروس صاحبة ملحمة **الإلياذة والأوديسة** ولدى العرب كان الشعراء بشار بن البرد وأبو العلاء المعري ممن يعانون من مثل هذه الاعاقة وفي التاريخ المعاصر كان الاديب الكبير طه حسين يعاني الاعاقة البصرية، ان هذه الحقائق تفرض نوعا خاصا من الخصوصية التي يتميز بها المعاق بصريا بالمقارنة مع الاعاقات الاخرى، إلا وهي قدرة الابداع الفكري لدى هذه الفئة . بالمقارنة مع اشكال الاعاقات الذهنية الاخرى . وهو ما يفترض ان التعامل مع هذه الفئة مسبقا يفترض فرضية تنمية القدرات الذهنية والعقلية لها . من خلال برامج تعليم خاصة تركز على تجاوز العقبات التي يعانيها الكفيف ابتداء .

هذه العقبات قد تأخذ عدة اشكال منها ما هو اجتماعي ويتمثل بإشكالية الوصم الاجتماعي، والية التعامل مع المعاق سواء داخل الاسرة او داخل المجتمع المحلي، والية التعامل معها . وهل تتم من خلال جعله يتجاوز هذه الاعاقة . ام ان اسلوب التعامل معه يتم على اساس تكريس هذه الإعاقة من الناحية النفسية والاجتماعية . وجعله يعيش حالة العوق .

وقد تكون هنالك مشاكل اقتصادية للأسرة مما يجعل المعاق يعيش حالة مزدوجة الاولى تتمثل في عدم القدرة على توفير احتياجاته الخاصة او قد تجعل الوضع الاقتصادي الذي يعيشه يشعره بمدى اعاقته وانه عالة على اسرته مما يسبب في مشاكل نفسية له

ان ذلك يفترض ان يكون اسلوب تعلم الكفيف اسلوب خاص يركز اولا على قدراته الذهنية والحركة وطرق تنميتها من جانب وان يكون القائمين على هذه العملية من ذوي الاختصاص حتى يتم الوصول به الى اقصى درجات التفاعل الاجتماعي.

تعريف المفاهيم

الاعاقة البصرية : للإعاقة البصرية مستويات عدة في التعريف تبعا لطبيعة كل اختصاص علمي، ويختلف التقيم للإعاقة البصرية حسب تلك التخصصات وسنحاول تقديم بعض منها فاصطلاحا تعني الاعاقة البصرية درجات متفاوتة من الفقدان البصري تتراوح من العمى الكلي ممن يفقدون الاحساس بالضوء ولا يرون شيئا على الاطلاق وحالات الابصار الجزئي والتي تتفاوت قدرات اصحابها في التميز البصري للأشياء المرئية ويمكنهم الافادة من بقايا بصرهم .[1]

اما من الناحية القانونية فيشير التعريف القانوني للاعاقة البصرية والذي ياخذ بوجه نظر الاطباء من الناحية التشريعية فالمعاق بصريا هو الشخص الذي لا تزيد حدة بصره عن 6/ 60 قدم في احسن العينين او باستخدام النظارات الطبية وتفسير ذلك ان الجسم الذي يراه الشخص العادي في ابصاره على مسافة 200 متر يجب ان يقترب لمسافة 20 متر حتى يراه الشخص المعاق بصريا، حسب هذا التعريف وهذا التعريف معتمد في دول اوربا والولايات المتحدة [2].

ان اهمية هذا التعريف تكمن في انه على اساس مستوى الاعاقة هذه تحدد الجهات الرسمية مدى احتياج الشخص الرعاية الاجتماعية الخاصة بالمعاقين .

اما التعريف التربوي يرى الاخصائيون التربويون انه يجب التميز بين فئتين في مجال الاعاقة البصرية وهما فئة المكفوفين وفئة ضعاف البصر ففيما يتعلق بفئة المكفوفين فالتعريف التربوي يشير الى ان المكفوف هو الشخص الذي لا يستطيع القراءة إلا بطريقة برايل Brialli method .

اما ضعاف البصر فهم الافراد الذين يستطيعون قراءة المادة المطبوعة على الرغم مما تتطلبه هذه المادة من بعض التعديل .

لذلك فالإعاقة البصرية من وجهة النظر التربوية تحتاج الى تربية خاصة في اساليب التدريس والمناهج لكي يستطيع فاقدوا البصر مواكبة تحصيلهم الدراسي [3]

التأهيل

من اكثر التعريفات شيوعا لمصطلح التاهيل هو التعريف الذي وضعه المجلس الوطني للتاهيل في امريكا عام 1942 والذي يشير الى ان التاهيل يعني استعادة الشخص المعاق كامل قدرته للاستفادة من قدراته الجسمية والعقلية والاجتماعية والمهنية والاقتصادية .

وتعريف المنظمة العالمية (who) والذي يشير الى ان التأهيل بأنه الاستفادة من مجموعة الخدمات المنظمة في المجالات الطبية والاجتماعية والتربوية والتقييم المهني من اجل تدريب وإعادة تدريب والوصول به الى اقصى مستويات القدرة الوظيفية(4)

وتتظمن مراحل التأهيل عدة خطوات هي في جوهرها تعبر عن مراحل التأهيل اهمها التأهيل الطبي والتأهيل الاجتماعي والتأهيل النفسي والتأهيل المهني .

تصنيف الاعاقة البصرية ومستوياتها

أن الإعاقة البصرية يمكن أن نصنف بناء على عدة معايير اهمها درجة الرؤيا الضعيفة او انعدامها،وعلى ذلك يمكن تقسيم المعاقين بصرياً إلى مجموعة من المستويات اهمها .

1- ضعيف البصر :

وهو الشخص الذي يستطيع استخدام الإبصار لأغراض ألتعلم إلا أن إعاقته البصرية تتداخل مع القدرات الوظيفية اليومية .ويندرج ضمن هذا الشكل عدة حالات اعاقة اهمها

أ. حالة قصر النظر:

وتكمن المشكلة في هذه الحالة في رؤية الاشياء البعيدة لا القريبة

ب. حالة طول النظر

وتكون هذه الحالة عكس الحالة السابقة اذ يمكن له رؤية الاشياء القريبة لا البعيدة

ج. حالة صعوبة تركيز النظر (الابؤئرية)

وتكون هذه الحالة في عدم قدرة المصاب بهذا المرض في رؤية الاشياء بشكل واضح نتيجة مشاكل في قرنية العين[5]

د. الجلاكوما (الماء الازرق)

وتعرف باسم الماء الازرق وهي تنتج نتيجة تجمع السائل في مقلة العين بسب انسداد الاوردة داخل العين، وغالبا ما تصيب هذه الحالة الاشخاص كبار السن، ولا تصيب صغار السن.[6]

ه. عتامة عدسة العين (الماء الابيض)

وتعرف هذه الحالة باسم الماء الابيض وهي تنتج بسب تصلب الالياف البروتينية المكونة للعدسة مما يسبب في فقدانها الشفافية، وتتلخص في وجود غشاوة على العين مما يسبب في رؤية الاشياء بشكل غير مستقر او تكون بلون اصفر وهذه الحالة تصيب كبار السن [7].

د. الحول

وهو عبارة عن اختلال وضع العينين او احداهما، مما يعيق عملية الابصار الطبيعي ويكون سببه اما وراثيا او مكتسبا، وينتج عنه انكساراً في زاوية الرؤيا للمصاب به.[8]

2- الكفيف

وهو الشخص الذي لا يستطيع استخدام قدرة الابصار عند مستوى الدلالة الوظيفية اي ان البصر بالأشياء في العالم تكون معدومة ويستعين الكفيف بحاسة اللمس لتعويض هذا النقص في حاسة البصر وهذه الحالة هي الاعقد في مستويات الاعاقة البصرية[9]

المشكلات النفسية التي تواجه المعاقين بصرياً:

1. القلق وفقدان الثقة:

إن مجرد الشعور بالاختلاف عن الأفراد العاديين يسبب للفرد قلق نفسي، وذلك لأن عجز المعاق بصرياً يفرض عليه عالما محدودا وحين يرغب في الخروج من عالمه الضيق والاندماج في عالم المبصرين، يجد نفسه يحتاج إلى الاستقلال والتحرر ولكنه حينما يقوم بذلك يصطدم بآثار عجزه التي تدفعه مرة أخرى إلى عالمه المحدود وحينئذ يتعرض لاضطرابات نفسية حادة نتيجة لشعوره بعجزه عن الحركة بحرية وعلى السيطرة على بيئته كما يسيطر عليها المبصر، فحركة المعاق بصرياً تبدو مضطربة بطيئة وتخلو من عنصر الثقة، فهو يتلمس طريقه تلمسا يتجلى فيه الخوف من أن يصطدم بشيء أو يتعثر أو يقع، وخوفه هذا يجعله أميل إلى عدم الخوض في مغامرات استطلاعية قد تعرضه للأذى. ولذلك يكبت المعاق بصرياً دافع حب المعرفة واستجلاء أسرار ما حوله، وإذا استجاب المعاق بصرياً مرة لدافع حب الاستطلاع فإنه قد يتعرض لتجربة قاسية تجعله يكبت هذا الدافع فيما بعد. وهناك نوعين من القلق، (قلق الانفصال) وهو قلق المعاق بصرياً من انقطاع العلاقة بينه وبين الأفراد الذين يعتمد عليهم في تدبير شؤون حياته وفي إمداده بالمعلومات البصرية، ومن هؤلاء الأفراد، الوالدين والأخوة والأصدقاء، أما النوع الثاني من القلق فهو (قلق الفقدان الكلي للبصر) وهذا النوع خاص بضعاف البصر من المعاقين بصرياً الذين يخشون فقدان البقية الباقية من بصرهم ويصبحوا مكفوفين كلياً.

2. الكبت:

يلجأ المعاق بصرياً للكبت كوسيلة دفاعية توفر له شعوراً بالأمن وتوفير الرعاية له وتجنبه الاستهجان والاستنكار فيضغط على بعض رغباته، ويمتنع عن تنفيذ بعض النزوات، ويضحي ببعض اللذات من أجل الحصول على تقبل الناس له والفوز بالشعور بالأمن وتجنب الاستهجان والاستنكار.

3. الاعتزال والتعويض:

يلجأ المعاق بصرياً للاعتزال كوسيلة هروبية من بيئة يخيل إليه أنها عدوانية أو أنها على الأقل لا تحبه بالقدر الكافي، كما يلجأ إلى التعويض كاستجابة لشعوره بالعجز أو النقص فيكرس وقته وجهوده مثلا لينجح في ميدان معين يتفوق فيه على أقرانه، ويستلزم منه هذا التفوق بذل أكبر مجهود فيضغط على نفسه بما قد يتجاوز طاقتها، فتكون احتمالات انهياره

نتيجة ذلك وإصابته بالإرهاق العصبي احتمالات كبيرة، وهو بلجوئه إلى هذه الحيل يكون مدفوعا بشعوره بأنه أقل كفاءة من المبصر.

4. مشكلات النمو والمراهقة:

المعاق بصرياً مثل الشخص العادي عليه أن يواجه المشكلات التي يواجهها كل فرد في المجتمع مثل مشكلات النمو، وخصوصاً في مراحل المراهقة واكتمال النمو، كذلك مشكلات التوافق الاجتماعي، ومن الظواهر غير العادية في الشخصية التي تلاحظ كثيراً عند بعض المعاقين بصرياً كثرة التخيل، وأحلام اليقظة، والواقع أن المعاق بصرياً كالشخص العادي قد يشعر بالإحباط فيلجأ إلى أحلام اليقظة في محاولة تعويضية لإشباع نزعاته المختلفة . ويلاحظ أن أحلام اليقظة كأحلام النوم عند المعاق بصرياً، عبارة عن صور صوتية، وليست بصرية خصوصاً عند المولود أعمى، وفي أحلام اليقظة يحقق ما عجز عن إدراكه، أو فهمه، أو إشباعه في العالم الخارجي . وكثرة أحلام اليقظة وزيادتها عن الحد المعقول قد تؤدي إلى تعود المعاق بصرياً الحياة في عالم من نسج الخيال يشبع فيه رغباته، ويحقق آماله، ويحصل فيه على ما لم يحصل عليه في عالم الواقع . وقد يؤدي هذا بالتدريج إلى انفصاله عن عالم الواقع[10]

الخصائص المعرفية للمعاق بصريا

فقدان الطفل القدرة على الإبصار لايعني فقدانه للقدرات الأخرى الكامنة لديه . كالقدرات العقلية فهذه القدرات على استعداد للظهور لو توافرت البيئة الاجتماعية الملائمة التي تيسر لها البزوغ..

وتشير الدراسات إلى أن كف البصر يزيد من قدرات الحواس الأخرى والسبب في أن الطفل يزيد من اعتماده عليها.فرغم عجزه عن الرؤية إلا أنه قادر ببصيرته على رؤية الأشياء ووصفها

ومن بين اهم المزايا المعرفية لفاقد البصر هي

1_ المزايا الفكرية : حيث كف البصر يتيح فكرة الإمعان في التفكير المجرد .

2_ مزايا الإبصار : حيث يفهم استجاباته إزاء فقد البصر وإزاء أشياء أخرى في الحياة . وفهم بنية شخصيته فعلى سبيل المثال فان تلاميذ المرحلة الابتدائية الذين كف بصرهم يعتمدون على حواسهم المتبقية في إدراك المسافات والأشكال والحجوم ويستطيعون إدراك العلاقات المكانية على اختلاف صورها بشكل جيد .أن الطفل الكفيف يشكل أفكاره من أشياء حقيقية واقعيه . حيث يستعمل أصابعه كوسيلة بحث واستقصاء للأشياء التي يقبض عليها .

الخصائص الحركية :

لايتيسر للإنسان القدرة على الحركة للأمام إلا إذا توافرت له المعينات على الحركة والكفيف إنسان لديه القدرة على هذه الحركة إلا أنه يحتاج لهذه المعينات .. ومما يجدر ذكره/ أن للحركة جانب آدائي حركي .جانب عقلي .وكلاهما يساند الكفيف أثناء انتقاله من مكان لآخر

وتعتب الحركة قوة تربوية لدى الطفل الكفيف حيث لها أهمية كبرى في نموه بدنيا ونفسيا وعقليا ويشير الباحثين إلى أن هناك مشكلات حركية يواجهها المعاق بصريا متعلقة بإتقان مهارات حركية هي : التوازن والوقوف أو الجلوس والجري وهذا القصور الحركي يرجع إلى عدة عوامل هي :

* نقص الخبرة البيئية الناجمة عن محدودية الحركة .قلة المعرفة بمكونات البيئة ونقص المفاهيم والعلاقات المكانية [11]

الوسائل العلمية لتنمية حواس المعاق بصريا .

ان المعاق بصريا يعني فقدانه احدى الحواس، ومساعدة المعاق يجب ان تاخذ في الحسبان تعويض الوظيفة التي كانت تقوم بها العينيين، من خلال تنمية قدراته لذى الحواس الاخرى وهي .

أولاً تنمية حاسة اللمس لدى المعاق بصريا

تأتي حاسة اللمس في الأهمية بالنسبة للمعاق بعد حاسة السمع ولو أن كل منهما تكمل الأخرى إلا أنه يعتمد عليها اعتمادا كليا عندما تنقطع الأصوات أو لا تتوافر لديه بالقدر الذي يمكّنه من الحصول على المعلومات الهامة و الضرورية وهذا لا يعنى أن أيا من الحواس المتبقية لدى الكفيف ذات أهمية و الأخرى ليست كذلك و إنما الأهمية تكاد تكون مشتركة لأنه يقوم بتوظيف معظم تلك الحواس في آن واحد لتتم عملية الربط بين العلاقات و الوصول إلى ما يريد. ولقد أصبحت الحاجة إلى تنمية حاسة اللمس لدى الكفيف هامة وضرورية بالقدر الذي توافرت به فرص تربية و تعليم المكفوفين في المؤسسات التربوية المختلفة و الاتجاه إلى دمجهم في المدارس العادية.

وتعتبر حاسة اللمس بالنسبة للكفيف الوسيط الذي يمكنه من تذوق الشعور بجمال العالم الخارجي كما أنها مصدر من مصادر اكتساب الخبرات ووسيلة من وسائل اتصاله بالعالم الخارجي ففي الأيدي تجتمع أدوات البحث والمعرفة والعمل ومن ثم فهي تؤثر تأثيرا جوهريا في حياته الثقافية و الاجتماعية والاقتصادية حيث يتعرف بواسطتها على ملامس الأشياء مميزا بين الخشونة والنعومة والصلابة والليونة والجفاف والرطوبة والزوايا

والمنحنيات و الحدة والرقة والنبض والاهتزازات إضافة إلى الربط بين أحجام الأشياء وأشكالها و أبعادها المكانية.

ثانياً – تدريب حاسة السمع لدى الطفل الكفيف

يتزود المعاقون بكثير من المعلومات عن العالم الخارجي عن طريق المثيرات السمعية المختلفة كالأصوات البشرية والحيوانية وحفيف الأشجار وخرير المياه وتلاطم الأمواج وأصوات الرياح والأمطار ووسائل النقل والمواصلات.

وتشمل تدريبات حاسة السمع للمعاقين بصريا ما يلي:

1 –تنمية مقدرة الطفل على التعرف على حسن الإصغاء والانتباه للأصوات المحيطة به والوعي بها وإدراكها.

2 –تنمية مقدرة الطفل على التعرف على الأصوات والتمييز بينها وتعيين هويتها ودلالتها.

3 –مساعدة الطفل على تحديد الاتجاه الذي يصدر منه الصوت أو تحديد موقعه وما يتطلبه ذلك من تعلم بعض المفاهيم المكانية اللازمة لذلك (فوق وتحت أعلي وأسفل يمين وشمال شرق وغرب شمال وجنوب).

4 –تنمية مهارة الطفل على تحديد المسافة التي يصدر من عندها الصوت(قريب وبعيد).

5 –مساعدة الطفل على استخدام الصوت كإشارات سمعية هادية له في التحرك داخل بيئته بأمان وكفاءة.[12]

ثالثا : تنمية حاسة الشم لدى الكفيف

تعد حاسة الشم بالنسبة للكفيف من اهم الحواس التي يعمل على تنميتها و يمكن أن تساعد حاسة الشم في تنويع مدارك المعرفة لدى الكفيف وتساعده في فهم العديد من المعلومات الهامة التي تحدد مواقع الأشياء و كذلك تمده بمعلومات ذات فائدة عن مكونات البيئة المحيطة به وخاصة إذا ما تم تدريب تلك الحاسة و تنميتها

ومن بين التدريبات اللازمة لتنمية هذه الحاسة :

1 –تنمية إحساس الطفل بالروائح ووعيه بها وإدراكها .

2 – تنمية مقدرة الطفل على التمييز بين الروائح المختلفة (لأنوع العطور والزهور والصابون والدخان والمطهرات والأدوية ..... الخ) .

3 –تدريب الطفل على تحديد موقع مصدر الروائح.

ولكي نتفهم أكثر البدائل التعويضية التي يمكن تنشيطها لدى المعاقين من خلال استثارة قواهم الكامنة وتدريب حواسهم المتبقية واستغلالها بطريقة أفضل في استقبال المعلومات من البيئة المحيطة بهم وتفهمها والتعامل معها .[13]

رابعاً : تنمية حاسة التذوق لدى الطفل الكفيف

إن حاسة التذوق ذات صلة وثيقة بحاسة الشم بل أنها في معظم الأحيان مرتبطة بها الي حد بعيد فعلي سبيل المثال عندما يشم الفرد المبصر قطعة من الجبن لها رائحة طيبة فإنه يقبل علي تذوقها ليتأكد من جودة هذا الصنف ذي الرائحة الطيبة ؛ لذا فإن حاسة التذوق لها أثر فعال في تزويد الفرد بمعلومات عن بعض المواد وطبيعتها سواء المأكولات أو المشروبات حيث يحدد الفرد مذاقاتها وذلك عن طريق حلمات اللسان ويشترك في ذلك الكفيف والمبصر لمساعدته في التمييز بين تلك المواد و تحديد طبيعتها و نوعيتها عندما تتشابه في ألوانها وأشكالها أو رائحتها حيث أن كثيرا من المواد تتشابه الي حد كبير ظاهريا في الشكل واللون والرائحة في الوقت الذي تختلف فيه مذاقاتها، ويمكن للفرد المبصر أن يحدد بسهولة مدى الاختلاف بين تلك المواد من حيث المذاق نظرا لأنه ألفها وتعود أن يراها ولديه خبرة سابقة بأشكالها و ألوانها ورائحتها أما في حالة الفرد الكفيف فالأمر مختلف لأنه غير مطلع على أشكال وألوان تلك المواد فربما تكون مواد ضارة أو سامة أو غير ذلك ورائحتها تتشابه تماما مع بعض المواد النافعة أو المفيدة لذا فإنه من الهام تدريب الطفل الكفيف علي تلك المهارة وهي مهارة التمييز بين مذاقات المواد المختلفة ونظرا للارتباط الوثيق بين حاستي الشم والتذوق فإن تطوير وتنمية احدي هاتين الحاستين يمكن أن يؤدي الي حد ما الي تطوير وتنمية الحاسة الأخرى وهذا كان دافعا لتنمية تلك الحواس لدى الكفيف حيث إن حاسة التذوق هامة بالنسبة للكفيف شأنها في ذلك شأن الحواس الأخرى وذلك فيما يمكن تسميته -الاتصال بعالم الواقع من مأكل ومشرب-إذ أن عملية الأكل بالنسبة للكفيف يمكن أن تكون عملا شاقا، وصعبا ومملاً ما لا يوجه انتباهه الي التمييز بين مذاقات الطعام المختلفة وذلك لأن الأفراد المبصرين يختارون مأكولاتهم وفقا لأشكالها وألوانها أكثر من اختيارهم لها تبعا لمذاقاتها، وإذا ما سلمنا بأهمية حاسة التذوق في حياة الكفيف فمن الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار الحذر من المواد الضارة و غير المفيدة فلا يقبل الكفيف علي عملية التذوق قبل التأكد من نفع تلك المواد أو عدم ضررها و كذلك مدى صلاحيتها للتناول ومن ثم يمكنه التعرف علي طبيعة تلك المواد التي يتعامل معها و يمكن للمدرب أن يعرض علي الطفل الكفيف العديد من الأطعمة والمشروبات بعد أن يناقشه في خواصها من حيث الرائحة والملمس أو الليونة والصلابة قبل تذوقها وبمعني آخر يجب أن يتم هذا التدريب نظريا أولا لمعرفة خصائص وطبيعة تلك المواد و صفاتها ثم بعد التأكد من

فهم الطفل الكفيف واستيعابه لخصائص وصفات تلك المواد وطبيعتها ينتقل إلي التطبيق العملي بالتذوق الفعلي لإدراك أنواع المذاقات المختلفة والتمييز بينها بواسطة حاسة التذوق و عندما يتم تنمية تلك الحاسة فإنها تكون ضمن منظومة الحواس الهامة التي يعتمد عليها الطفل الكفيف ويستخدمها بكفاءة كي تصبح مرشدا له ودليلا وموجها لمساعدته علي التواصل مع البيئة المحيطة به بشكل فعال وذلك من خلال توظيفها وفقا لعناصر البيئة وطبيعة تلك العناصر. (14)

الخاتمة

ان ظاهرة العوق البصري ظاهرة قديمة لازمت الجنس البشري، مثلها مثل ظواهر العوق الاخرى الا ان ميزة هذه الظاهرة عن الاشكال الاخرى من هو امكانية تعويض فقدان البصر من خلال تفعيل الحواس الاخرى للإنسان. فالتاريخ اثبت ان جزاء ليس بالقيل من المبدعين كانوا كفيفي البصر، الا انهم استطاعوا تجاوز هذه الاشكالية، وان كنا نجهل الظروف التي ساعدتهم في تجاوز تلك الاشكالية،الا اننا في الزمن المعاصر وما توصل اليه البحث العلمي في هذا الميدان، اثبت ان هنالك امكانية كبيرة في تحويلهم الى فاعلين اجتماعيين من خلا عنصريين اساسيين الاول يتعلق بالمشاكل النفسية والاجتماعية التي يعاني منها المعاق بصريا، نتيجة احساسه بعقدة النقص . والوسائل الكفيلة بتخطي هذه المشاكل أما العنصر الثاني فيتعلق بتنمية قدرات المعاق بصريا من خلال تفعيل حواسه الاخرى وتنمية قدرتها، من اجل الوصول بالأداء الوظيفي للمعاق الى اعلى مستوى

قائمة الهوامش

1. القريطي عبد المطلب، سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي،القاهرة،2001،ص 370.

2. القمش مصطفى، سيكولوجية الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، دار المسيرة، عمان، 2010، ص129 .

3. الظاهر قحطان،مدخل التربية الخاصة،دار وائل للنشر، عمان 2008 ص129.

4. علية حامد الحسيني،تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة،منشورات الجمعية النسائية للتنمية بجامعة اسيوط، 2004

5. العزة سعيد،المدخل للتربية الخاصة لذوي الاحتياجات الخاصة، الدار العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2002 ص 180

6. بطرس بطرس، ارشاد ذوي الحاجات الخاصة وآسرهم، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،2010 . ص 219

7. القمش مصطفى، مرجع سابق . ص 215

8. محمد عبد الصبور، مقدمة في التربية الخاصة، دار زهراء الشرق، القاهرة 2003، ص 132

9. الزريقات ابراهيم، الاعاقة البصرية المفاهيم الاساسية والاعتبارات التربوية، دار المسيرة للنشر، عمان، 2006. ص 101_100

10. http: //seddeq.3arabiyate.net/t163-topic. موضوع المشاكل التي تواجه فاقديالبصر الاثنين أغسطس 10 2009 9:23 موقع

11. لطفي بركات، الرعاية التربوية للمكفوفين،دار عكاز ، للطباعة، جدة، 1978.ص 110_90

12. http: //as351993.blogspot.com /201110 //blog-post_3559.html

13. http: //as351993.blogspot.com /201110 //blog-post_3559.html

14 . محمد خضير و ايهاب البيلاوي، تنمية بعض المهارات الحسية لدى الأطفال المعاقين بصرياً، ملتقى العالم العربي لذوي الاحتياجات

ظروف بروز الحركات العمالية في الجزائر (1880-1956)

د. زبيري حسين، جامعة زيان عاشور، الجلفة.
باحث مشارك CREAD

ملخص

لفهم الحركة النقابية بالجزائر لا بد من الرجوع إلى السياقات الاجتماعية و السياسية التي تزامنت و ظهور هذه التنظيمات في عهد الاستعمار الفرنسي.

فالمتغيرات الاجتماعية التي ميزت هاته الفترة أثرت بوضوح على بنية و تنظيم الحركة النقابية في الجزائر بما في ذلك لوائح المطالب و طرق المطالبة و بدرجة كبيرة على تكوين الفئة العمالية المشكلة من الفرنسيين و الأوروبيين و الجزائريين من الأهالي.و هذا ما سنحاول معالجته في هاته الورقة.

Afin de comprendre l'essence du syndicalisme algérien, me paraît utile de revenir aux contextes historiques et recourir à la configuration sociale, politique et économique qui a accompagné la naissance du syndicalisme algérien.

cette même configuration sociale, qui a caractérisé cette période de l'histoire du syndicalisme Algérien, a laissé ces traces sur la structuration et l'organisation des syndicats que viens de connaitre l'Algérie colonisée, les registres des revendications, les méthodes de revendiquer, et aussi et surtout sur la formation de la classe ouvrière qui était conçu essentiellement des européen et des français, comme dirigeants, et des Algérie-indigéne- a la base dans le plus part de cas après la loi WALDEC ROUSSEAU

مقدمة

... " أفترض سيدي، أن الإمبراطور الصيني حينما نزل بشواطئ فرنسا بجيشه الكبير، صار السيد على مدننا الكبيرة و على عاصمة بلدنا. و بعدما قام بالقضاء على كل الملفات العمومية و لم يولي أدنى اهتمام للاطلاع عليها ، حيث حطّم و خلق فوضى في كل الإدارة ... تخلى عن كل الموظفين من رئيس الحكومة إلى الحرس المحلي ... لقد تخلص من كل الطبقة الموجهة و قام بنفيهم إلى بلاد بعيدة . ألا تعتقد أن هذا الأمير العظيم، بالرغم من قوته العسكرية،و الكنوز التي بحوزته ، وجد نفسه جد متحيّر و تائه في إدارة البلد التي استعمرها ، لقد حرم كل خادميه من كل ما من شأنه أن يدعمهم، لدرجة إنهم صاروا عاجزين عن تسيير حياتهم بأنفسهم ، وهو الذي جاء من العالم الآخر، لا يعرف لا الدين و لا اللغة و لا القوانين و لا عادات هذا البلد ، و لا استعمالات إدارة البلد ، و هو الذي اختار الابتعاد عن كل ما يمكن أن يعلمه ، فلم يعد في حالة تسمح له بالتسيير...سيدي إذا كانت أجزاء من فرنسا المستعمرة ماديا من طرف المستعمر تحت طاعته فإن الأجزاء الباقية ستسقط في الفوضى. ستكتشف سيدي من أننا فعلنا بالجزائر بالتحديد ما فعله الإمبراطور الصيني بفرنسا".

كان هذا جزءاً مما ردّ به توكفيل في رسالته على طلب احد الضباط الفرنسيين حينما طلب منه أن يرسم له صورة واضحة عن الجزائر و أحوالها، لقد عكس في رسالته حجم المعاناة التي عرفها المجتمع الجزائري، و الطريقة التي تعاملت بها فرنسا المستعمرة- الرأسمالية- مع الجزائر الوطن، و إن كان هذا التعامل لا يخفي بين طياته روح التعالي و النظرة الدونية للشعب .

لقد أحدث استعمار فرنسا للجزائر القطيعة الجذرية مع كل ما هو جزائري ، الثقافات المحلية، الدين، الأعراف و المجتمع، إذ سعت الدولة الرأسمالية الاستعمارية إلى تفكيك البنية الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية للمجتمع الجزائري بشتى الطرق ، و ما مفهوم الدوّار إلاّ إحدى إبتداعات الرأسمالية المستعمرة في الجزائر لأجل تفكيك الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد مع بعضهم البعض و تربطهم بالمصدر الاقتصادي لهم ألا وهي الأرض.

كان يحمل الاستعمار الفرنسي للجزائر دلالات نفسية كبيرة، و المبنية على أساس ازدراء الشعوب الأخرى، و لغة التعالي بالمقارنة مع باقي الشعوب المستعمرة التي توصف بالبربرية و الهمجية و التأخر، فالفرنسيون آنذاك أقنعوا أنفسهم بأنهم هم أولئك الذين جاءوا برسالة حضارية، ليخرجوا هذه الشعوب من تأخرها و من بربريتها، و هو نفس النعت الذي أطلقه توكفيل[1] في وصفه للسكان الأصليين للجزائر في رسالته تلك .

«فالاستعمار ليبيرالي بالأساس ...و الليبرالية تتطابق بدرجة كبيرة مع ممارسات الإبادة و طرد للشعوب و التعامل معهم على أساس عبيد «[2] و على هذا الأساس تم التعامل مع السكان الأصليين- الجزائريين- كمواطنين من الدرجة الثانية و تحت إدارة مختلفة و هي إدارة شؤون الأهالي.

و تحت هذه الرؤية تم التعامل مع الجزائري- الأهالي- و تطور مفهوم العامل الجزائري على أساس هده القاعدة. و سنتعرف على الظروف التي سمحت بظهور حركة عمالية بالجزائر التي تختلف عن الظروف التي دفعت بوجود مفهوم الطبقة العمالية التي عرفناها في فرنسا أو في بريطانيا، ،وفي هذا السياق يؤكد هواري تواتي من أن" الحركة العمالية في بلاد المغاربة سبقت ظهور مفهوم الطبقة "[3]

1- حركة عمالية على حدود استعمارية: مواطنون من درجة مختلفة:

إذا فالاستعمار الفرنسي دخل مصطحبا معه مجموعة من القناعات التي من خلالها تعامل مع السكان الأصليين في الجزائر. و لقد قام هذا التعامل على مجموعة من الآليات التي بنيت على الاستعلاء الاستعماري و على الإذلال للسكان الأصليين للبلاد.

يصعب - على الأقل بالنسبة إلي- على المتتبع لتاريخ فرنسا أن يفهم العلاقة بين الثورة الفرنسية التي جاءت برفض الاستعباد، و جاءت بالقيم " العالمية"، و بين المنطق الاستعماري الذي تميزت به فرنسا لعقود طويلة. المهم أن الاستعمار الفرنسي الرأسمالي كما نعرف سعى إلى تحقيق المصلحة و المنفعة المادية و الثروة و تكديسها و ذلك من خلال أيجاد مساحات أوسع ليبسط هيمنته على المقدرات الخاصة للأراضي الجديدة لتلك الشعوب الموصوفة بالبربرية، و لذلك فهو يفرض كذلك نمط إنتاجه الخاص الذي يدخل في إطار السلسلة الاستعمارية و المبنية على فك الارتباط الوجداني و الجماعي بالأرض و من ثم إحداث بتر في سبب التضامن الجماعي الذي قد يشكل عائقاً في وجه الاستغلال. و بهذا ظهرت أشكال جديدة من العلاقات الاجتماعية المرتبطة بهذا التغير ألقسري للوضعيات الاجتماعية للأفراد.

من المعلوم أن الاتجاه العام للعمالة الجزائرية آنذاك كان في الزراعة ، حيث كانت تحتل المرتبة الأولى في المهن التي يمارسونها، إنهم أصحاب الأرض ، و لكن مع سياسة الاستعمار الرأسمالي الامبريالي فقد صار أصحاب الأرض من غير عمل في اغلب الأحيان و لذلك شهدت زحف الريفيين نحو المدن لأجل ضمان لقمة العيش لهم و لأبنائهم و هنا تكونت ما سمي بالبروليتارية الجزائرية الزراعية، وتطلق مفردة بروليتاريا على أناس مجبرين على العمل لدى رب عمل لكي يوفروا قوت عيشهم. وكانت البروليتاريا الجزائرية تبدو وكأنها

مكانا وسطا بين الريف الذي نزحت منه أغلبيتها، والمدينة التي تعمل بها، وبالتالي بين النمط الاقتصادي التقليدي الذي لفظها، والنمط العصري الذي يشغل أغلبيتها. وتنوعت هذه البروليتاريا تنوعا نسبيا بحكم انحدارها من جهات اختلفت في مدى التأثر بالاستعمار وفي تنظيمها الاجتماعي. ولقد بالغ فرانس فانون مبالغة لا تخلو من الصدق عندما قال: «البروليتاريا هي نواة الشعب المستعمَر الأكثر إذلالا من قبل النظام الاستعماري[4]. »

و لكن الوافدين الجدد من الفرنسيين و باقي الأوربيين ممن دخلوا الجزائر مع الاستعمار سيطروا على كل ما من شأنه أن يذر الربح الوفير، و على كل ما لا يحتاج إلى جهد كبير، وعليه فقد كانت الطبقة العاملة اغلبها أوربية، حيث كان يمثل الجزائريون نسبة ضئيلة جدا منها .

ولذلك كان الوعاء العمالي في الجزائر متكوناً بالأساس من الفرنسيين الأوروبيين، والأهالي و هم السكان الأصليين للجزائراً و من ثم أمكن حصر ثلاثة أصناف اجتماعية متميزة عن بعضها البعضاً الجزائري بالأصل- الأهالي-[5] و الفرنسيين و المهاجرين الأجانب الذين قدموا من أوروبا و بلدان المتوسط، و في هذه الوضعية نحن بصدد الحديث عن تاريخ للحركة العمالية الجزائرية التي نتجت عن صراع في البداية بين الأوروبيين والفرنسيين، ثم بين الأوروبيين الذين صاروا فرنسيين و بين الأهالي موضوع الخضوع و الانقياد.

و لأنّ الاستعمار يفرض الامتداد التنظيمي للسلطة المركزية على كل المستعمرات، الآمر الذي يستدعي إيجاد نفس التنظيمات المركزية في المستعمرات و هو ما تعلق بالحركة العمالية بفرنسا التي أوجدت لنفسها مكاتب و تنظيمات نقابية تابعة لها هيكليا و إيديولوجيا و هذا شأن التيار اليساري و أقصى اليسار.

في البداية يجب أن نعرف أن صيغة التعامل مع الجزائريين انبثقت بدرجة كبيرة من مفهوم الجمهورية عند الفرنسيين و المستعمرين،» فأهالي- الاندجينا- الجمهورية هم أولئك القاطنين في مستعمرات، الإمبراطورية أو فرنسا الكبرى، و ليس في الوطن الأم»[6]، وقد جاء عن جول فيري Jules Ferry[7]، الأب المؤسس للمدرسة الجمهورية من أن مهمة الاستعمار يكمن في " نقل الحضارة إلى الأعراق المتدنية"[8]. و من هنا " يمكن أن نحصل على استعمار جيد من خلال إمكانية الإصلاح التي تفترضها فكرة الجمهورية " هذا ما كان يراه الاشتراكيون آنذاك و الحزب الاشتراكي بدرجة أكبر و المكوّن من الأوروبيين فقط ، الذي أقر على أن الاستعمار شكل و طريق من طرق النهضة"[9] ،وهي أحسن طريق للحفاظ على المستعمرات، و هنا تظهر الانتهازية أين الوطنية " اليمينية" مبنية على المحافظة على تلك المستعمرات و تفرض على اليسار أن يكون مستعمرين إلى النهاية و لا تجعلهم يفكرون في إمكانية الخروج عن حضن فرنسا، و هو الأمر الذي يمنعهم من رؤية حدود الاستعمار

الذي ولّد " الأهالي "[10]

التجمعات الأولى و التيارات التي مثلت وجهي الحركة العمالية في الجزائر هي تلك التي " ولدت بين المعمرين المهاجرين انطلاقا منذ سنة 1880 و التي نشطت من خلال النزاع بين الأوربيين الأجنبيين و المواطنين من جنسية فرنسية "[11]، هؤلاء الاشتراكيون الجدد- والذين سمّوا أنفسهم جزائريين- نادوا باستقلالية الجزائر المستعمرة من الفرنسيين" [12] ،" هذه التجمعات الأولى من العمال أدّعت بأنها نقابية أو اشتراكية ثورية « أعطت الأولوية للصراع الاجتماعي الذي كان يعفي في غالب الأحيان الانتباه إلى المسألة الوطنية " و كلمة الاستقلال ينادى بها ما دامت أنها غير ملزمة "[13].و لقد جاءت في الكثير من كتابات الفوضويين[14] من" أن الاستقلال ليس إلاّ استبدال مستعمر بآخر سيّد جديد أو قيصر "[15]

لقد تميز ظهور النقابية[16] بالجزائر بارتباطه بالحروب العرقية في بدايتها، حيث اندلعت حرب على أساس عرقي، كان يهود الجزائر أول من تلقى تبعاتها حيث تولّد تيار اشتراكي ضد اليهود. حيث قام مؤتمر SFIO لعام 1898 بدراسة مقترح إقصاء اليهود المنخرطين في النقابات و في هذا الإطار يصرح مندوب الجزائر العاصمة في المؤتمر Lorgeas» أن الأمر لا يتعلق بالدين و لكن بعرقهم الممقوت من خلال خصالهم و طريقة عيشهم و انعزالهم و طمعهم»[17]، ولقد استرجع اليهود الجزائريون الكثير من الامتيازات فيما بعد بما في ذلك حق التجنس الذي يوفر لهم الحماية. حيث عرف مؤتمر SFIO لعام 1914 و الذي كانت تسيطر عليه الأغلبية الاشتراكية المنادية بالعلاقات الجيدة بين الأعراق.

2-: ظهور للحركة النقابية بالجزائر

فالحركة النقابية التي عرفتها الجزائر آنذاك تميزت عن تلك التي كانت في أوروبا، انطلاقا من الخصوصية التي جمعت ثلاث فئات من العمالة التي تربطهم علاقات مضطربة، بين فرنسي الأصل و الأوروبيين من جهة و مع الأهالي- الجزائريين من جهة أخرى، و الذي كان ينظر إليهم نظرة احتقار، كما أنّ الجزائريين لم يكونوا يعرفون معنى لصراع الطبقات و المفاهيم التي تتعلق بالعامل و المصنع ،التي كانت متداولة كثيرا في أدبيات العمال الفرنسيين بالخصوص.

لقد شهدت النقابية بالجزائر تأخراً في تطورها مقارنة بالتي كانت بفرنسا التي كانت تتمتع بتشريعات النقابية لسنة 1884، الغرفة النقابية الأولى ظهرت بقسنطينة عام 1880، " و بعدها نقابات صقل الحجارة عام 1883 قبل أن يصدر القانون عام 1884 الذي يحصر النقابيين في الفرنسيين فقط دون غيرهم الذين يتمتعون بالحقوق المدنية"[18] . لقد تعددت النقابات[19] الحرفية في وهران و بون- عنابة- و قسنطينة لقد وصل عدد النقابات

عام 1894 إلى 51 نقابة – و التي ضمت جمعيات أرباب العمل- في مقاطعة الجزائر العاصمة، 15 بقسنطينة و 07 بوهران. بالنسبة للمدن التي بها بورصات العمل الجزائر العاصمة – التي لم تكن جدّ مرحّب بها – في عام 1902، فقد تضاعف عددها إلى 81 نقابة ضمت 9500 منخرط منهم الطوبوغرافيون، الاسكافيين، الحلاقين ،بالإضافة إلى نقابات الصناعة، كعمال صناعة البراميل الجد مهمة بوهران و كذلك عمال المطاعم و المقاهي والمشروبات الغازية... و في وهران فقد تم تأسيس سنة 1881 إيذاناً بظهور أولى النقابتين واحدة لعمال التركيب بالمطابع و الثانية للعمال الزراعيين الذين يبلغ عددهم 57 عضواً .

وكانت هناك عدة رابطات عمالية ثم تأسيسها لكنها ضعيفة العدد من حيث المنخرطين "[20]إن تطبيق قانون 21 مارس 1884 (قانون فالداك روسو[21]) المتعلق بالحق النقابي في الجزائر جاء لإثبات واقع موجود حيث كانت النقابة الأوروبية موجودة ولكنها ضعيفة وذات طابع عرقي و عليها تم تطور الحركة النقابية بطريقة بطيئة .

العمّال اليهود الذين يعتبرون فرنسيين بعد إعطائهم حق التجنس، يمكنهم أن يكونوا و بإعداد كبيرة في داخل بعض النقابات المهنية للألبسة- نقابة الخياطين بقسنطينة مثلاً- كما كان اليهود يصلحون كمترجمين -لأنهم يحسنون العربية و البعض منهم الامازيغية- داخل بورصات العمل بالإضافة إلى التمدرس الذي ساهم في تمكينهم من شغل مناصب كإطارات نقابية، أما عن العمال " الأهالي" فلا يظهرون إلاّ في القواعد المتدنية، في المناجم الورشات ،و أكثر في الموانئ و بعدها في مستودعات السكك الحديدية ، و الترامواي، المخازن، المشاريع العمرانية الكبيرة،...حتى حدود عام 1910 حيث سجلوا حضورهم في بورصات العمل"[22].

لقد سبق و أن قلنا أنّ التنظيمات النقابية الفرنسية سعت إلى إيجاد امتدادات لها – تنظيمية و أيديولوجيا- في الجزائر و هذا ما سعى إلى تحقيقه المعلم ماكسيم غيلون[23] Maxime Guillon الذي نادى بالعالمية البروليتارية على نمط ما ينادي به جولس غاستد Jules Guesde في فرنسا، جيث تنسب إلى ماكسيم غيليون [24] تأسيس النقابة الأولى لعمال السكك الحديدية في مجموعة بون- قالمة، و أسس كذلك بورصة العمل في بون عام 1907، كما يعتبر هذا الأخير المنظم للحركة النقابية في الجزائر و الذي اخذ مكانا في داخل الكونفيديرالية العامة للشغل الفرنسية CGT، و كان المنشط لفيدرالية الاشتراكيين و التي صارت في ما بعد الحزب الشيوعي في عام 1920. كان يؤمن بنهضة المستعمرات من خلال المدرسة والنقابة "[25].

تجدر الإشارة هنا أن كل النقابات كانت تنشط تحت تأطير النقابة الفرنسيةCGT حيث كانت النقابة الوحيدة التي شملت كل النقابات تطابقا مع قانون 1884 الذي ينظم كيفية

تأسيس الجمعيات و المنظمات المهنية ، حيث تم تنظيم هذه المنظمات النقابية على هيكلين[26] « من التنظيم: الشكل الأفقي و الذي كان يضم اتحادات المقاطعات الثلاث: الجزائر ، قسنطينة، وهران. التي تشمل كل النقابات التابعة للمقاطعة التي ترتبط مباشرة بباريس، أما الشكل الثاني فهو المستوى العمودي فهو يضم فيدراليات الأسلاك المهنية والقطاعات التي بدورها تجمع الفروع النقابية للمؤسسات لنفس النشاط،هذا التنظيم كان سائدا إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، حيث بعد هذه الفترة عرفت فرنسا موجات من الهجرة نحوها، وهذا لتغطية النقص في المصانع و اليد العاملة التي تم استخلافها بالعمال من المستعمرات خاصة من دول شمال إفريقيا.

لقد ساهم إعادة توحيد CGT et CGTU الأثر الواضح في زيادة عدد المنخرطين ، كما يمكن تقدير عدد المنخرطين إلى 120000 منهم 30 إلى 40٪ من الجزائريين، المقاطعات الإدارية الثلاث تباينت من خلال تواجد أكبر للأوروبيين بالمنطقة الوهرانية، و تواجد متوسط بالعاصمة و أضعف حضور سجل بالمنطقة القسنطينية...

3 : مدّ الإضرابات في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي

لقد عرفت النقابية الجزائرية نشاطا واسعا من خلال الكونفيديرالية العامة للشغل قبل و بعد الانفصال، فقد شهدت سنة 1919 إضرابات عمال سكك الحديدية و بعدها عمال الموانئ في وهران حيث بدأت بظهور نقابية جزائرية و لو أنها لم تضم أكثر من 1000 منخرط مقارنة مع الأوروبيين الذين كانو يشكلون ضعف العدد، و في خلال هذه السنة أيضا عرفت الجزائر العاصمة53 إضراب ضمت أكثر من 7836 مضرب"[72].

كما عرفت كل من وهران و سيدي بلعباس و بجاية في جوان 1935 مظاهرات جمعت حوالي 15000 شخص و هي مظاهرات تضامنية بين عمال المدن و الأرياف لتأكيد تواجدهم كعمال لهم حقوقهم المادية و المعنوية.و تواصلت الحركات الإضرابية إلى غاية 1936 من طرف عمال الموانئ و عمال السكك الحديدية عمال الإطارات عمال البريد و عمال التربية الذين تمكنوا من الحصول على الحق في الانخراط و إدارة النقابةّ"[82] و هذا بتوفر الجو الملائم الذي تميّز بصعود الجبهة الشعبية للسلطة في فرنسا حيث كان لها الأثر الواضح على الحياة السياسية في الجزائر حيث تم إلغاء قانون الأهالي مما سمح للمناضلين الجزائريين تولي مسؤوليات نقابية. و كذلك تميّز بتوحيد المركزيتين النقابيتين: الكونفيديرالية العامة للشغل و الكونفيديرالية العامة للعمل الموحد و هذا بعد التخلي عن شعار الاستقلال الوطني لحساب المطالب المشتركة لكل العمال"[29]

تكررت الإضرابات في صيف 1936 إلى خريف 1939 و قد نجحت CGT بقوة من خلال الإعلان عن 40 إلى 50000 منخرط في سنة1937 في منطقة الجزائر العاصمة و30 إلى 45000 في المنطقة الوهرانية، و أكثر من 30000 في مقاطعة قسنطينة ، و المجموع يقترب من 100000 منخرط، و لقد ضمت النقابة جزائريين و أوروبيين على السواء والذين يمثلون40 بالمائة من المنخرطين في النقابات و الأمر الآخر فإن أغلب المنخرطين عام 1936 أغلبهم من القطاع العام، إلا أنه عام 1937 اكتسح القطاع الخاص بفضل انضمام عمال البناء إلى تلك النقابات[30].

و لقد تنوعت مطالب العمال من خلال هده الإضرابات و تراوحت بين المطالب المادية المتعلقة بالأجر و لواحقه و مطالب تتعلق بظروف العمل كما ضمت مطالب ذات أبعاد سياسية إلا أن الملفت للانتباه هو انخراط النقابة في المطالب ذات الأبعاد السياسية والنقابية، أي أن هناك ميل كبير نحو المطالب النوعية، و زيادة كثافة هذه المطالب خاصة في فترة مابعد اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر،حيث اتخذت منحى متصاعداً

4 :الهجرة كعامل أساسي لتكوين وعي نقابي لدى العمال الجزائريين

يرى بعض الباحثين أن من الصعوبة الحديث وجود « طبقات اجتماعية « وفقا للتصور الماركسي التقليدي خلال الظرف الاستعماري السابق للاستقلال[31]؛ واعتبر غاليسو (Gallissot) أن هذا التصور نابع من فكر استعماري جديد لا يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات الوطنية، وأنه بمثابة: « عملة مزيفة أجنبية لا يمكن صرفها لا في المغرب العربي، ولا في العالم الثالث[32]، » فبرأيه تتجلى الطبقة الاجتماعية عندما تكون واعية بمكانتها في الإنتاج[33]. ويضيف بأن البروليتارية الجزائرية لم تكن موجودة. وأنها تشكلت حينئذ في المهجر، أما في الجزائر فقد بدأت تتشكل بروليتارية دنيا نجمت عن النزوح وعن الفقر الريفي[34].

من خلال التطور التاريخي الذي رصد التغيرات التي عرفتها الطبقة العالمة في الجزائر يمكن ان نفرق بين مرحلتين أساسيتين في تشكل ما قد نصطلح عليه الطبقة العاملة : مرحلة الأولى تبدأ مع دخول الاحتلال الفرنسي في سنة 1830 . حيث بدأ يتشكل فيها قطاع الملكية الاستعمارية بمصادرة أراضي الجزائريين، وإبعادهم إلى الأراضي الوعرة أو ضعيفة الإنتاج. ويتحول فيها الفلاحون الجزائريون إلى بائعين لقوة العمل. سواء كانوا عمالا زراعيين مؤقتين، أو موسميين، أو دائمين، أو خماسة ملحقين هامشيا بملكية المستوطن. مما أدى إلى ظهور كتلة من الفلاحين بلا أرض، ولا عمل أو تأهيل في قطاع الصناعة الاستخراجية. وبالتالي اتجهت الجماهير الريفية نحو المدن تدريجيا بحثا عن العمل.

ومرحلة ثانية تبدأ في حوالي سنة 1880 إلى غاية 1954. وهي المرحلة التي تدعم فيها الاستعمار، وعرف الاستقرار. وظهرت فيها قوى جديدة في المجتمع، ونشبت صراعات عمالية متعددة الأشكال، وإضرابات وتظاهرات.

و لقد عانى فيها الجزائريون بعد الحرب العالمية الثانية سوء المعيشة، وندرة السلع وارتفاع أسعارها، وانتشرت البطالة. وعاش الذين حصلوا على عمل سواء في المناجم أو سكك الحديد أو الموانئ أو في مزارع المستوطنين، مخاطر العمل غير المؤهل وسيء الأجرة، و الذي كان مدعماً بالتمييز العرقي[35].

ببروز مراكز تجمع العمال في ورشات البناء و السكك الحديدية و الحركية التي عرفتها الموانئ في المدن الكبرى خاصة الجزائر العاصمة و وهران و قسنطينة و عنابة، كل هذا اوجد نوع من الهجرة الداخلية "[36] التي سمحت بانتقال العمال الجزائريين من مركز إلى آخر ، وقد كان لهذا التنقل دورا فاعلاً في تشكيل نوع من الشبكات العمالية الجزائرية على شاكلة الشبكات العمالية لباقي الأوروبيين كالإيطاليين و البولونيين، و ظهر هذا أكثر عندما كان الانتقال خارج الجزائر و في اتجاه فرنسا التي استقدمت الآلاف من العمال الجزائريين إلى المصانع الحربية لتعويض العجز الناتج في اليد العاملة" إن الحرب هي التي دفعت هذا الحراك من خلال دعوة الجنود و كذلك العمال، فهناك 180000 عسكري استقدموا من الجزائر و يجب كذلك حساب العمال المستعمرين "les travailleurs coloniaux» الذين وظفتهم الوزارة الفرنسية للعتاد الحربي انطلاقاً من 1916 لتدعيم اليد العاملة... في داخل مصانع الحربية – 18000 تونسي،35000 مغربي،80000 جزائري- إنهم أكثر من 3000000 شمال إفريقي دخلوا فرنسا»[37]. و إن كانت السلطات الفرنسية قد قامت بترحيل عددا كبيرا منهم بعد ذلك ما بين 1920-1921، و هنا انطلقت معها عملية الذهاب والإياب من و إلى فرنسا،» ففي التحقيق الرسمي الذي جرى رسمياً في فرنسا عام 1912 قدر عدد الجزائريين الموجودين في فرنسا ما بين 4000 إلى 5000 جزائري، منهم حوالي 2000 من مناطق القبائل و هم من أقدم المهاجرين إلى فرنسا من الجزائر، و كان هؤلاء يعملون في الأعمال الشاقة في مصافي البترول و مصنع الصابون، و بميناء مرسيليا، في حين كان هناك أكثر من 1500 عاملا جزائري يعملون في مناجم الفحم و الصلب و الحديد في شمال فرنسا، وهناك من كان يعمل بباريس في مصفاة سكر و شركة النقل العمومية"[38]

لقد قلنا أن عملية الهجرة التي عرفتها العمالة الجزائرية و المغاربة على العموم عرفت تكتلات و تشكلت على هيئة شبكات مكنت من حدوث انسجام بينها و توافق في" اختيار النقابة الوحيدة المنفتحة على الأجانب و المهاجرين، إنها النقابية الشيوعية والممثلة

في CGTU آنذاك و التي تعتبر امتدادا للنقابية الثورية... "إنه المكان الذي انطلق منه نجم شمال إفريقيا [39]«،ENA و الذي استقل عنها عام 1926 بقيادة مصالي الحاج[40]،و يضيف ابو القاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية من ان هدف تأسيس نجم شمال إفريقيا هدفان: الهدف البعيد: استقلال الجزائر الكامل بالوسائل الثورية، الهدف القريب: الدفاع عن مصالح و مطامح عمال شمال إفريقيا في فرنسا ، و إذا كان نجم شمال إفريقيا ولد شماليا إفريقيا فإنه صار منذ 1927 جزائرياً صرفا»[41] و لقد تمكن الجزائريون و المغاربة على العموم من التعرف عن قرب عن النشاط النقابي في إطار النقابات الثورية و من خلال انضمامهم إلى CGTU .» نقابية ثورية و شيوعية التي فرضت نفسها، و التي يمكن أن نلاحظها من خلال الجريدة الشيوعية « الصراع الاجتماعي»حيث كانت CGTU تستعملها كمنبر لها...و التي كانت تدافع على مطلب استقلال المستعمرات من خلال البحث عن التحالف مع الوطنيين من الشعوب المقهورة» و لقد لقت هذه الفكرة تجاوبا كبيراً في الجزائر من قبل «الشباب الجزائري [42]«Jeunes Algériens.

إذاً النقابيون الجزائريون تكونوا خاصة في المهجر[43] في ظل النقابات الفرنسية خاصة منها CGTU(الكونفيديرالية العامة للعمل الموحد) ،

إن انضمام الجزائريين إلى الحركة النقابية تم بطريقة جد بطيئة، وهذا الانضمام كان منعدما إلى غاية 1920 أو تطور تدريجيا بصفة محسوسة من (1920 إلى غاية 1956)"[44].

لقد تميزت سنوات 1950 بالانقطاع بين العمال و التنظيمات العمالية و ذلك راجع إلى حرب الجزائر، هذا الانقطاع في البداية كان مع CGT ،PCF، و بدرجة أقل انقطاع العلاقات بين العمال الجزائريين و العمال الفرنسيين... مع أن العلاقات بين العمال الجزائريون و الكونفيديرالية العامة للشغل في بداية سنوات الخمسينات كانت جيدة والتقارب كبير وكانت حسنة كذلك مع الحزب الشيوعي الفرنسي. « مناضلين ذوو اتجاهات وطنية أكثر منها شيوعية، انتظموا في حركة انتصار الحريات الديموقراطية MTLD، العمال الجزائريين انخرطوا بقوة في CGT في فترة نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، حيث تبنت هذه الأخيرة إستراتجية» طبقة ضد طبقة» و كذا تبنت مطالب الاستقلال الوطني الجزائري في صراعاتها» ضد الامبريالية، مع السلام و ضروف عيش أحسن» تلك المطالب صارت أكثر قوة بين الجزائريين من 1945-1948 مع القمع الذي ألب المتظاهرين في المنطقة القسنطينية- أحداث ماي 1945 و كذا غياب التغيير نكاية في إصدار قانون خاص بالجزائر»[45].

أول ظهور لنقابة جزائرية مستقلة:

لم تظهر «نقابة وطنية جزائرية « إلاّ مع تأسيس حزب جديد لمصالي الحاج المتمثل في الحركة الوطنية الجزائرية MNA، للرد على جبهة التحرير الوطني و نقابتها المزمع تأسيسها، و تمثلت الحركة النقابية المصالية في اتحاد نقابات العمال الجزائريينUSTA، بالاتفاق مع نقابات فرنسية، حيث ضمت 5000 جزائري مهاجر منخرط ،لتعتبر بذلك أول نقابة جزائرية ولدت بالمهجر و كان ذلك في 14 فيفري 1956 بقيادة محمد رمضاني، والتي كانت تعمل ضد جبهة التحرير الوطني ضد الشيوعيين و الناصريين و لقد صرح أحد قادتها آنذاك أحمد عفري في لقاء في باريس 21 فيفري من" أن USTA تمثل جميع العمال بغض النظر عن أصولهم و دينهم و فلسفتهم»[46]، و قد أقامت هذه الأخيرة مؤتمرها الأول في جوان عام1957 و الذي شمل 300 منتدب و فيه تم المناداة بتحرير المرأة الجزائرية و حول التصنيع و الإصلاحات الزراعية في الجزائر، كما تناولت أيضا مواضيع متعلقة بالبترول بالصحراء الجزائرية و التجارب النووية التي قامت بها فرنسا بالصحراء الجزائرية.

يظهر أنّ هذه الأخيرة" لم تكن تضم إلاّ العدد القليل من المنخرطين يعدّون بالمئات بالجزائر و اغلبهم من سائقي الحافلات، إلاّ أنها في فرنسا(25 جانفي 1957) كانت تضم عدد لا بأس به من المنخرطين خاصة في الغرب و الشمال الفرنسي(من المصاليين تاريخياً)."

و في هذه الاثناء قررت جبهة التحرير الوطني انشاء ما سمي آنذاك بالودادية العامة للعمال الجزائريين [47]«AGTA.و التي سبقها» إعادة تنظيم و هيكلة العمال الجزائريين بالمهجر حيث قسمت إلى خلايا و أفواج و ولايات:فكانت الخلية تتكون من 6 إلى 7 مناضلين، والفوج من 15 إلى 20 شخص، القسمة أو المنطقة من 5200 إلى 8000 شخص أما الولاية من 25000 إلى 30000 شخص» ، و قد وجه محمد البجاوي»[48] تعليمات إلى العمال الجزائريين بفرنسا بالبقاء داخل النقابات الفرنسية مع الفرنسيين وتأييدهم في مطالبهم.

خلاصة:

تجمعات عمالية، صراع طبقي، نقابات...مجموع من المفاهيم التي عرفت نشأتها وبلورتها في ظروف اجتماعية و اقتصادية مختلفة تماما عن الظروف الاجتماعية و الاقتصادية التي ميزت المجتمع الجزائري غداة الاستعمار الفرنسي لها، و لكل مفهوم مدلولات اجتماعية عميقة لا يمكن التعامل بها إلا بوعي الذي يربطها بظروف نشأتها و بروزها.

و النقابة كمفهوم أساسي عرفها العامل الجزائري و تبناه سبق وجودها كشكل منظم لمجموع العمال قبل أن يكون صراع بمحتوى إيديولوجي، و عليه فلا يجدر بنا المقارنة

والمقاربة بين تلك الأشكال و التعامل معها على أساس هويات تنظيمية واحدة ، و لا أعتقد ان هناك مجال للمقارنة إلا من ناحية طريقة تنظيمها أو من ناحية استراتيجياتها المطلبية ، وإن كانت هذه الأخيرة أي الاستراتيجيات هي تعبير حقيقي عن تلك الإيديولوجيات التي يتبناها كل تنظيم نقابي.

فالنقابة الجزائرية المستقلة التي عرفتها الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، و إن كان تنشط في إطار الفضاء العمالي إلا ان هدفها الأساسي من خلال تلك النشاطات ليس فقط تحسين ظروف العمال الجزائريين و لكن أيضا المساهمة في توحيد صفوف العمال مع الفكرة المركزية التي نشأت عليها و هي الاستقلال عن المستعمر الفرنسي.

الهوامش

1 لقد دعي توكفيل في بدايات زياراته إلى الجزائر عام1841 من ضرورة إيجاد نظامين إداريين يحكمان الجزائر، نظام خاص بالمسلمين و آخر خاص بالأوربيين... و لقد تغيرت مواقفه كثيرا حينما تولى منصب وزير خارجية فرنسا في فترة الجمهورية الثانية عام 1849 و أكد من ضرورة احتفاظ فرنسا بمستعمراتها و ذلك لكبرياء فرنسا، انظر René GALLISSOT, Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes, Barzakh, 2007 p.14.

2 René GALLISSOT, Algérie colonisée Algérie Algérienne-18701962-, La République Française et les indigènes, Barzakh, 2007.p.10.

3 Noureddine SRAIEB et autres, Le mouvement ouvrier Maghrébin, édition du CNRS, Paris, p.322.

4 FANON FRANTZ , Les damnés de la terre, Paris, éditions Maspero, 1956, p. 64

5 يشير ريني غاليسو في كتابه حول معنى Indigènes و التي يربطها بمعنى كلمة aborigène المستعملة على السكان الأصليين في استراليا، و الذين يقصدون من ورائها « طبيعي»، أين الانديجان ربطت بالطبيعي البدائي

6 René GALLISSOT, Algérie colonisée Algérie Algérienne-18701962-, La République Française et les indigènes, Barzakh, 2007.p07.

7 Il y a un second point que je dois aborder… : c'est le côté humanitaire et civilisateur de la question-… Les races supérieures ont un droit vis-

à-vis des races inférieures. Je dis qu'il y a pour elles un droit parce qu'il y a un devoir pour elles. Elles ont le devoir de civiliser les races inférieures». 28 juillet 1885: Jules Ferry «

8 Ibid. p.07

9 Ibid. p.17

10 اخذ هذا الفقرة بتصرف عن René GALLISSOT, Algérie colonisée Algérie Algérienne-1870-1962, La République Française et les indigènes, Op. cit.p.07، و لكن مع ملاحظة أحببت ان أضيفها و المتعلقة في المحاولة الجادة من الكاتب في دفع الاتهام عن الاشتراكيين من الفرنسيين في مسألة قبولهم لفكرة الاستعمار، إحساس يغمرني كلما توغلت في قراءة ما جاء في هذا الجزء من الكتاب، تبرير لا أكاد أجد له بد إلا ارتباط و امتداد عقدي، فكري بين الكاتب و بين التيار و إن كان الدفاع غير المباشر عن هذا التيار يغرق التيار أكثر مما يعطيه الشرعية على الأقل في هذه الحقبة الزمنية من الاستعمار الفرنسي للجزائر.

11 René GALLISSOT, Algérie colonisée Algérie Algérienne-18701962-, La République Française et les indigènes, Op.cit.p16.

12 René GALLISSOT, le Maghreb de traverse, Op. cit. p. 86.

13 René GALLISSOT, Algérie colonisée Algérie Algérienne-18701962-, La République Française et les indigènes, Op. cit. p.17.

14 Anarchistes

15 Ibid., p.17.

16 النقابية هي ترجمة شخصية للكلمة الفرنسيةsyndicalisme و التي لا تعني الهيكل التنظيمي للنقابة ، بل تعني كل المراحل التاريخية و الفكرية لهذا التطور التنظيمي، وحتى نضع فارقا بينها و بين كلمة حركة نقابية،mouvement syndical، التي عادة ما يشير إلى التطور التاريخي أو التنظيمي كل على حدى.

17 Ibid., p.23.

18 René GALLISSOT, le Maghreb de traverse, Op. Cit, p. 86.

19 لقد سبقت هذه التنظيمات النقابية النقابة الأهالي للوقاية و التي كانت تعمل على 1-- إسعاف و مساعدة العمال الزراعيين و الفلاحين الفقراء، و تعمل على وقاية من خلال التامين الجماعي ضد الحرائق و كانت بمثابة تعاضديه الفالحين و الخماسين. انظر abderrahil Taleb Bendiab ,Chronologie des faits et mouvements sociaux et politique en Algérie,1830-1954,, imprimerie du centre ,Alger,1983,p. 22.

20 من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية دراسات و بحوث و شهادات تاريخية، نفس المرجع، ص 111.

21 في 21 ماي 1884تم الاعتراف بالجمعيات النقابية «يمكن تأسيس النقابات و الجمعيات المهنية بطريقة حرة لأجل دراسة و الدفاع عن مصالحها الاقتصادية « و لقد سمي هدا القانون loi WALDEC ROUSSEAU

22 René GALLISSOT, le Maghreb de traverse, Op. cit, p. 88

23 فرنسي كان يمارس مهنة التعليم في الابتدائي بسيدي بلعباس حيث كان المتحدث باسم الفرع الشيوعي للمنطقة و هو نقابي اشتراكي ممن يميلون لفكر جاست

24 René GALLISSOT, le Maghreb de traverse, Op. cit, p. 88

25 Ibid., p 88.

26 Nasser DJABI, KAID LAKHDAR une histoire du syndicalisme algérien, entretiens, CHIHAB Editions2005, p.90بتصرف

27 René Gallissot, le Maghreb de traverse,Op.Cit, p.103

28 BENALLEGUE Nora, le mouvement gréviste en Algérie dans les années3035-,in » revue arabe du travail »,Organisation arabe de travail, Mai 1991,P.84.

29 DJAGLOUL Abdelkader, Rétrospective sur le mouvement syndical Algérien, centre National de recherche Scientifique, Oran, 1986, p.111.

30 René Gallissot, le Maghreb de traverse, Op.cit., p.104.

31 ANDREE (M) : Les classes sociales en Algérie, in Cahiers internationaux de sociologie. Volume 38e, 1965, p. 207

32 René Gallissot: Maghreb Algérie, Classes et Nation, tome 1, Arcantere, p. 266

33 Ibid, p. 265

34 René Gallissot, Maghreb Algérie, tome 2, Op.cit., p. 32

35 BENALLEGUE, Op. cit. p. 90

36 Ibid. p 97.

37 René Gallissot, le Maghreb de traverse, Op cit, p.97

38 سعدي بزيان،دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 54،التاريخ السياسي و النضالي للعمال الجزائريين في المهجر من نجم شمال إفريقيا إلى الاستقلال، مطبعة هومة،من دون سنة الطبع ،ص 08.

39 René Gallissot, le Maghreb de traverse, Op cit p 97.

40 لقد انتقل مصالي الحاج و هو ابن عامل جزائري إلى فرنسا عام 1919 في إطار أداء الخدمة العسكرية، وهنا تعرف على فرنسا و على زوجتهEmilie Busquant ابنت عامل من المناضلين مع النقابيين الفوضويين، و بباريس تعرف مصالي الحاج على الحركة العمالية الفرنسية،انخرط مع الحزب الشيوعي الفرنسي لسنوات عدة نضاله ضد الاستعمار و بعد عام1926 أسس عبد القادر حاج علي ENA ا تحت غطاء الحزب الشيوعي الفرنسي و شارك مصالي في المؤتمر الدولي لمناهضة الامبريالية في بروكسل و في العام الذي تلاها شهدت قطيعة بينه و بين التيار الشيوعي . منعت ENA عام 1929 من النشاط و أعيد تأسيس حركة أخرى تحت اسم Glorieuse Etoile Nord Africain GENA

41 سعدي بزيان،مرجع سابق،ص 14.

42 René Gallissot, le Maghreb de traverse, Op cit, p.98

43 يمكن الرجوع للإطلاع اكثر حول تأثر النقابيين الجزائريين بالنقابية الفرنسية من خلال شهادةالنقابي قايدي لخضر في كتاب للسيد جابي ناصر،قايدي لخضر حكاية النقابية الجزائرية،حوار، الشهاب للنشر،2005 باللغة الفرنسية.

44 نفس المرجع ،ص 127

45 Laure Pitti, La main-d'œuvre Algérienne dans l'industrie automobile (19451962-) ou les oubliés de l'histoire, in » Immigration et Marché du travail - N° 1263 - Septembre-octobre 2006, p.54.

46 François WEISS, Doctrines et actions syndicales en Algerie, Editions CUJAS, 1997, p.29.

47 René Gallissot, Dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb, Algérie : engagement sociaux et question nationale de la colonialisation à l'indépendance de 1830à 1962, edittion de L4ATELIER ; Paris, 2006, p.29.

48 مجاهد في صفوف جبهة التحرير الوطني و تم إرساله إلى فرنسا للعمل على تأطير الجالية الجزائرية و ربطها نضاليا بالجبهة و قد كان مكلفا أيضا بالتصفية الجسدية لمصالي الحاج.

الرضاعة الطبيعية بين القرآن الكريم و العلم

Breast feeding between the Koran and science

ا .د. عميرة جويدة، جامعة أبو القاسم سعد الله، (الجزائر2)

الملخص

هذه الاوراق العلمية تتناول موضوع الرضاعة الطبيعية والعلاقة العلمية بينها وبين القرآن من خلال التعامل مع النصوص الدينية الاسلامية والآلية التي تعاملت بها مع هذا الموضوع ، مع تأكيد القرآن على حق الرضاعة للطفل والمدة الزمنية التي جددها للرضاعة وعناصرها العلمية

Abstract

These scientific papers dealing the subject of Breast feeding and the scientific relationship between them and the Koran by dealing with Islamic religious texts and the mechanism by which dealt with the subject, and the confirmation of the Koran on the right breast of the child and the time period prescribed by the Breastfeeding and which scientific elements

المقدمة

ينصح جميع الأزواج في الإسلام بتحديد الفترة الزمنية مابين الحمول عن طريق الرضاعة الطبيعية، ذلك لان الرضاعة الطبيعية من صدر الأم أوصى بها القرآن الكريم، بينما الحمل في فترة الرضاعة غير مستحب، كما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالإسلام ليس بدين العبادة فحسب، بل انه أكثر شمولا، فهو أيضا نضاما اجتماعيا كاملا، يتضمن قيما ومثلا وخصائص وأهدافا يعتبرها الإسلام غاية الكمال الإنساني في كل مجالات الحياة.

والإسلام في كل تدابيره يحدوا منطقيا حيث يتماشى مع الفطرة الإنسانية. ويرأف بأمته، ولم يفرض عليها أعباء فوق الاستطاعة، أو قيود غير محتملة بل راعى التيسير والتسهيل و التخفيف ما أمكن ذلك. وهذا يتبين واضحا في كثير من الآيات الشريفة حيث جاء في سورة البقرة الآية 185 بعد بسم الله الرحمان الرحيم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر « كما جاء في سورة النساء الآية 28 بعد بسم الله الرحمان الرحيم.

« يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا«.

ويمكن أن يتضمن هذا التعاطف التخفيف من أعباء الحمل المتقارب أو المتكرر من حيث تضرر صحة الأم والطفل، إذ أن القاعدة العامة في التشريع الإسلامي تقضي بأنه « لا ضرر ولا ضرار « وهذه قاعدة عامة يلجا إليها الفقهاء في فتواهم. فإذا كانت الخصوبة الزائدة وحالات الحمل المتقاربة تؤدي إلى خطر على الأم أو الطفل فعندئذ يرى جمهور الفقهاء أن الإسلام يسمح للمسلمين بان ينظموا أسرهم بطريقة تقضي على هذه المخاطر والصعوبات أو تحد منها.

1- الرضاعة الطبيعية في القرآن الكريم:

هناك اتفاق شامل بين جمهور الفقهاء وهو انه لا توجد آية قرآنية صريحة تبين تحريم أو كراهية المباعدة بين الولادات بطرق صحية وسليمة، وفي مدد مباحة شرعا ومن بين الوسائل التي تضمن هذه المباعدة نجد الرضاعة الطبيعية. ففي سورة البقرة الآية 233 يقول عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم.

«و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها و لا مولود له بولده و على الوارث مثل ذلك فإن أراد فصالا عن تراض منهما و تشاور فلا جناح عليكم إذا أسلمتم مآءاتيتم بالمعروف و اتقوا الله و اعلموا أن الله بما تعملون بصير».

لقد بين الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة المدة المثلى للرضاعة الطبيعية و المقدرة بسنتين كاملتين/ حوليين كاملين، وذلك لتأكيد على أهمية الرضاعة الطبيعية ولتأكيد على إتمام مدة الإرضاع لما فيها من فائدة تعود على صحة الأم والطفل على السواء. والذين هم من خلق الله عز و جل و هو أدرى بمخلوقاته و الفوائد التي تعود عليهم حيث قال عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم، في سورة الملك الآية 14 « ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير».

إذن فبإرضاع الطفل لمدة حولين كاملين / عامين كاملين تضاف إليهما فترة الحمل والمقدرة بتسعة أشهر فتقريبا ستكون المدة الفاصلة بين كل مولود و آخر ثلاث سنوات و هي بذلك مدة كافية و مناسبة كي تسترجع الأم صحتها و عافيتها، و بالتالي تنعكس صحتها على صحة رضيعها بتغذيته من حليبها.

و في سورة لقمان، الآية 14 يقول عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم :» و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن و فصاله في عامين أن أشكر لي و لوالديك إلي المصير « فهذه الآية مرة أخرى تحدد المدة الفاصلة بين مولودين بحوالي ثلاث سنوات، تسعة أشهر للحمل و عامين للفصال حتى يستطيع أن يأخذ الرضيع حقه من الغداء والحنان.

و في آية أخرى كذلك وهي سورة الأحقاف، الآية 15، يقول الله عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم : « وصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها و وضعته كرها و حمله و فصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ الأربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن اعمل صالحا ترضاه و أصلح لي في ذريتي أني تبت إليك وأني من المسلمين»

فهذه الآية مرة أخرى تشير إلى الحمل و الفصال إلا أن الله عز و جل قد حدد هذه المدة بثلاثين شهرا، تسعة شهور للحمل و 21 شهرا للفصال أي عام و تسعة أشهر.

2- المعجزة القرآنية في الفترة المحددة بعامين للإرضاع على صحة الطفل:

تؤكد البحوث العلمية اليوم أن الرضاعة الطبيعية هي أحسن الطرق لتغذية الطفل فليس في الأغذية الطبيعية أو الصناعية ما يشبه هذا الحليب. فالحليب الذي يعطى للطفل من أمه يكون ملائما له، ووافيا بكل حاجاته و محتويا على كل ما يفيده في نموه وتطوره بنجاح. والجدول التالي يبين لنا الفرق في القيمة الغذائية بين حليب الأم وحليب البقرة.

النوع	البروتينات	الدهنيات	الكربوهيدرات	المواد المعدنية	السعرات الحرارية
حليب الأم	1.5	4.00	7.00	0.20	70
حليب البقرة	3.4	3.8	4.00	0.75	68

نلاحظ من هذه المقارنة الفرق الكمي بين حليب الأم وحليب البقرة. أما الفرق الكيفي فان أهميته اكبر من حيث الخصائص الفيزيوكيميائية و البيولوجية. فالتناسب الموجود في حليب الأم بين البروتينات و الدهنيات و الكربوهيدرات يهيىء الظروف المثالية لهضم هذه المواد وامتصاصها وتمثيلها. ثم أن كل جزء من المواد الغذائية التي يحتوي عليها حليب الأم مختلفة عن الآخر.

فحليب الأم يحتوي كثيرا من الزلال و الجلوبولين وقليل من الكازيين(وهو بروتين ثقيل النوعية) لا يهضمه الجهاز الهضمي عند الطفل إلا بصعوبة.

كما أن بروتينات حليب الأم قريبة إلى بروتينات الدم والأنسجة عند الطفل، ولهذا فان تمثيل البروتينات يجرى لديه بشكل أسهل وتكون أكثر نفعا له.

كما نجد أن تركيب الكربوهيدرات و المواد المعدنية في حليب الأم تحتوي على كثير من الإنزيمات، كما يحتوي على مختلف الأجسام المضادة (antibiotique) المتميزة وغير المتميزة التي تشكل عند الطفل مناعة ذاتية في المرحلة الأولى من حياته ضد الأمراض المعدية (مع العلم أن هذه المادة لا توجد في حليب أي حيوان أخر)، ضف إلى ذلك فحليب الأم معقم وخال من الجراثيم (1).

هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أن الماء الموجود في حليب الأم كافيا لتلبية حاجات الطفل حتى في المناطق الحارة والجافة. لهذا ليس من الضروري إعطاء الماء للطفل أو مشروبات أخرى إضافية.

و تبين الإحصائيات أن نسبة الوفيات اقل بأربعة مرات إلى غاية ست مرات بين الأطفال الرضع الذين يتلقون التغذية الطبيعية إذا قورنت بالوفيات بين الأطفال الذين يتلقون غيرها من أنواع التغذية. بحيث يزداد احتمال حدوث الإسهال أو أمراض أخرى إذا ما أعطي للطفل أغذية أخرى أو مشروبات مكان حليب الأم.

فالرضاعة الطبيعية هي التلقيح الأول للطفل. تساهم على حمايته من الإسهال وأمراض الأذن وقصبات الرئة ومشاكل أخرى صحية. فالحماية تكون أنجع عندما لا يتلقى الطفل سوى حليب الأم حتى سن ستة اشهر تقريبا ويبقى يتلقى الحليب خلال السنة الثانية ولا

يستطيع أي شراب أو غداء توفير مثل هذه الحماية للطفل.

كما أن الطفل الذي يرضع حليب أمه قلما يصاب بالإمساك حتى ولو لم ترضعه منها إلا بضعة اشهر فقط، إذ أن هناك فائدة مؤكدة من تلك البداية للطفل.

ضف إلى ذلك فان لحليب «السرسوب/ لبأ» (هو ذلك السائل الذي يتدفق من ثدي الأم خلال الأيام القليلة التالية للولادة) يحتوي على وقاية الأطفال الرضع من الأمراض المعدية في بدء حياتهم.

ومن كل هذا نفهم أن حليب الأم هو الغذاء التام النافع للطفل، وهو الغذاء المناسب الذي لا يسبب ضيقا للطفل الجائع لأنه ليس بحاجة للتحضير، وكل ما يحتاجه هذا الإرضاع هو العناية بغداء الأم المرضعة فقط.

3 – لماذا كانت الرضاعة الطبيعية حق من حقوق الطفل في الإسلام.

للطفل في الإسلام حقوق متعددة منها الحق في الرضاعة الذي جاء بنص قراني صريح (سورة البقرة الآية 233) «و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة».

ومن حق الطفل كذلك آلا ترضعه حامل، أو أن تحمل أمه وهي ترضعه، لان ذلك قد يؤدي إلى الغيل كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم. حيث روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت سمعت رسول الله صل الله عليه و سلم يقول : « لا تقتلوا أولادكم سرا فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه «(عبد الرحيم عمران.1994،ص44) والمراد منه أن لا ترضعن أولادكن و أنتن حوامل.

أي لا تقتلوا أبناءكم سرا لأن الغيل مجامعة الرضيع هو كالفارس الذي يجندل في المعركة من فوق فرسه.

ولقد اثبت علميا في الطب الحديث أن إعطاء الحليب للرضيع من أم حامل يسبب له أضرارا صحية بالغة الأهمية على مستوى جهازه الهضمي و جسمه ككل. و يؤكد الطب الحديث نشوء آثار سيئة للرضاعة من لبن الحامل على الجنين و الطفل المرضع يظهر آثارها مع تقدم سنهما. و قد أشار الرسول عليه الصلاة و السلام إلى هذا كما رأينا.

فان حدث هذا فالأم نجدها قد اعتدت على حق رضاعة طفلها وعلى جنينها، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تفي بمستحقاتهما الغذائية مهما كانت صحتها وقوتها الجسمية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الطفل الرضيع عند أخذ لبن أمه يتمتع بحقه الثاني آلا وهو العطف والحنان، فيكون بذلك مستقر نفسيا حيث يساعد الاهتمام بالطفل وإرضاعه

على تفتحه و نموه ويقوي عنده عاطفة الأمن. فعموما الأطفال الذين غدوا بحليب الأم يكونون قد تلقو عناية خاصة، فالإرضاع المتكررة يخلق اتصال وثيق بين الأم وطفلها ويساعد على تكوين العلاقة الطيبة بينهما وبذلك يكونون أكثر نشاطا من الذين تناولوا الحليب من زجاجة الرضاعة.

4- المعجزة القرآنية في الفترة المحددة بعامين للإرضاع على صحة الأم:

وتساعد الرضاعة الطبيعية الموصى بها في القرآن الكريم الأم من ناحية الغريزية، إذ أن حركات المص الواقعة على الحلمة تنبه الأعصاب المعصبة للرحم فتساعدها بذلك على الانظمار (أي العودة لحجمها الطبيعي)بعد الولادة.

كما أن الإرضاع يقلل كمية النزيف في الأسابيع الأولى بعد الولادة، وتقلل من مضاعفات احتقان الثدي وكذا احتمال الإصابة بسرطان الثدي فيما بعد (الجمعية المصرية للصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة. السنة غير مذكورة، ص 22).

و لقد بين علماء النفس أن الإرضاع يساعد الأم من الناحية النفسية، إذ أنها ترتاح كثيرا لإرضاع طفلها فتشعر بقربه منها بازدياد محبتها له يوما عن يوماً كما أن الطفل بدوره يشعر بالاطمئنان و الحنان عندما يلتصق بصدر أمه وعندما تحضنه بذراعيها (حافظ تورت . السنة غير مذكورة،ص 74).

والرضاعة الطبيعية الموصى بها في القرآن وسيلة لتباعد الولادات لان عملية التبويض لا يمكن أن تحدث إذ تحفز هرموناي LH-FSH اللذان يؤديان بدورهما إلى تأجيل عودة فترة التبويض خاصة في ستة أشهر الأولى.

وتشير النتائج الطبية كذلك أن هرمون البرولكتين Prolactine الذي يفرز نتيجة رضاعة الطفل بتنشيط إنتاج الحليب، يكون مصحوبا بعدم ظهور التبويض و تزيد فترة عدم الإباضة هذه عندما يرضع الطفل بصورة متكررة ليلا و نهارا.

ولقد اثبت علميا انه بقدر ما يكثر الطفل من الرضاعة بقدر ما يطول غياب العادة الشهرية عند المرآة. لهذا يجب تغذية الطفل بالثدي أكثر من 8 مرات في 24 ساعة (يونيسف. السنة غير مذكورة، ص43).

كما أثبتت التجارب العلمية أنه كلما طالت الفترة بين مولود و آخر كلما زادت فرص استرجاع الأم لصحتها و عافيتها، حيث أن الحمل و الرضاعة و تربية الأطفال يؤثرون على صحة الأم و إلى هذا الشأن أشارت الآية الكريمة السابقة « لا تضار والدة بولدها « فإطالة المدة الفاصلة بين مولودين/ حملين وكذا إرضاع الطفل تمكن الأم من استرجاع ما فقدته من

صحتها و جهدها في الحمل و الوضع و التربية.

والى هذا ما ذهب إليه خيرة أطباء الإسلام الذين قد درسوا طرق منع الحمل ونقلوا هذا إلى أوروبا، إذ ظلت كتب الطب الإسلامية تدرس فيها حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي ومن هذه الكتب نجد:

كتاب « القانون» لابن سينا، وكتاب «الحاوي في الطب» لإسماعيل الجرجاني، و«الكتاب الملكي» لعلى بن عباس وكتاب «الإرشاد» لابن الجامع، وكتاب «تذكرة داود الانطاكي» (وزارة الأوقاف و وزارة الإعلام.1990،ص 48).

الخلاصة:

الأسرة هي اللبنة الجوهرية في المجتمع الإسلامي فبالإضافة إلى كونها مصدر السكينة والتكامل الاجتماعي، فهي أيضا مصدرا للإنجاب والذرية والذي ذكره الله عز وجل في أكثر من أية حيث جاء في سورة الكهف الآية 46 « **المال و البنون زينة الحياة الدنيا**» وفي سورة آل عمران قال عز وجل» **هنالك دعا زكريا ربه، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة** «إلى غير هذا من الآيات الكريمة.

كما أوصى بحسن تربيتهم ورعايتهم وتغذيتهم وبين لنا حقوقهم في الصغر وواجباتهم في الكبر. ومن أهم حقوقهم في الصغر تغذيتهم. فتغذية الأطفال ولاسيما الصغار منهم قضية معقدة جدا تنطوي على مسؤولية في غاية الأهمية. ذلك أن الغذاء هو مصدر الطاقة التي يبنى منها جسم الطفل وينمو بسرعة، ويتوقف تركيب أعضاء الطفل و أجهزته و وظائف هذه الأعضاء والأجهزة على طبيعة الغذاء الذي يتناوله، لهذا كانت التغذية الصحيحة والصحية لطفل من تدبير الله عز وجل بفرضه لحليب الأم كغذاء ضروري لطفل لما له من فوائد جامة تعود على صحته وصحة أمه.

قائمة المراجع:

1- بنكين ستود. صحة الأطفال، دار الطباعة للنشر، ط3، 1985، ص 93.

2- الجمعية المصرية للصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة. الحمل و الولادة، السنة غير

مذكورة.
3- عمران عبد الرحيم. تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي، صندوق الأمم المتحدة للسكان، 1994.
4- لورت حافظ. رعاية الأم و الطفل، دار الفكر العربي، السنة غير مذكورة.
5- وزارة الأوقاف و وزارة الإعلام. موقف الإسلام من تنظيم الأسرة، القاهرة،1990 .
6- يونيسف. الإنقاذ بالمعرفة، جونيف، السنة غير مذكورة.

استحالة التنمية الاقتصادية دون تنمية بشرية

د/ حسن عالي _ جامعة سعيدة
باحث في فرقة التنمية الأسرية والعلاقات الاجتماعية – جامعة وهران

الملخص:

قد برز مفهوم التنمية Development بداية في علم الاقتصاد حيث استُخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في المجتمع؛ بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على تطوره الذاتي و المستمر بمعدل يضمن التحسن في زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه،ثم انتقل مفهوم التنمية إلى حقل السياسة منذ ستينيات القرن العشرين؛ حيث ظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير البلدان غير الأوربية تجاه الديمقراطية. وتعرف التنمية السياسية: "بأنها عملية تغيير اجتماعي متعدد الجوانب، غايته الوصول إلى مستوى الدول الصناعية. ثم تطور مفهوم التنمية ليرتبط بالعديد من الحقول المعرفية الأخرى مثل التنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة و التنمية الاجتماعية التي تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع جميعها.

Abstract:

Concept Development has emerged beginning in economics was used to denote the creation of a group of radical changes in the community process; in order to give the community the ability to self-development and continuing at a rate ensures improvement in increasing the community's capacity to respond to the basic needs and the needs of growing to its members،then moved concept development to the field of politics since the sixties of the twentieth century; where he appeared solo as a field concerned with the development of non-European countries towards democracy. Known political development،"as the process of a multi-faceted social change، than to reach the level of industrialized nations. Then the evolution of

the concept of development is linked to many other fields of knowledge such as cultural development،which seeks to raise the level of culture and social development،which aims to develop community-based interactions between the parties to the community all.

المقدمة:

تعتبر التنمية بأنواعها المختلفة و مفهومها الشامل والمعاصر عملية تغطي جميع مناحي الحياة ومجالاتها، وقد برز مفهوم التنمية Development بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث لم يُستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصادي البريطاني البارز "آدم سميث" في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان اللذان استُخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا التقدم المادي Material Progress، أو التقدم الاقتصادي Economic Progress. وتجسيد هذه العملية يتوقف على عدة عوامل تتفاوت أهميتها من ظرف لآخر، ومن بلد لآخر. و يعد مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية في القرن العشرين، حيث أُطلق مفهوم التنمية على عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية و اجتماعية تنموية متماسكة فيما يُسمى بـ "عملية التنمية"، وتبرز أهمية مفهوم التنمية في تعدد أبعاده ومستوياته، وتشابكه مع العديد من المفاهيم الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم.

وقد برز مفهوم التنمية Development بداية في علم الاقتصاد حيث استُخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في المجتمع؛ بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على تطوره الذاتي و المستمر بمعدل يضمن التحسن في زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه،ثم انتقل مفهوم التنمية إلى حقل السياسة منذ ستينيات القرن العشرين؛ حيث ظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير البلدان غير الأوربية تجاه الديمقراطية. وتعرف التنمية السياسية: "بأنها عملية تغيير اجتماعي متعدد الجوانب، غايته الوصول إلى مستوى الدول الصناعية. ثم تطور مفهوم التنمية ليرتبط بالعديد من الحقول المعرفية الأخرى مثل التنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة و التنمية الاجتماعية التي تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع جميعها.

ثم استحدث مفهوم التنمية البشرية ذلك الفرع الذي يهتم بدعم قدرات الفرد وقياس مستوى معيشته وتحسين أوضاعه في المجتمع ليواكب مراحل التنمية المختلفة و المرتبطة أساسا بهذا الفرد.

ويلاحظ أن جميع المفاهيم الفرعية المنبثقة عن مفهوم التنمية ترتكز على عدة مسلمات:

* غلبة الطابع المادي على الحياة الإنسانية، حيث تقاس مستويات التنمية بالمؤشرات المادية البحتة.
* نفي وجود مصدر للمعرفة مستقل عن المصدر البشري المبني على الواقع المشاهد والمحسوس.
* إسقاط فكرة الخالق من دائرة الاعتبارات العلمية.
* تطور المجتمعات البشرية يسير في خط متصاعد يتكون من مراحل متتابعة، كل مرحلة أعلى من السابقة، وذلك انطلاقًا من اعتبار المجتمع الأوروبي نموذجًا للمجتمعات الأخرى ويجب عليها محاولة اللحاق به.

وفي هذا المقال سنحاول الإجابة على التساؤلات التالية:

ما هو مفهوم التنمية و أنواعها والمستويات التي تمسها ؟

ما هي التنمية الاقتصادية ؟ واستراتيجياتها ؟

ما هي التنمية البشرية؟ و اختصاصاتها؟

ما هو الرابط بين التنمية البشرية و التنمية الاقتصادية

ما هي مختلف العوائق التي تتعرض لها عمليات التنمية ؟

وفي نهاية الورقة سوف نقدم التوصيات لموضوع (استحالة التنمية الاقتصادية دون تنمية بشرية)

1-1 مشكلة البحث:

تؤثر التنمية البشرية تأثيراً بالغاً على خطط التنمية للدول و بخاصة الدول التي تواجه أزمات اقتصادية متنوعة مما يؤثر على حركة التنمية فيها سواء بشكل جزئي أو بشكل كلي، وخلف عدم الاهتمام بالتنمية البشرية و بشكل خاص في الدول النامية و منها الدول العربية أزمات أدت إلى تعثر الكثير من مشاريع التنمية علي كافة الأصعدة مما أدي إلى تراجع الخطط التنموية للدول وبالتالي انحسار هذه التنمية وعودتها أحيانا إلى نقطة البداية.

ومن هذا المنطلق نبعت مشكلة هذا البحث، إذ أن وجود منهجية علمية فعالة لإدارة عناصر التكامل بين التنمية البشرية و خاصة أنها عنصر رئيسي مع جميع أنواع التنمية الاخري سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية يعمل على امتصاص و تخفيف الانتكاسات التي تخلفها تجاهل التنمية البشرية و ارتباطها بالتنمية الاقتصادية،و ذلك من خلال التخطيط الإستراتيجي المبني على أسس علمية سليمة.

1 – 2 أهمية البحث:

في ضوء الأهمية البالغة للآثار التي يخلفها عدم الاهتمام بالتنمية البشرية و مدي تأثيرها علي التنمية الاقتصادية بوجه خاص و كيفية معالجة تلك الآثار، كان لا بد من وجود دراسات تتناول هذا الموضوع وتعنى بوضع منهجية علمية و تأصيل نظري له، وقد توفرت بعض الدراسات التي طرقت هذا الموضوع بشكل عام سواء ارتباط التنمية البشرية بالتنمية الاقتصادية أو غيرها من أنواع التنمية الاخري، إلا أن هذه الدراسات قامت على أساس تحليل جزئي باعتبار أن وحدة التحليل هي الارتباط الحقيقي بين التنمية البشرية و التنمية الاقتصادية و تأثير كل منها علي الأخر.

وتضمنت بعض الدراسات موضوع التنمية البشرية و الحلول لمواجهتها وكيفية إدارتها عموماً، إلا أنها اقتصرت على إشارات قليلة وفرعية و لم تشر الي تأثيرها علي خطط التنمية الاقتصادية.

وتتضح أهمية هذا البحث من كونه من البحوث القليلة التي تتناول موضوع التنمية الاقتصادية و ارتباطه بالتنمية البشرية من وجهة نظر علم الإدارة، إذ لا بد من وجود دراسات متكاملة من منظور هذا العلم نظراً لخصوصية هذه المواضيع وارتباطها الوثيق بخطط التنمية للدول.

1 – 3 أهداف البحث:

الهدف العام لهذا البحث هو تصميم إطار مفاهيمي للتنمية الاقتصادية في ظل تنمية بشرية سليمة، ويتفرع عن هذا الهدف أهداف أخرى فرعية هي :

1 – التعرف علي مفهوم التنمية وأنواعها.

2 – التعرف علي مفهوم التنمية الاقتصادية.

3 – التعرف علي مفهوم التنمية البشرية و متطلباتها.

4 – توضيح مدى الارتباط بين التنمية الاقتصادية و التنمية البشرية.

5 – التعرف علي عوائق التنمية البشرية و أثارها علي التنمية الاقتصادية.

1 – 4 منهجية البحث:

يعتمد البحث على أسلوب التحليل النظري، حيث تم القيام بدراسة بحثية مكتبية في مراجع أدبيات التنمية البشرية و التنمية الاقتصادية و مدي ارتباطهما سويا. بالإضافة إلى الدراسات التي تناولت تأثير التنمية البشرية علي خطط التنمية و كيفية علاجها بطريقة علمية ممنهجة. ولتحقيق هذا الغرض تم الاعتماد على المراجع والدراسات السابقة كمصادر ثانوية للمعلومات.

مدخل إلي التنمية:

2 – 1 مقدمة:

من خلال هذا الفصل سوف نتطرق إلى التنمية وكمجال منها: التنمية الاقتصادية حيث سنبرز: ماهية التنمية ومستوياتها ومختلف المجالات التي تمسها بعد إعطاء نظرة عامة على نظريات التنمية الاقتصادية.

2 – 2 ماهية التنمية:

هناك مفاهيم متعددة حول مفهوم التنمية ويمكن إيرادها فيما يلي:

أولا: تعرف بأنها عملية معقدة شاملة تضم جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإيديولوجية. كما تعرف بأنها الشكل المعقد من الإجراءات أو العمليات المتتالية والمستمرة التي يقوم بها الإنسان للتحكم بقدر ما في مضمون واتجاه وسرعة التغير الثقافي والحضاري في مجتمع من المجتمعات بهدف إشباع حاجاته. وتعرف كذلك بأنها ظاهرة اجتماعية نشأت مع نشأة البشر المستقر فزاد الإنتاج وتطورت التجارة وظهرت الحضارات المختلفة على أرض المعمورة.

كما تعرف بأنها نشاط مخطط يهدف إلى إحداث تغيرات في الفرد والجماعة والتنظيم من حيث المعلومات والخبرات ومن ناحية الأداء وطرق العمل، ومن ناحية الاتجاهات والسلوك مما يجعل الفرد والجماعة صالحين لشغل وظائفهم بكفاءة وإنتاجية عالية.

ومن خلال ما سبق فإن هذه التعاريف تشترك في عدة نقاط أهمها:

* تعتبر التنمية عملية شاملة ومستمرة.
* التنمية هي عملية تغيير ونقل للمجتمع نحو الأحسن مع الانتفاع من التغيير.
* تهدف التنمية إلى تنمية الموارد والإمكانات الداخلية للمجتمع.

وعليه فإن التعريف الإجرائي للتنمية بأنه عملية شاملة ومستمرة وموجهة وواعية تمس جوانب المجتمع جميعها، وتحدث تغيرات كمية وكيفية وتحولات هيكلية تستهدف الارتقاء بمستوى المعيشة لكل أفراد المجتمع والتحسن المستمر لنوعية الحياة فيه بالاستخدام الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة.

2 – 3 خصائص التنمية:

وهناك نظرتان لمفهوم التنمية :النظرة الأولى: تعتمد على التنمية هي (عملية) على اعتبارات أن التغيرات البنائية الناجمة عنها تؤدي إلى ردود أفعال في كافة الأنساق وبالتالي

في الوظائف المرتبطة بها وكذلك لإعتبارها مجموعة من الخطوات المتتالية والمتداخلة والتي تؤدي إلى تحقيق غايات محددّة وهي تسير في اتجاه واحد. أما النظرة الثانية: فتنظر إلى التنمية بوصفها «أداة» وهذا يرجع إلى اعتبار أن التنمية أو بالأحرى خطة التنمية ليست هدفا في حد ذاتها ولكنها وسيلة لتحقيق الأهداف التي تحقق طموحات المجتمع من وراء عملية التنمية.

2 – 4 العوامل المساعدة على التنمية:

وتقسيم هذه العوامل إلى عوامل ذاتية وأخرى موضوعية:

العوامل الذاتية : وتتلخص فيما يلي:

* إمكانية تغيير أنماط الحياة السائدة بالإيمان بإمكانية الإصلاح و التغيير.
* الطوعية والعون الذاتي: توافر الهيئات الطوعية القادرة على تحقيق التقدم بكل حرية.
* التحفيز والاستثارة: أي تحفيز الأفراد واستثارة جهودهم للمشاركة في عملية التنمية.
* الخدمة والتضحية بالذات: أي قيام الأفراد والقائمين على التنمية بأدوارهم وواجبهم.

العوامل الموضوعية :

* أن تعبر برامج التنمية عن الحاجات الأساسية للمجتمع استجابة لحاجات الأفراد.
* أن تكون عملية التنمية متوازنة علي كافة المجالات الوظيفية.
* أن تهدف برامج التنمية إلى زيادة فعالية مشاركة الأفراد في شؤون مجتمعهم المحلي.
* اكتشاف وتدريب القيادات المهنية المحلية وأن يكون لها دور فاعل في التنمية.
* ضرورة التركيز على مساهمة الشباب والنساء في برامج التنمية.

2 – 5 مستويات التنمية :

إن اختلاف الموارد الطبيعية للدول واختلاف توزيعها على المناطق الإقليمية يؤدي إلى اختلاف درجات وطبيعة التنمية واختلاف مستوياتها ومجالاتها كما يلي:

بالنسبة لمجالات التنمية نميز بين: التنمية الوطنية والتي تعتبر عملية يتم فيها تشغيل جميع القطاعات واستغلال كل الموارد والإمكانات المتاحة للدولة، وهي عملية تقتضي وجود تخصص وتناسق بين الوحدات الإنتاجية ووجود شبكة إنتاجية واسعة تشمل كل القطاعات والأقاليم علي مستوي الدولة.

أما التنمية المحلية: فتعرف بأنها مجموعة من العمليات تتوحد فيها جهود الأهالي مع السلطات الرسمية للدولة بهدف تحسين الأحوال الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

للمجتمعات المحلية وتمكينها من المساهمة بدرجة قصوى في عمليات التنمية الشاملة علي كل المستويات.

2 – 6 مجالات التنمية المختلفة :

تتميز التنمية بالعديد من المجالات كمايلي:

1 – التنمية الاقتصادية : وتهتم في جوهرها إلى زيادة الطاقة الإنتاجية للاقتصاد و نموه.

2 – التنمية الاجتماعية : وتهتم بإحداث تغيير حضاري في طريقة التفكير والعمل والحياة عن طريق إشارة وعي الناس بالبيئة المحلية من أجل المشاركة في تنفيذ برامج التنمية لإحداث التغيير اللازم لتطوير المجتمع.

3 – التنمية السياسية : و هي تساهم في تكوين رأي عام للتأثير به لدى القرار السياسي، أي المشاركة في صنع القرار السياسي من خلال مجموعة من الوسائل: الأحزاب، الجمعيات، النقابات، وهي مستوى متطور من الفكر، يبحث عن ترقية علاقة الدولة بالمجتمع.

4 – التنمية الإدارية: وتهتم بتطوير قدرات الإداريين وتحسين أدائهم والتأثير على البيئة التي يعملون فيها عن طريق دراسة الهياكل التنظيمية وتحديث القوانين واللوائح المعمول بها، وتطوير وتنمية معلومات أفراد التنظيم، وتحسين البيئة للعمل الإداري.

2 – 7 أنماط التنمية واستراتيجياتها:

وإن كان هناك عدم اتفاق على الأسلوب الأمثل للتنمية، إلا أنه هناك نوعين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وهما: إستراتيجية النمو المتوازن وإستراتيجية النمو غير المتوازن نلخصهما فيما يلي:[1]

1 – **إستراتيجية أو نمط النمو المتوازن:** ويرجع عرضها إلى الاقتصادي المعروف « نيركسه « والذي يرى ضرورة توجيه دفعة قوية إلى مجموعة من الصناعات الاستهلاكية المتكاملة أفقيا وذلك لمواجهة عقبة ضيق نطاق السوق المحلي في الدول النامية وكسر الدوائر المفرغة المؤدية للفقر وبالتالي لا بد من إنشاء العديد من الصناعات الاستهلاكية المتزامنة حيث تؤدي إلى توسيع نطاق السوق وخلق العديد من الصناعات المتكاملة، كما يرى نيركسه: ضرورة تحقيق التوازن بين الصناعة والزراعة حتى ولو كانت مشكلة تمويل هذه الصناعات وأيضا قطاعي الزراعة والصناعة تمثل عقبة أمام نجاح هذه الإستراتيجية.

2 – **إستراتيجية النمو غير المتوازن:** وترجع هذه النظرية إلى الاقتصادي « هيرشمان « حيث هاجم الإستراتيجية الأولى والتي كانت ترتكز على إنماء مجموعة عريضة من الصناعات

1 محمد فوزي أبو السعود، مقدمة في الاقتصاد الكلي، الدار الجامعية، الإسكندرية 2004، ص،ص.340.342.

الاستهلاكية في آن واحد، نتيجة لقصور الموارد المالية في الدول النامية، ويرى « هيرشمان توجيه الاستثمارات إلى عدد محدود من الصناعات الرائدة التي تقود بدورها عملية النمو الاقتصادي في الاقتصاد القومي ككل. كما يرى هيرشمان أن عمليات اختيار هذه الصناعات يتوقف على مدى قدرتها على الحث على الاستثمار في المشروعات والصناعات.

وفيما يلي الخطوط العريضة التي يجب أن تتضمنها إستراتيجية التنمية الشاملة:[2]

ميادين العمل الحكومي لا بد أن تضم:

- تحديد المشروع الاجتماعي.
- المشروعات الإنتاجية الحكومية في المجالات التي هي خارجة عن النشاط الاقتصادي الخاص (المشروعات الاقتصادية الاجتماعية الضخمة...).
- التوجيه الحكومي والتخطيط لتشجيع التكامل والاندماج الاقتصادي بين القطاع العام والخاص.
- تشجيع ومعاونة المستثمرين في الميادين العامة للتعليم، الصحة، والإسكان.
- سياسة زراعية في المدى القصير، المتوسط والطويل تحدد الأهداف الإنتاجية.
- سياسة مالية نقدية وتجارية عامة ملائمة.

نظريات التنمية الاقتصادية:

3-1 تعريف التنمية الاقتصادية:

تعرف التنمية الاقتصادية: بأنها ذلك الجانب المادي الذي تعمل الدولة على تنميته والاهتمام به لأنه من الركائز الأساسية لأي تنمية، وتعرف التنمية الاقتصادية على أنها العملية التي يتم من خلالها الانتقال من حالة التخلّف إلى حالة التقدم وذلك يقتضي إحداث تغير في الهياكل الاقتصادية، وبالتالي فهي تنصرف إلى إحداث زيادة الطاقة الإنتاجية للموارد الاقتصادية، كما تعتبر التنمية الاقتصادية على أنها عملية لرفع مستوى الدخل القومي بحيث يترتب تباعا على هذا ارتفاع في متوسط نصيب دخل الفرد، كما أنه من مضامينها رفع إنتاجية فروع الإنتاج القائمة خاصة في دول العالم الثالث كالقطاع الزراعي وقطاع الموارد الأولية.

2 د: جمال الدين لعويسات، العلاقات الاقتصادية الدولية والتنمية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2000، ص،ص.78.77.

3 – 2 اتجاهات نظريات التنمية الاقتصادية:

ويمكن استعراض أهم اتجاهاتها فيما يلي[3]:

1- القاسم المشترك بين مختلف النظريات هو التركيز على أهمية التراكم الرأسمالي Accumulation (Capital) فضلا عن العوامل التي تدعمه أو تعوقه.

2- بالنسبة للاقتصاديين الكلاسيك وضحوا كيف أن التنمية الاقتصادية يمكن ان تعاق بسبب الضغوط السكانية مقترنة بندرة الموارد الطبيعية.

3- أضاف النيو كلاسيك تحليل عملية الادخار والاستثمار والآثار الموالية للتقدم التكنولوجي.

4- أما كارل ماركس فأكد أن علاقات الإنتاج في ظل النظام الرأسمالي (Capitaliste System) تتعارض مع التقدم التكنولوجي فيه، ومن ثم حدوث كساد دوري في الاقتصاد ثم لركود حتمي، كما أشار على التكاليف الباهضة والمتكررة لعملية النمو الاقتصادي في ظل النظام الرأسمالي والتي تتمثل في صورة التمزق الاجتماعي والاقتصادي الذي يحل بالمجتمع.

3 – 3 نماذج تخطيط التنمية الاقتصادية:

النموذج يهدف إلى معرفة التناسب للمتغيرات ومعاملات الارتباط في الآلية الاقتصادية وتأثير اختلاف التناسب في عوامل الإنتاج سلبيا وإيجابيا على الاقتصاد الوطني بشكل عام.[4]

1- نموذج فيلدمان – مها لانوبيس (Feldman – Mahalanobis) وهدفه زيادة الدخل والاستهلاك والعمالة عن طريق زيادة الطاقة الإنتاجية لقطاع وسائل الإنتاج.

2- نموذج هارود – دومار: (Domar – Harodd) ويحدد النمو على أساس المقدرة على الادخار وليس على أساس توزيع الاستثمارات بين القطاعات وأهمية هذا التوزيع على زيادة الدخل المستثمر، كما يؤكدان على أنه لا يمكن الاستمرار في الادخار إلا في اقتصاد قادر على إنتاج السلع الإنتاجية، كما في النموذج الأول.

3 – 4 مراحل رسم للنمو الاقتصادي:

حيث تقوم فكرة النمو الاقتصادي على أساس أن الاقتصاد القومي ينتقل من مرحلة

---

3 هوشيار معروف، دراسات في التنمية الاقتصادية، جامعة البلقاء التطبيقية، دار الصفاء للنشر،ط1(2005)،ص.11.

2 نعمة الله نجيب إبراهيم، أسس علم الاقتصاد، مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000،ص،499.

3 محمد عبد العزيز عجمية، محمد علي الليثي، التنمية الاقتصادية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2001،ص.64.65.

4 احمد عبد العزيز عجمية، محمد علي الليثي، التنمية الاقتصادية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 200،ص،64.

إلى أخرى حتى يصل إلى أعلى درجات النمو الاقتصادي وتتلخص هذه المراحل فيما يلي:[5]

* مرحلة المجتمع التقليدي
* مرحلة التهيؤ للانطلاق
* مرحلة الانطلاق
* مرحلة النضج
* مرحلة الاستهلاك الكبير

3-5 التغيرات الاقتصادية العالمية وأثرها على التنمية:

ويمكن تلخيص أهم التغيرات الاقتصادية العالمية في أواخر القرن العشرين في أربعة نقاط أساسية تتمثل في [6]

- زيادة موجة التحرر الاقتصادي
- إقامة منظمة التجارة العالمية
- تزايد قوة التكتلات الاقتصادية الدولية.
- ظهور العولمة وسرعة انتشارها.

الآثار الإيجابية للتغيرات الاقتصادية:[7]

- التخلص من عناصر عدم الكفاءة في وحدات القطاع العام.
- إشراك القطاع الخاص في العملية مما أدي الى زيادة الإنتاجية و الأرباح.
- تقلص الأنفاق الحكومي بسبب التخلص من دعم الحكومة لشركات القطاع العام.
- زيادة حصيلة الضريبة على أرباح المشروعات بعد تحويلها للقطاع الخاص.
- رفع إنتاجية المشروعات التي تتبع مبادئ السوق الحر، و
- فتح فرص جديدة أمام المدخرات الخاصة لتستثمر في مشروعات قائمة أو جديدة.
- إعادة تدوير الأموال المحررة من المشروعات العامة بعد بيعها للقطاع الخاص.
- إعادة توزيع الثروة والدخل في صالح الطبقات الفقيرة والمتوسطة من خلال إتاحة الفرصة لها لتملك بعض أجزاء وحدات القطاع العام.

---

5 جمال الدين لعويسات، مرجع سابق، ص،80-79.

6 عبد القادر محمد عبد القادر عطية، اتجاهات حديثة في التنمية، الدار الجامعية، الإسكندرية،2003/ 2002،ص.229.

7 نفس المرجع السابق، ص، 232.231.

الآثار السلبية: [8]

- فقدان الدول النامية لأسواقها بالدول الاشتراكية بعدما انتهاجها سياسات التحرر.
- احتمال أن تدخل بعض الاقتصاديات المتحولة في اتحاد اقتصاد الدول الأوروبية المتقدمة وهو ما يحولها من قوى داعمة للدول النامية إلى قوى منافسة لها.
- زيادة معدل البطالة بين الفقراء بسبب التحول من القطاع العام إلى القطاع الخاص.
- ارتفاع تكاليف المعيشة وزيادة عدد الأسر تحت خط الفقر.
- مخاوف من سيطرة الأجانب على رأس المال الوطني

3-6 العوامل التي تعيق عملية التنمية الاقتصادية:

و نذكرها فيما يلي:[9]

1- العوائق الاقتصادية وتتمثل في: دائرة الفقر المفرغة – ضيق حجم السوق.

2- العوائق الحكومية للتنمية: وتتمثل في توفير وتعزيز لبيئة مستقرة للمشروعات الحديثة أي استقرار سياسي واستقلال سياسي والدعم الحكومي لها.

3- القيم الاجتماعية كعوائق للتنمية: وتتمثل في قيم المجتمع و ثقافته التي لها دور مباشر في تحقيق التنمية من عدمه.

تنمية الموارد البشرية:

4-1 مقدمة:

إن الحاجة إلى إدارة أفراد متخصصة بشكلها الحديث ليست وليدة الساعة، إنما هي نتيجة لمجموعة من التطورات المتداخلة، و التي ساعدت بشكل مباشر أو غير مباشر من ظهور الحاجة إليها و ذلك لرعاية شؤون العاملين بالمنظمة و تعمل على توفير أنجع الآليات لإدارة الطاقات البشرية المتوفرة بكفاءة و تتمكن من زيادة إنتاجية العاملين. وتعتمد كفاءة كثير من الشركات على حسن استثمار مواردها و على الأخص الموارد البشرية التي تتحكم في باقي الموارد و في طريقة استخدامها، و لهذا ظهر الاحتياج إلى إدارة مستقلة بكل منظمة تخص الموارد البشرية. إن إعداد العنصر البشري إعداداً صحيحاً بما يتفق واحتياجات المجتمع،على أساس انه بزيادة معرفة وقدرة الإنسان يزداد ويتطور استغلاله للموارد

8 عبد القادر محمد عبد القادر عطية، مرجع سابق، ص،ص.232.233.

9 (مالكولم جيلز، دوايت بيركنز، مايكل رومر، دونالد سودجراس)، اقتصاديات التنمية، دار المريخ، الرياض، ص،ص.51.63

الطبيعية،فضلا عن زيادة طاقاته وجهوده.وقد أشار تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة سنة 1990 أن التنمية البشرية تعني بتوسيع نطاق الاختيار أمام الأفراد وذلك بزيادة فرصهم في التعليم والرعاية الصحية والدخل والعمالة. وقد تطور مفهوم تنمية الموارد البشرية ولم يعد يقتصر فقط على التعليم والتدريب،بل أصبح يركز على تطوير أنماط التفكير والسلوك،ونوعية التعليم والتدريب،ونوعية مشاركة الجمهور في اتخاذ القرارات والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد،وثقافة الشعوب،وطرق وأساليب العمل والإنتاج أي تعبئة الناس بهدف زيادة قدراتهم على التحكم في مهاراتهم وقدراتهم. وتشير تقارير الأمم المتحدة (20) إلى إن تنمية الموارد البشرية تركز على :-

* أن يعيش الإنسان حياة كريمة.
* أن يكتسبوا المعارف العلمية.
* تكوين قوة عمل مستقرة و فعالة.
* تكوين مجموعة متفاهمة من الموظفين و العمال القادرين على العمل و الراغبين فيه.
* أن يحصلوا على الموارد اللازمة لمستوى معيشة لائق.

4-2 مفهوم إدارة الموارد البشرية :

من خلال التطور التاريخي الذي عرفته إدارة الموارد البشرية، و دلك من مفهومها كقوى عاملة إلى مفهوم أوسع و أشمل منه، و هو الموارد البشرية يمكن إعطاء بعض التعاريف المتعلقة بإدارة و تنمية الموارد البشرية.

حيث تعرف إدارة الأفراد بأنها » النشاط الإداري المتعلق بتحديد احتياجات المنظمة من القوى العاملة و توفيرها بالإعداد و الكفاءات المحددة مع الاستفادة من هده الثروة البشرية بأعلى كفاءة ممكنة. [10]«و تعرفت إدارة الأفراد أيضا بدراسة السياسات المتعلقة باختيار و تعيين و تدريب و معاملة الأفراد في جميع المستويات، و العمل على تنظيمها داخل المؤسسة، للوصول بالمؤسسة إلى أعلى طاقاتها الإنتاجية[11]. و يعرف آخرون مفهوم إدارة الأفراد من كونه الحصول على أفضل ما يمكن من الأفراد للمنظمة، و رعايتهم و ترغيبهم في البقاء ضمن المنظمة و إعطاء كل ما في وسعهم لأعمالهم.

و بناءا على التعريفات السابقة، يمكن الخروج بتعريف شامل عن إدارة الموارد البشرية «هي الإدارة التي تختص بتسيير شؤون الأفراد في المنظمة. بغية وضع الفرد المناسب في المكان المناسب، وذلك من أجل تحقيق أهداف المنظمة».

10 د.مصطفى نجيب شاوش، إدارة الأفراد الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق للنشر التوزيع، 1996، ص 27

11 4.3.2 د. همدي حسن زويلف، مرجع سبق ذكره، ص 9

4-3 أهداف إدارة الموارد البشرية و كيفية تحقيقها:

إذا اتفقنا أن الهدف هو نتيجة محددة، ينبغي الوصول إليها بمستوى معين من الدقة، والكفاءة نستطيع أن نركز على أهداف إدارة الموارد البشرية فيما يلي [12]:

* تكوين قوة عمل مستقرة و منتجة لدي المنظمة.
* تنمية القوى العاملة و تحسين كفاءتها في الإنتاج.
* صيانة القوى العاملة و المحافظة على مستوى مهارتها في الأداء و على سلامتها.
* التعويض المادي و المعنوي و خلق درجة كافية من الرضا و الإقبال على العمل للأفراد.
* المحافظة على القوى العاملة المدربة ذات الكفاءة و تأهيلها المستمر لإنجاح أهداف المنظمة.

4-4 آليات تطوير الموارد البشرية :

4-4-1 التخطيط :

إن أي تنمية تحتاج إلى موارد بشرية تنهض بأعبائها وعليه يجب أن نقوم بتحديد نوعيات و عدد العمالة اللازمة لكل مهمة و نشاط، حيث أن تخطيط الموارد البشرية هو محاولة لتحديد احتياجات الوحدة الاقتصادية من العاملين خلال فترة زمنية معينة، وهي الفترة التي يغطيها التخطيط، وهي سنة في العادة.وباختصار فإن تخطيط الموارد البشرية يعني أساسًا تحديد أعداد ونوعيات العمالة المطلوبة خلال فترة الخطة.

4-4-2 تدريب الموارد البشرية :

و يهدف من وراء عملية التدريب إعداد الفرد و تدريبه حتى يكتسب المهارات والخبرات اللازمة

* زيادة الإنتاج عن طريق تحسين المهارات والمعارف الفنية لأداء الأعمال.
* سرعة تنفيذ الأعمال بصوره صحيحة.
* ضمان تجنب الضرر وتفادي الأخطار كلما زاد التدريب.

4-4-3 أعادة هندسة العمليات:

يرتبط تحسين الإنتاج بعملية إعادة هندسة العمليات والتي يقصد بها إجراء تغييرات جذريه للعمليات تؤدي إلى حصول تغييرات جوهريه في المنتج و بناءا على ذلك يتم ما يلي :

* تشكيل فرق العمل

12 د. علي السلمي، إدارة الأفراد و الكفاءة الإنتاجية الطبعة الثالثة، القاهرة، دار غريب، 1985، ص 19

* تغيير طبيعة العمل
* الحصول علي الدعم و التأييد لجهود إعادة هندسة العمليات
* التحول من الوظائف المراقبة إلى الوظائف الممكنة
* التحول من التدريب إلى التعليم

4-4-4 تقييم الأداء :-

هي العملية التي تصمم لتقدير ما أنجزه الفرد من (كمية العمل المنجز،جودة العمل،مدى الاعتماد على المورد البشري،وحكمه وتقديره). وتعد عملية تقييم الأداء مهمة بالنسبة لمحاسبة الموارد البشرية لأنه من خلالها يمكن الاستفادة من إيجاد الطاقة الإنتاجية للموارد البشرية والتي عادة ما يصعب قياسها.

و أن تقييم الأداء يخدم العديد من الأغراض منها:

* يوضح العامل الذي يجب تدريبه ومن الذي ينبغي نقله أو الاستغناء عنه.
* يبين و يوضح الفرد الذي يستحق العلاوة أو الترقية.
* مقارنة العمل المنجز مع العمل المتوقع،وتحديد الإجراءات التصحيحية الواجب اتخاذها.

1-5 تحديات إدارة وتنمية الموارد البشرية:

توضح دراسة أجراها فريق من شركة IBM والاستشاريون تاور بيرن وشارك فيها (3000) اختصاصي في مجال إدارة الموارد البشرية من (12) بلداً، وكذلك دراسات وكتب نشرت في أواخر التسعينيات، أن العاملين في مجال إدارة وتنمية الموارد البشرية سوف يواجهون عدداً من التحديات في الألفية الثالثة عن:

* عولمة الأسواق المحلية والوطنية وعولمة تقنيات الاتصالات و المعلومات.
* بروز اتجاهات تنظيمية جديدة في منظمات الأعمال والخدمات مغايرة للأنماط التنظيمية التقليدية.
* التغيرات الديموغرافية التي تتميز بانفجارات سكانية، وبتزايد عدد المسنين، وتزايد عدد الشبان
* تداخل الثقافات والنظم الاجتماعية، مما يعني تغيراً كبيراً في الفرص الوظيفية والقيادية المتاحة، وأخلاقيات العمل.
* التغيرات في نظرة المديرين والقياديين نحو العوامل المؤثرة في تحقيق الفاعلية.

* بروز بيئات إدارية وتنظيمية تتسم بسرعة التغير والتحول، وعدم وجود شكل للتنظيم ثابت.
* التركيز على الإبداع والسرعة والكفاءة والفاعلية الفردية في منظمات عمل تدار عن طريق مجموعات وفرق العمل.
* اتساع الفجوة والتباين بين المهارات الوظيفية الملائمة لفترة ما بعد التسعينيات والمهارات التي تركز عليها النظم التعليمية والتدريبية.
* تعاظم الفجوة بين زيادة الطلب على الموارد الاقتصادية وزيادة مستوى الشح في توفرها
* تزايد التنافس عليها على المستوى الوطني والقومي والدولي، مما يعني احتمال تزايد الصراعات و التنافسات والتركيز على تحقيق الأكثر بالأقل.
* تزايد الاتجاه نحو تخلي المنظمات عن دورها التقليدي في تحمل مسؤولية تدريب وتنمية العاملين، والتركيز على التدريب لتغيير الاتجاهات والاستعدادات، بدلاً من التركيز على المعارف والمهارات التي أصبحت المنظمات تتجه لتحميل العاملين مسؤولية اكتسابها.

4-6 دور التنمية الاقتصادية في عملية التنمية البشرية :

لقضية التنمية الاقتصادية بعداً مجتمعياً علي مستوي العالم المتقدم أو النامي حيث تعد هدفاً تسعى إليه جميع الدول من خلال العمل علي الاحتفاظ بمعدل مناسب من التنمية حتي يتحقق للمجتمع علي المدى البعيد التوظف الكامل دون حدوث تضخم أو انكماش. أما الدول النامية فان الهدف من التنمية هو زيادة معدلات النمو في الدخل القومي الحقيقي أي الحد من البطالة والارتقاء بالمواطن وتحقيق آماله في حياة كريمة وفقاً للمعايير الصحية والتعليمية والاجتماعية. و إن أبرز ما تنطوي عليه عملية التنمية هي إحداث تغيير جذرى في المجتمع و القضاء علي مسببات التخلف.

تلعب التنمية الاقتصادية دورا كبيرا في عملية التنمية البشرية والاجتماعية من خلال:

* توفير فرص العمل في المجالات المختلفة وحل مشكلة البطالة
* يسهم قطاع الصناعة في توفير موارد النقد الأجنبي اللازم لتمويل التنمية
* تساعد على استيعاب الموارد الإنتاجية من جميع القطاعات على مستويات الاقتصاد كافة
* تساعد على تقليص الفجوات التنموية بين الحواضر والأرياف داخل الدولة
* تعمل على تحقيق العدالة في توزيع الثروة، والتنمية المتوازنة بين مختلف فئات السكان.

الخاتمة:

إن العلاقة الجدلية بين التنمية البشرية وبين التنمية الاقتصادية تنبع من واقع أن أحدهما يعتمد على الآخر بشكل لا يقبل الشك، فقد أظهرت التجارب في العديد من البلدان بأن التنمية الاقتصادية المجردة من خطط الاستثمار للرأسمال البشري كانت فاشلة، فالفرد في المجتمع هو الأحوج أولاً إلى التنمية وذلك من واقع التخطيط له بأن يكون المهيأ لإدارة وقيادة عمليات التنمية في بلده، هذه من ناحية، والأخرى أن التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تقوم بدون وجود مورد بشري علمي ومثقف و مؤهل بكل ما تحتاجه مراحل التنمية الاقتصادية في كل النواحي، وكذلك أثبتت التجارب لبعض الدول النامية كيف أن اعتمادها على الرأسمال البشري المستورد قد كلفها أولاً خسارة من مواردها، وخسارة أخرى من فوات الفرص من عدم استغلال وتأهيل المورد البشري الوطني.و هذه العلاقة أدركها المخططون في الدول المتقدمة فهيأوا لها قواعد من النظرية والتطبيق ليقوموا بنهضة تنموية مدروسة ومستندة إلى عوامل النجاح وحسن التطبيق، وأسسوا قاعدة اقتصادية متينة (رغم كل الإخفاقات) لأنها اعتمدت على تنمية الإنسان ومنه لتحقيق التنمية الاجتماعية ليصلوا في النهاية الى تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة، فعمدوا منذ البداية الى تطبيق أسس جوهرية في تأسيس التنمية وكان منها مثلاً :

* إن الثروة لوحدها لا تعني التنمية بل يجب تعبئة الطاقات البشرية للنهوض بالمجتمع والإنسان.
* الاهتمام بتوجيه الرعاية التعليمية والتقنية للسكان وتطوير مهاراتهم ليكونوا مهيئين لمسايرة التنمية.
* التنمية الاقتصادية الحقيقية تتجلى في تأسيس واقع بشري تنموي يتناسب وحاجة البلد.
* التنمية للطاقات البشرية أولا قبل إنشاء المصانع والمؤسسات.

وليس ببعيد عنا تجربة الصين وماليزيا مثلاً عندما وصلا للنجاح والتقدم في المسيرة التنموية الاقتصادية من خلال اعتمادهما على بدأ الاستثمار الاجتماعي الذاتي والذي قادهما نحو نجاح التنمية الشاملة.

المراجع والهوامش/ :

1. حامد عمار،العوامل الاجتماعيه في التنميه « ورقة مقدمه ضمن بحوث ومناقشات ندوة تنمية الموارد البشريه في الوطن العربي المنعقده في الفتره من 18-29 نوفمبر1987، بالكويت

2. مصطفى نجبد شادليقي/ ادارة الموارد البشرية " إدارة الأفراد " (الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1996)

3. زكي محمود، ادارة الموارد البشريه منشورات ذات السلاسل، الكويت، بدون سنة طبع

4. موسى اللوزي، التنميه الاداريه : المفاهيم، الاسس، التطبيقات،الطبعه الاولى، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2000

5. الامم المتحده، برنامج الامم المتحده الانمائي، تقرير التنميه البشريه لعام 1990وكالة الاهرام للتوزيع، القاهره، مصر،1991

6. مكتب العمل العربي، الموارد البشريه الغربيه ودورها في الحياة الافتصاديه، مجلة العمل العربي، منظمة العمل العربيه، القاهره، عدد 98أ1997

7. علي السلمي، ادارة الموارد البشريه، دار غريب للطباعه والنشر أالقاهره، 1997

8. الامم المتحده، برنامج الامم المتحده الانمائي، تقرير التنميه البشريه لعام 1995، دار العالم العربي للطباعه، القاهره، 1995

9. ديسلر جاري. ترجمة محمد سيد احمد عبد المتعال، ادارة الموارد البشريه، دار المريخ، المملكه العربيه السعوديه،2003

10. مقال عن مفهوم التنمية بقلم/ د.نصر عارف كلية العلوم السياسية- جامعة القاهرة

11. صموئيل بول، الإدارة الإستراتيجية لبرامج التنمية، ترجمة محمود برهوم (عمان: المنظمة العربية للعلوم لإدارية، رقم السلسلة 300، 1985).

12. د.محمد أحمد معيط المنتدى العربي حول التدريب التقنى والمهني واحتياجات سوق العمل (الرياض، 16 - 18 / يناير/ كانون الثانى / 2010)

13. مكتبة الاكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك.

التنمية البيئية في المناهج المدرسية
قراءة تحليلية لكتب التربية المدنية للتعليم الابتدائي

Environmental development in the school curriculum
Analytical reading on Books civil education for primary education

د. بوشيخاوي اسمهان، جامعة وهران
أ. سوالمية نوريـة، جامعة معسـكر

الملخص:

لأننا لا يمكن الحديث عن المناهج المدرسية دون التطرق إلى الكتاب المدرسي، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم مكونات المنهاج، والذي لا غنى عنه في العملية التعليمية تم اختيار كتاب التربية المدنية للمستويات الخمسة من التعليم الابتدائي، ويرجع التركيز على هذه المادة إلى خصوصيتها، وتعدد فروعها، وقربها من التلاميذ، مما يجعلها مواد غنية، وذات تأثير كبير في زرع القيم والاتجاهات البيئية عند التلاميذ، خصوصا أنها تعتبر من أكثر المواد تنوعا واستجابة لتضمنها موضوعات بيئية مختلفة. وعليه ومما سبق طرحه نحاول الاجابة على سؤاليين هاميين هما: هل تساهم المناهج الدراسية في إكساب التلاميذ تربية بيئية؟ وهل يعمل كتاب التربية المدنية للتعليم الابتدائي في تكريس التربية البيئية لدى التلاميذ؟

Abstract :

Because we can not talk about the school curriculum without addressing the textbook, the latter which is one of the most important curriculum components, which is indispensable in the educational process has been selected book civics five levels of primary education, due to focus on this article to privacy, and multiple branches , and the proximity of the students, making them rich materials, and high-impact planting environmental values and attitudes of students, especially as it is one of the most versatile materials contained in the response to different environmental topics. Accordingly, the foregoing put try to answer Saaliyn Hamyin two: Do you contribute to

the curriculum to instill in students an environmental education? Is civics book for primary education in the consecration of environmental education among students does it work?

مقدمة:

يحتل موضوع البيئة مكانة بارزة واهتمام كبير سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي، إذ يعد نقطة التقاء كل العلوم من ايكولوجيا واقتصاد وقانون وعلم النفس وعلم الإجتماع، ويرجع هذا الإهتمام إلى المشكلات البيئية التي ظهرت نتيجة للتقدم التكنولوجي والصناعي، وبسبب تصرفات الإنسان الخاطئة في كثير من الأحيان، فلقد ظل الإنسان يسعى لتحقيق أهدافه في التنمية والتوسع دون المبالاة بالخطر الذي أوجده على التوازن البيئي، فمعظم معارك الإنسان للتقدم كانت ضد البيئة، مما أدى إلى ظهور العديد من المشكلات البيئية التي تمثل التهديد الأساسي لحياة الجنس البشري. وقد تبلور الإهتمام المتزايد بموضوع البيئة لدى بعض الدول في جهود تستهدف حمايتها والمحافظة عليها، فأصدرت العديد من التشريعات البيئية، لكن سرعان ما تبين أن مسألة حماية البيئة والمحافظة عليها، لا يمكن أن تتحقق بالنواحي التشريعية والجهود الإرتجالية، وإنما تتحقق عن طريق جهود علمية جادة تقوم على البحوث العلمية الميدانية والتخطيط السليم، من أجل معالجة الإتجاهات والقيم التي يتبناها الأفراد والجماعات في مواقفهم وسلوكياتهم إزاء بيئتهم، ومن هنا اتجهت هذه الدول باهتمام بالغ نحو التربية البيئية من أجل إيجاد الحلول لهذه المشكلات، بالاستعانة بمؤسسات التنشئة الإجتماعية من بينها المدرسة النظامية.

وعليه اتخذت مناهج التعليم في مختلف الدول منحى بيئيا، وأضحت التربية البيئية من أهم محاوره مركزة على الوضع البيئي، وذلك وفقا لما تضمنته أعمال العديد من المؤتمرات الدولية والعربية وكذا الندوات الإقليمية المنعقدة ما بين عامي 1976-1977، بداية من مؤتمر ستوكهولم 1972 الذي خلص إلى ضرورة وضع برامج بيئية في مراحل التعليم المختلفة، قصد تنظيم علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية والاجتماعية والنفسية من خلال إكساب الفرد المتعلم خبرة تعليمية واتجاهات وقيم خاصة بمشكلات بيئية تضبط سلوك الفرد إزاء الموارد البيئية، ويترجم هذا الهدف من خلال أنشطة تعليمية صفية ولا صفية، وكذا ندوات ونشرات .

والجزائر كغيرها من الدول أولت اهتماماً بالتربية البيئية من خلال تشريعاتها التربوية وبالتنسيق مع وزارة تهيئة الإقليم، حيث تضمنت المناهج التربوية إدراج مفاهيم وقضايا بيئية، مدعمة بأنشطة مدرسية لا صفية مع تخصيص الحقيبة البيئية للتلاميذ وبرامج إنشاء النادي الأخضر الموجه لجميع الفئات المتواجدين داخل المدرسة .

ولأنه لا يمكن الحديث عن المناهج المدرسية دون التطرق إلى الكتاب المدرسي، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم مكونات المنهاج، والذي لا غنى عنه في العملية التعليمية تم اختيار كتاب التربية المدنية للمستويات الخمسة من التعليم الابتدائي، ويرجع التركيز على هذه المادة إلى خصوصيتها، وتعدد فروعها، وقربها من التلاميذ، مما يجعلها مواد غنية، وذات تأثير كبير في زرع القيم والاتجاهات البيئية عند التلاميذ، خصوصا أنها تعتبر من أكثر المواد تنوعا واستجابة لتضمنها موضوعات بيئية مختلفة. وعليه ومما سبق طرحه نحاول الاجابة على سؤالين هامين هما: هل تساهم المناهج الدراسية في إكساب التلاميذ تربية بيئية؟ وهل يعمل كتاب التربية المدنية للتعليم الابتدائي في تكريس التربية البيئية لدى التلاميذ؟

ووفق المنظور التكاملي للبيئة ببعدها البيولوجي والفيزيائي وكذا الاجتماعي الثقافي والاقتصادي باعتبارها حلقة مهمة في تحقيق التنمية المستدامة، يقتصر عرضنا هذا على:

* التربية البيئية : مفهوم ، الأهداف والخصائص.
* التربية البيئية في المنهاج المدرسي.
* التربية البيئية في التعليم الابتدائي: أهداف واستراتيجية.
* الكتاب المدرسي ودوره في توظيف التربية البيئية: كتاب التربية المدنية نموذجا.

1. التربية البيئية : مفهوم ، الأهداف والخصائص.

1.1. مفهوم التربية البيئيّة:

إن التربية البيئية مصطلح يتكون من مفهومين: الأول التربية والتي يقصد بها عملية تكوين وتنمية الإتجاهات والمفاهيم والمهارات والقدرات عند الأفراد في اتجاه معين لتحقيق الأهداف التي يضعها المفكرون، وتحقق هذه العملية استقرار حياة الأفراد ورفاهيتهم وتنمية مجتمعهم(1)، والثاني البيئة التي تعرف على أنها تلك العوامل الخارجية التي يستجيب لها الفرد أو المجتمع بأسره استجابة عقلية أو اجتماعية كالعوامل الجغرافية والمناخية من سطح ونبات وموجودات وحرارة ورطوبة والعوامل الثقافية التي تسود المجتمع والتي تؤثر في حياة الفرد والمجتمع وشكلها وتطبعها بطابع معين ومنه [2] التربية البيئية عملية إكساب الطلاب خبرات تعليمية تتضمن الحقائق والمفاهيم والقيم والاتجاهات والمهارات البيئية اللازمة لفهم علاقة الإنسان بالوسط المحيط الذي يعيش فيه وتفاعله معه وتوضيح كيفية المحافظة عليه وحسن استثماره بشكل يضمن الرقابة للأجيال القادمة بعده[3]

وعليه يمكن تعريف التربية البيئية على أنها عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه

وبيئته، فهي مجموع المعارف والأساليب والمهارات والسلوكيات، التي تسعى لفهم وتطوير العلاقة بين الإنسان والبيئة.

2.1. أهداف التربية البيئية:

من خلال التعريفات التي أوردناها نشتق بعض أهداف التربية البيئية وهي:

* فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل الدائم بين مكوناتها البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية .
* التربية البيئية تهدف إلى إمداد الفرد بالوسائل والمفاهيم التي تمكنه من تفسير علاقة التكافل والتكامل التي ترتبط بين هذه المكونات المختلفة في الزمان والمكان .
* تساعد على إيضاح الطريق السوي نحو استخدام موارد البيئة بمزيد من العقلانية والحيطة لتلبية الاحتياجات المادية والروحية للإنسان في حاضره ومستقبله وللأجيال من بعد .
* تسعى إلى إيجاد وعي وطني بأهمية البيئة بالنسبة لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .
* إيجاد وعي على أهمية التكامل البيئي المعاصر.

3.1. خصائص التربية البيئية: [4]

من خصائص التربية البيئية أنها:

* تسعى لتوضيح المشكلات البيئية المعقدة وتؤمن بتضافر المعرفة اللازمة لتفسيرها.
* تحرص على الانفتاح على المجتمع المحلي .
* ترسخ فكرة التربية المستديمة والمتاحة لجميع أفراد الناس .
* تتميز بطابع الاستمرارية والتطلع للمستقبل .

2. التربية البيئية في المنهاج المدرسي:

يعد المنهاج المدرسي مجموع الخبرات التي تهيأ للمتعلم، وتستهدف مساعدته على النمو الشامل المتكامل، لكي يكون أكثر قدرة على التكيف مع ذاته ومع الآخرين، فهو أهم أداة يضعها المجتمع لتربية الأجيال وفق الصورة النموذجية التي يرغب أن يكون عليها الجيل الناشئ. ويمثل الأساس البيئي إحدى أهم الأسس التي يقوم عليه المنهاج المدرسي، من أجل إكساب المتعلمين مختلف الخبرات التي تتعلق بالمصادر الطبيعية وكيفية الحفاظ عليها ووقايتها، واستثمارها تبعا لأهميتها، هذا بالإضافة إلى تنمية قدرات المتعلمين على التفكير بمستويات مختلفة للتعامل مع البيئة بذكاء وفاعلية[5]. وتتمثل أهداف التربية البيئية في

المنهاج المدرسي فيما يلي:

* مساعدة التلاميذ على فهم موقع الإنسان في إطاره البيئي والإلمام بعناصر العلاقات المتبادلة التي تؤثر على ارتباط الإنسان بالبيئة.
* إيضاح دور العلوم والتقنيات والمكتشفات الحديثة وما لها من أثار سلبية في حالة عدم استخدامها بشكل صحيح ومناسب وما يترتب على ذلك من اختلال توازن العلاقات بين الإنسان وبيئته.
* توضيح فكرة التفاعل بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والقوى الطبيعية، ومساعدة التلاميذ على إدراك تصور متكامل للإنسان في إطار بيئته.
* تكوين وعي بيئي لدى التلاميذ وتزويدهم بالمهارات والخبرات والاتجاهات الضرورية التي تجعلهم يتفاعلون ويتعاملون ايجابيا مع البيئة.
* تأكيد أهمية التعاون بين الأفراد والجماعات والهيئات للنهوض بمستوى المعيشة والرفاهية وحماية البيئة.

3. التربية البيئية في التعليم الابتدائي: أهداف واستراتيجية.

3.1. أهداف التربية البيئية في التعليم الإبتدائي:

تسعى التربية البيئية في التعليم الإبتدائي إلى تكوين جملة من المعارف والحقائق التي تتمحور حول البيئة، يمكن إيجاز أبرز هذه الأهداف والمتعلقة بالتربية البيئية في النقاط التالية:[6]

- الأهداف المعرفية: تتمثل في:

* إكتساب التلميذ معارف متنوعة عن البيئة التي يعيش فيها
* التعرف على مقومات الثروة الطبيعية في بيئته وكيفية المحافظة عليها.
* تحديد المشكلات التي تتعرض لها البيئة وما يهددها من أخطار.
* أن يعرف مقومات التوازن الطبيعي في بيئته.

- الأهداف المهارية: وهي:

* ملاحظة الظواهر الطبيعية لبيئته وتفسيرها في حدود إمكاناته.
* إقتراح الحلول المناسبة للمشكلات.
* اتخاذ القرارات والمبادرات المناسبة للحد من التعدي على البيئة ومن الإساءة إليها.
* التواصل مع الآخرين والمشاركة معهم في حل مشكلات البيئة بالوسائل المتاحة.

- الأهداف الوجدانية: المتعلقة ب:

* تشكل وعي بيئي يسمح له بترشيد إستغلال بيئته.
* الشعور بحجم المشكلات التي تتعرض لها البيئة.
* الإلتزام بالمشاركة الفعالة في حماية البيئة.
* إحترام وتقدير العلاقات التي تربط الكائنات الحية بالبيئة

ويمكن تلخيص أهداف التربية البيئية في التعليم الابتدائي في الجدول الموالي: [7]

الجدول رقم (01): أهداف التربية البيئية في التعليم الابتدائي.

المفهوم	الرهان	البيداغوجية المفضلة
1- البيئة مشكل (إيجاد الحلول للمشكلات البيئية)	-المحافظة على البيئة. -ترميم المتلف منها (أي تنمية الكفاءات المتصلة بالبيئة)	تنمية المهارات المتعلقة بحل المشكلات.
2- البيئة مورد (تسيير البيئة) البيئة هي موجودات حيوية، فيزيائية، بيوفيزيائية مشتركة.	-تسيير موارد البيئة وفق منظور تنموي مستديم.	الجمع بين اكتساب معرفة واضحة وكافية عن الموارد البيئة وسبل المحافظة عليها في أوساطها المختلفة (الحدائق، الغابات، الحقول، المتاحف)
3- البيئة طبيعية. (تتميز بالأصالة والنقاء والصفاء)	-تنمية الجانب الإنفعالي الوجداني (الإعجاب، الإحترام، التقدير، الصيانة) -ربط علاقة وثيقة بين التلميذ والطبيعة -إثراء السلوك وتحسينه إزاء الطبيعة.	-العرض. -الجولات والزيارات (الإنفتاح على الوسط الطبيعي)

1- البيئة محيط حيوي. (إعتبار الأرض وسطا ومعيشيا للكائنات الحية والأشياء الموجودة على سطحها وهي مترابطة مع بعضها البعض، والتلميذ هو حلقة من حلقات هذه السلسلة المترابطة.	-الوعي بالمسؤولية الفردية التي تتطلب تعديل السلوك من خلال المعرفة الجيدة للمحيط. -كل فرد مسؤول عن جزء من الكوكب الذي نعيش على سطحه عن طريق الملاحظة والتساؤل والوعي بنوعية البيئة.	-المناقشة التي تتناول الإشكالية بشكل شمولي.
2- البيئة وسط معيشي. (هي بيئة الحياة اليومية في المنزل والحي والمدرسة والعمل ومرافق التسلية والترفيه، إنه وسط مشبع بمكونات إنسانية وإجتماعية وثقافية وتكنولوجية وتاريخية.	-التعرف على هذه البيئة الخاصة. -إنماء الإحساس بالإنتماء إليها حيث يصبح الفرد مبدعا وواعيا بدوره في وسطه المعيشي (يصون بيئته، يهيئها، يحميها) من اجل ترقية نوعية الحياة.	-الطريقة التي تهدف إلى مساعدة كل فرد على تطوير سلوكه من أجل تطور الحياة اليومية.
3- البيئة بشأن جماعي . (البيئة بشأن مشترك لجماعة بشرية، فهي وسط ينبغي أن يكون مفعما بالتضامن والتعايش الديمقراطي الذي يتعلم الأفراد منه المشاركة الفعلية.	-تغيير الواقع.	-البحث العلمي لحل المشكلات في جميع الأصعدة (الفردية والفئوية والجماعية)

2.3. استرتيجية التربية البيئية في التعليم الابتدائي:

إن تحقيق تلك الأهداف التربوية مرتبطة بمجموعة من الإستراتيجيات التعليمية، من أهمها:

- **إستراتيجية الخبرة المباشرة:**

تمثل إستراتيجية الخبرة المباشرة إحدى أهم استراتيجيات تعليم التربية البيئية، لأن تفاعل التلاميذ المباشر مع البيئة يوفر الأساس المادي المحسوس لتعليم المفاهيم البيئية، وزيادة فهم هؤلاء التلاميذ لبيئتهم وتقديرهم لها، وتتمحور إستراتيجية الخبرة المباشرة حول تعلم التلاميذ للخبرات البيئية عن طريق أكثر من حاسة من حواسهم، ومن المعلوم أنه كلما كثرت الحواس التي يستخدمها المتعلم، كلما كان تعلمه أسرع، ويمكن أن تشمل الخبرة المباشرة مواقع في البيئة الطبيعية كشاطيء البحر، منطقة جبلية، محمية طبيعية وغيرها[8]

- **إستراتيجية طريقة المناقشة:**

تعرف هذه الطريقة بالمناقشة داخل مجموعات، حيث تسمح للتلميذ بالتعبير عن رأيه بحرية ولفترة أطول، وهذا النوع من المناقشة يثير انتباه التلاميذ دون خجل للتعبير عن رأيهم أمام زملائهم. وتعتمد هذه الطريقة على تقسيم التلاميذ داخل القسم إلى مجموعات تشترك كل منها في مناقشة موضوع محدد، وتسجل كل مجموعة نتائجها عن طريق مقرر لها، ثم تعرض النتائج[9]

- **إستراتيجية البحوث الإجرائية والدراسات العملية:**

إن تكليف التلاميذ بإجراء البحوث حول قضايا البيئة تجعل منهم مشاركين فاعلين في جمع المعلومات، وتبويبها وتنظيمها وتحليلها واستخلاص التوصيات اللازمة في ضوء تحليلاتهم، على أنه يمكن الإستفادة من الزيارات الميدانية لربطها بإجراء البحوث العملية حول قضايا بيئية كثيرة، الأمر الذي يسمح للتلاميذ بالحصول على فرص التعلم والمشاركة في حل مشكلات البيئة [10]

- **إستراتيجية حل المشكلات:**

يطلق كثير من التربويين والمهتمين بالتربية البيئية على هذه الطريقة بأنها الطريقة العلمية للوصول إلى النتائج واقتراح الحلول، وتتلخص عناصر هذه الطريقة في خطوات رئيسية وهي على النحو التالي: [11]

- تحديد المشكلة:

يعتبر تحديد المشكلة المهارة الأساسية والخطوة الأولى لعملية فهم إستراتيجية حل المشكلات، وهي على هذا الأساس تهيئ الفرصة لاكتساب التلاميذ الخبرات المناسبة، وخاصة إذا مست جانبا من جوانب بيئتهم المحلية، وتحديد المشكلة يقتضي تحديد المشكلات الفرعية التي تتكون منها المشكلة محل الدراسة.

- جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالمشكلة:

ويتم ذلك وفق مستويات، يبدأ المستوى الأول عن طريق المسح الذي يجريه التلاميذ أنفسهم في بيئتهم المحلية، ثم ينتقلون إلى دراسة بيئية أكبر. ولجمع البيانات والمعلومات من البيئة المحلية طرق وأساليب متعددة مثل الإستبيان والمقابلة والملاحظة ودراسة الحال.

- مرحلة جدولة المعلومات ووضعها في قوائم :

أو بمعنى آخر مرحلة التصنيف التي تعتبر إحدى المهارات الهامة في مجال التربية البيئية والتي ينبغي تنميتها لدى التلاميذ.

- مرحلة عرض المعلومات وتقويمها: وفيها يتم تحويل البيانات إلى رسوم بيانية، وهي الأخرى مهارة ينبغي تنميتها في مجال التربية البيئية.

- مرحلة ذكر النتائج: وفيها يمكن للتلاميذ بعد استعراض للبيانات استخلاص النتائج وإرجاعها إلى أسبابها، ثم تحديد الآثار التي ترتبت على النتائج وتحليلها.

- مرحلة تقديم الحلول الممكنة: وفيها يمكن اقتراح الحلول الممكنة لهذه المشكلة.

- إستراتيجية المشاركة في الأنشطة البيئية:

من خلال المشاركة في الأنشطة البيئية يتمكن التلميذ من إدراك المفاهيم البيئية بنفسه، مما يجعله أكثر فهما لها، كما يعمل على اكتساب المهارات البيئية الأساسية، مثل مهارة جمع العينات وتصنيفها، ومهارات تحديد المشكلات البيئية، واقتراح حلول لها، وكتابة تقارير حولها، ومهارة إعداد النشرات، وعمل الملصقات، والتخطيط ومهارات حل المشكلات، كما يؤدي النشاط البيئي إلى إكتساب الطلاب إتجاهات مرغوب فيها، مثل تحمل المسؤولية، والإسهام في خدمة الجماعة، والعمل بروح الفريق والتعاون، وممارسة الديموقراطية، واحترام أراء الغير، كما يساعد النشاط أيضا على إشباع حاجات التلاميذ إلى اللعب والعمل من جهة، ومن جهة أخرى يؤدى إلى اكتشاف المعلم ميول تلاميذه واهتماماتهم، فيوجههم الوجهة التربوية الصحيحة[12]

من خلال ما تم عرضه من استراتيجيات لتعليم التربية البيئية يمكن القول أنه ليس هناك طريقة واحدة في التعليم يمكن من خلالها خلق وعي بيئي عند التلاميذ، ولكن هناك طرق متنوعة، ويعتمد اختيار المعلم للطريقة على طبيعة المتعلمين، وحاجاتهم ورغباتهم، وأن يمزج بين الطرائق التعليمية المختلفة لتهيئة أفضل بيئة ممكنة لتعليم تلاميذه.

وباعتبار المعلم الأداة الفاعلة في تجسيد وترجمة أهداف التربية البيئية، وعليه فإن من الضروري أن يكون للمعلم الذين يدرس مناهج ذات علاقة بالبيئة القدرة والإمكانية العلمية المناسب لتدريس مادة مهمة أملتها الظروف الحالية، وبررت وجودها التربوي في

المناهج التعليمة في مدارسنا، فضلا عن المعرفة بالأساليب والطرائق التدريسية والتربوية المناسبة لتدريس موضوع التربية البيئية، وإلا فلا مناص من وضع برامج لتدريب المعلمين يشرف عليها ويديرها مختصون بالعلوم ذات علاقة بالبيئة، ولديهم خبرة أو معرفة بأحدث الأساليب والطرائق التربوية في إيصال المادة للطلبة أو الدارسين. والهدف العام من هذه الخلفية أو القاعدة المسبقة هو وجود المعلم المؤهل الذي يمكن الاعتماد عليه في تدريس التربية البيئية.

والجدير بالذكر أن المقاربة بالكفاءات التي تبنتها الجزائر في نظامها التربوي، قد حددت أدورا جديدة متكاملة للمعلم، فالمعلم منشط و منظم و ليس ملقنا، وهو يعد العامل الأساسي في نجاح التربية البيئية وتحقيق أهدافها، باعتباره نموذجا يقتدي تلاميذه به ويقلدونه أثناء تفاعلهم مع بيئتهم، لذلك فإنه من الضروري إلمام المعلم بقضايا البيئة وجوانبها المختلفة، والتي يمكن توصيلها للتلاميذ بصورة مبسطة وشيقة، لذلك يعتمد إدخال التربية البيئية في مناهج التعليم بمراحله المختلفة، على المعلمين المؤهلين الذين يمتلكون القدرة والإمكانية العلمية المناسبة لتربية التلاميذ تربية بيئية جيدة، فضلا عن المعرفة بالأساليب والطرائق التدريسية والتربوية المناسبة لتدريس مواضيع التربية البيئية.

وعلى العموم يمكن اختصار أبرز واجبات المعلم حيال هذه القضية في النقاط التالية:

* إثارة اهتمامات التلاميذ نحو بيئتهم باختيار مواضيع وظواهر وقضايا تحفزهم على دراستها والمشاركة في حلها.
* تنظيم التلاميذ في مجموعات عمل وفقا لظروف كل منهم، على أن تتكامل الأدوار في النهاية.
* تنظيم زيارات لمواقع معينة والوقوف على كل ما يتعلق بها.
* إعداد المطبوعات اللازمة لتوجيه التلاميذ، من خرائط مناسبة وجداول وإحصائيات...
* اتخاذ الترتيبات اللازمة لدعوة متحدثين متخصصين من البيئة المحيطة بالتعاون مع الإدارة المدرسية.
* الاهتمام بصفة خاصة بتدريب التلاميذ على التفكير العلمي السليم في حل ما يواجههم من مشكلات بيئية وإكسابهم المهارات وتنمية قدراتهم الابتكارية.
* التركيز على ترشيد السلوك البيئي للتلاميذ فرادى وجماعات.

من خلال ما سبق يمكن القول بأن المعلم مسؤول بدرجة كبيرة على نشر التربية البيئية بين التلاميذ، فهو بمثابة القدوة لهم، ويستطيع أن يقدم أجيالا أكثر فهما وأكثر نضجا وأكثر وعيا في تعاملهم مع البيئة.

4.الكتاب المدرسي ودوره في توظيف التربية البيئية: كتاب التربية المدنية نموذجا.

يعرف الكتاب المدرسي بأنه الكتاب التي تعرض فيه المادة المختارة في موضوع معين على شكل نصوص مكتوبة و بطريقة منظمة، يوجه للإستعمال في مسار تعلم وتكوين متفق عليه، وينفرد الكتاب المدرسي عن أي كتاب آخر بكونه يعتمد على الهدف، الهيكلة، المحتوى[13]. وسنحاول أن نعرض كتب التربية المدنية للمستويات الخمسة من التعليم الابتدائي من الناحية الشكلية، ومن حيث المادة العلمية المتوفرة فيه، ومن حيث تناولها للمواضيع البيئية.

1.4. عرض كتب التربية المدنية من الناحية الشكلية:

يتكون كتاب التربية المدنية للسنة الأولى ابتدائي من 78 صفحة، تتضمن ستة مجالات تعليمية، أما الخاص بالسنة الثانية ابتدائي يتكون من 48 صفحة، بخمسة مجالات تعليمية، ويشمل الكتاب الخاص بالسنة الثالثة ابتدائي من 111 صفحة، تتوزع على خمسة مجالات تعليمية، ويتضمن كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي، الذي تكون من 127 صفحة، سبعة مجالات تعليمية، كتاب التربية المدنية للسنة الخامسة ابتدائي من 96 صفحة، تتضمن ستة مجالات تعليمية كما يطرحها الجدول رقم (02). يتضمن كل من المجال وحدة إدماجية.

الجدول رقم (02): توزيع كتب التربية المدنية حسب المجالات التعليمية وعدد صفحاتها.

كتب التربية المدنية	عدد المجالات التعليمية	عدد صفحات الكتاب
السنة الأولى ابتدائي	6	78
السنة الثانية ابتدائي	5	48
السنة الثالثة ابتدائي	5	111
السنة الرابعة ابتدائي	7	127
السنة الخامسة ابتدائي	6	96

عموما الكتب الخمسة سالفة الذكر تستوفي شروط الطباعة والإخراج، بما في ذلك الحجم، حيث جاء طول الكتب 28 سم، أما عرضها فقد قدر ب 20 سم في المتوسط، وهو حجم يتناسب مع الوسائل التعليمية التي احتوتها الكتب والمتمثلة خاصة في الصور التوضيحية والوثائق. وقد تضمنت الكتب مقدمة وفهرس ضم عناوين المجالات والوحدات التعليمية وأرقام صفحاتها، وخطط للكتاب، بالإضافة إلى ملخص للكفاءة القاعدية لكل وحدة.

وتم طباعتها من طرف الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية بطريقة محكمة، واتبعت في إخراجها كثير من التقنيات التي تترك انطباعا حسنا لدى القاريء، حيث تم طبع الكتب بخط واضح ومقروء، وكبير مع ترك مسافات منتظمة بين الكلمات والأسطر، واستعمال الألوان في كتابة العناوين والكلمات الأساسية والمهمة، وإدراج الصور الفوتوغرافية، والوثائق، وهي من الأساليب المشوقة للتلميذ والموضحة للمادة العلمية، والمحببة للتلاميذ في كتابهم، مما يساعدهم على الفهم.

2.4. عرض كتب التربية المدنية من حيث المادة العلمية:

تعرف المادة العلمية على أنها كل «ما يريد المعلم أن يوصله إلى المتعلم سواء كانت معلومات أو تنمية مهارات أو اتجاهات، بشرط أن يتم توضيحها في ضوء أهداف تعليمية محددة[14]»، وسنحاول التطرق إلى المادة العلمية لكل الكتاب من خلال التبويب والعناوين، والصحة والحداثة. كما تتطرحها الأشكال البيانية التالية:

الأشكال البيانية رقم (01): المجالات التعليمية في كتب التربية المدنية.

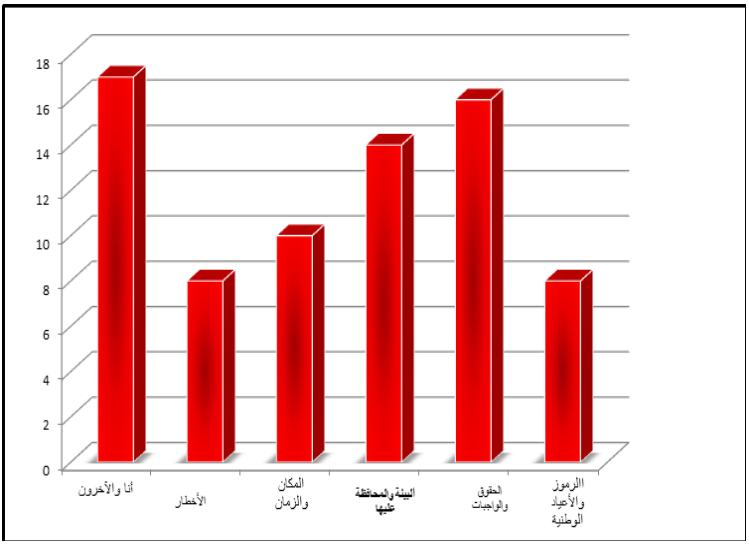

السنة الأولى ابتدائي

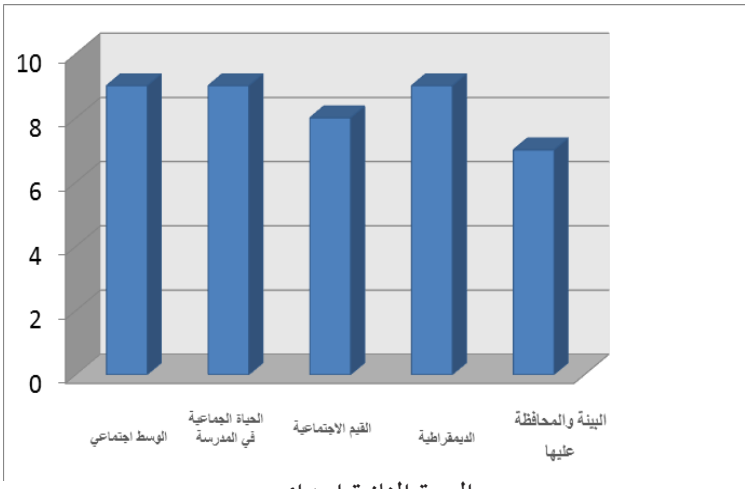

السنة الثانية ابتدائي

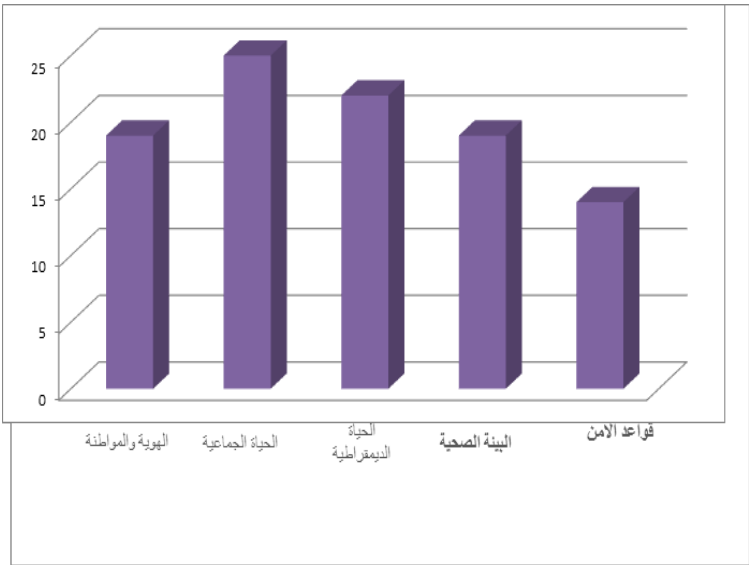

السنة الثالثة ابتدائي

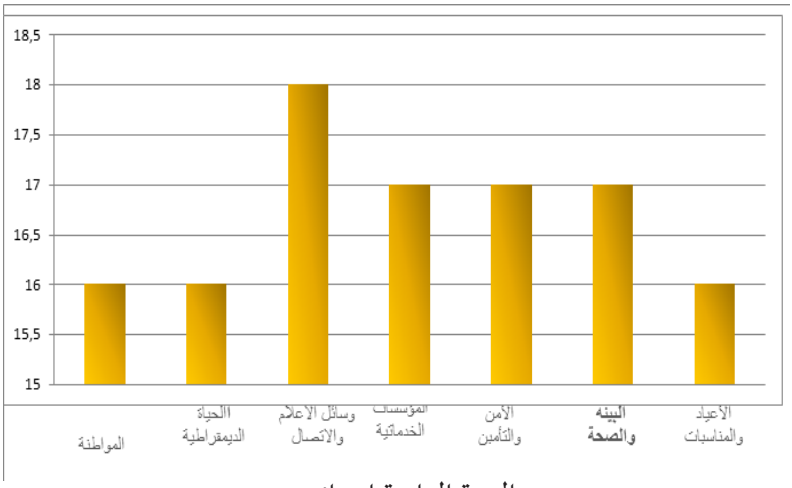

السنة الرابعة ابتدائي

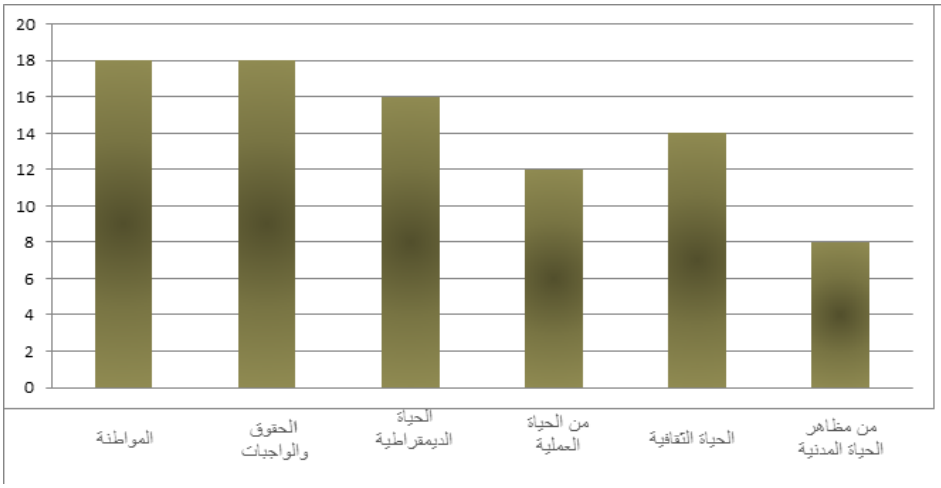

السنة الخامسة ابتدائي

تنوعت المواضيع في كتب التربية المدنية من تعليم المواطنة، ورموز السيادة الوطنية، والهوية والديمقراطية، مع التركيز على ترسيخ القيم الاجتماعية والعلائقية التي تربط التلميذ بالآخرين المحيطين به، وتشمل هذه المواضيع أيضا حقوق وواجبات كل فرد في المجتمع من أجل خلق مواطن صالح قابل للمجتمع بكل تمايزاته غير رافض له، مع توضيح للحياة المدنية لخلق السلوك الحضاري للتلميذ من أجل تنمية مستدامة، دون اهمال مواضيع البيئة والمحافظة عليها، والتي أخذت حصة أكبر في المستوى الثالثة ابتدائي بمجالين تعليميين وهما: البيئة الصحية وقواعد الأمن، أما المستوى الخامس وبالرغم من عدم وجود مجال تعليمي عن البيئة إلا أن مواضيعه تطرقت إلى ذلك كما سنبين في العنصر الموالي.

عموما تسعى المجالات والوحدات التعليمية لمادة التربية المدنية للتعليم الابتدائي إلى جعل المتعلم في نهاية المرحلة التعليمية الابتدائية متحكما في التعليمات المتعلقة بممارسة مبادئ المواطنة، وإقامة علاقاته المختلفة وفق القواعد النظامية، والقيم الاجتماعية المكتسبة في مجالات: المواطنة والحياة المدنية والديمقراطية والعملية والثقافية، والتفاعل الإيجابي مع المحيط الذي يعيش فيه، مع ترسيخ الاعتزاز بالانتماء الوطني. والملاحظ من الكتب هو أن المؤلفين اختاروا مواضيع تفوق أكثرها مستوى تلاميذ مرحلة الابتدائي، أما فيما يخص صحة المعلومات الواردة في الكتب فلم نسجل أي خطأ يذكر.

1.3. عرض كتب التربية المدنية من حيث تناولها للمواضيع البيئية:

تم الاعتماد في تحليل المحتوى على فئات الموضوع، أي مضمون المادة محل الدراسة، والتي تم توزيعها على المجالات التالية:

* عناصر البيئة: ويندرج ضمن هذا المجال ماهية البيئة، وعناصر البيئة.
* المشكلات البيئية: ويندرج ضمن هذا المجال جميع المشكلات البيئية التي عالجتها الكتب المدرسية من التلوث، النفايات ، قطع الأشجار....
* المحافظة على البيئة: ويتضمن هذا المجال كل المواضيع التي تناولت حماية البيئة والمحافظة عليها في الكتب المدرسية مثل ترشيد الإستهلاك، حملات تنظيفية...

وتوضح الجداول التالية والأشكال البيانية المواضيع البيئية حسب التكرار في كتب مادة التربية المدنية.

الجدول رقم (03): توزيع مواضيع البيئة حسب المستويات.

المستويات / مواضيع البيئة	س1	س2	س3	س4	س5
عناصر البيئة	6	4	1	3	2
مشكلات البيئة	0	0	1	6	5
حماية البيئة	3	2	4	4	9

تتوزع مواضيع البيئة في كتب التربية المدنية بنسب متفاوتة، فما يلاحظ من خلال الجدول والشكل البياني السابقين لا وجود لمواضيع عن مشكلات البيئة في المستويين الأول والثاني، حيث يتم التركيز فيهما على حماية البيئة بالدرجة الأولى، ليتناقص هذا الموضوع في المستوى الثالث الذي يتطرق إلى عناص البيئة بشكل كبير، مشكلات البيئة والتطرق إليها يكون في المستوى الرابع والخامس بأكثر حدة، مع التركيز على حماية البيئة في المستوى الخامس، وهذا

حفاظا على التدرج المعرفي، فيبدأ بتعريف البيئة وعناصرها وكيفية حمايتها والمحافظة عليها، ثم الولوج إلى مشكلات البيئة وخطورتها على الكائن الحي بشكل عام. وفيما يلي تفصيل أكثر لمواضيع البيئة في كتب التربية المدنية.

الجدول رقم (04): عناصر البيئة وتكراراتها حسب المستويات.

المستويات / عناصر البيئة	س1	س2	س3	س4	س5
الماء	3	2	0	2	0
الهواء	1	0	0	1	0
الثروة الحيوانية	1	0	0	0	0
المساحات الخضراء	1	2	1	0	2

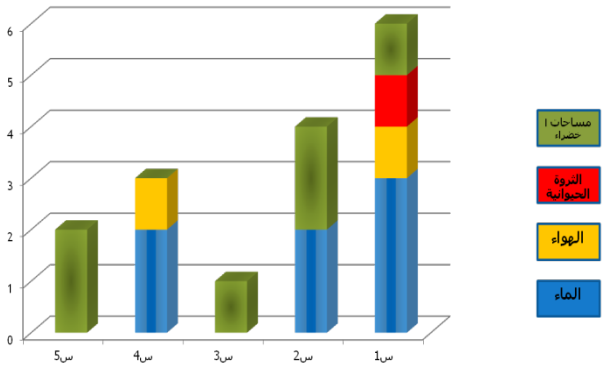

ما يمكن استنتاجه وحسب ما يوضح الجدول السابق والشكل البياني المرافق له أن المستوى الأول تطرق إلى كل عناصر البيئة من ماء وهواء وثروة حيوانية ومساحات خضراء، أما في المستوى الثاني تم التركيز على عنصرين فقط هما: الماء والمساحات الخضراء، وفي المستوى الرابع تركيز على الماء كأهم عنصر في البيئة بالاضافة إلى الهواء، وتميز المستوى الخامس والثالث بالاهتمام بالمساحات الخضراء دون غيرها.

الجدول رقم (05): مشاكل البيئة وتكرارها حسب المستويات.

المستويات / مشاكل البيئة	س1	س2	س3	س4	س5
التلوث بصفة عامة	0	0	0	1	2
تلوث الماء	0	0	0	1	0
تلوث الهواء	0	0	0	1	0
تلوث الغذاء	0	0	1	1	3
النفايات	0	0	0	2	0

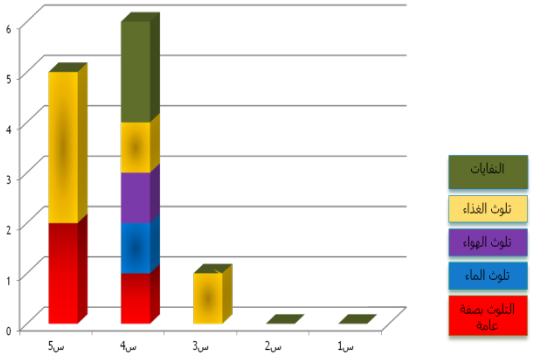

ما يلاحظ بشكل جلي من خلال الجدول السابق والشكل البياني المرافق له تميز المستوى الرابع بتطرقه إلى كل مشكلات البيئة من تلوث بشكله العام، تلوث الماء والهواء والغذاء، ومشكلة النفايات، أما في المستوى الثالث ركز على تلوث الهواء فقط، وفي المستوى الخامس وبالاضافة إلى مشكلة تلوث الهواء تم التطرق إلى التلوث بصفة عامة، هذا التفاوت في المواضيع ونسبتها في كل مستوى كان على حسب منهاج المستوى بشكله العام، أي أن هذه المواضيع كانت تتماشى مع مواضيع أخرى في مواد أخرى كالتربية التكنولوجية والعلمية وكتاب القراءة أيضا.

الجدول رقم (06): حماية البيئة وتكراراتها حسب المستويات.

المستويات / حماية البيئة	س1	س2	س3	س4	س5
حماية البيئة من التلوث	3	0	1	1	0
ترشيد الاستهلاك	0	0	2	1	7
الوقاية	0	2	1	2	2

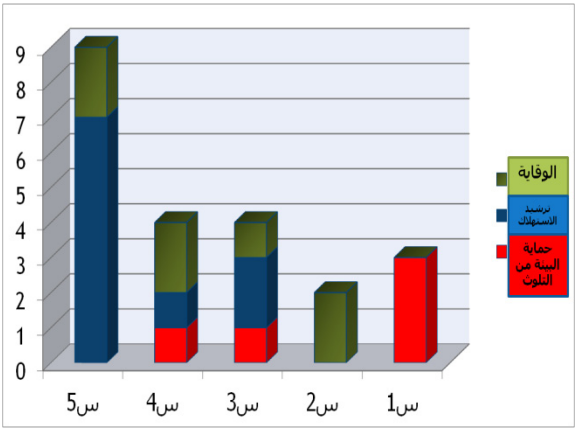

نستنتج من خلال الجدول السابق والشكل البياني المرافق له أن المستوى الأول اهتم في مواضيعه البيئية بحماية البيئة من التلوث خاصة، أما المستوى الثاني فركز على الوقاية كأساس لحماية البيئة، وفي المستوى الثالث والرابع تم إضافة اجراء آخر للحفاظ على البيئة وهو ترشيد الاستهلاك في الماء خاصة، وفي المستوى الخامس تم التركيز على ترشيد الاستهلاك بشكل كبير بالاضافة إلى الوقاية. وعليه فحماية البيئة من وجهة نظر كتب التربية المدنية للمستويات الخمسة الابتدائية تقتضي حمايتها من التلوث، الوقاية والحفاظ عليها نقية، كما تفرض ترشيد الاستهلاك.

خاتمة :

إن عملية وضع مناهج للتربية البيئية في ضوء أهداف عامة ذات علاقة بالأهداف التربوية حاجة تربوية ملحة في الوقت الحاضر، ومن تم إعداد وتدريب المعلمين القادرين على تدريس وتعليم المادة العلمية شرطان أساسيان لضمان تلبية الحاجات التي تفرضها طبيعة الحياة الراهنة التي يعيشها الإنسان وإعداد مستقبلي للتعريف بأساليب التعامل مع المحيط البيئي، كي نتمكن من المحافظة على المصادر البيئية أولا، وحسن استغلالها ثانيا، والتقليل من الآثار السلبية للتلوث البيئي الذي يرافق الإنتاج الصناعي الهائل والذي يتوقع أن يكون في المستقبل أوسع واكبر. وبالتالي فان هذه المبررات كافية أن تلفت عناية واهتمام وتخطيط التربويين والمختصين في الميدان البيئي بغض النظر عن تخصصاتهم العلمية أو طبيعة أعمالهم المهنية أن يولوها اهتماما كبيرا وجديا للوصول إلى مرحلة من الثقة بان الأهداف التربوية تمس فعلا الحاجة المستمرة والمتغيرة للمجتمع في التعامل مع المشاكل البيئية مع

تدعيمها بأنشطة لاصفية ذات بعد تطبيقي وندوات و ورشات قصد تنمية الوعي البيئي في نفسية الفرد المتعلم واكسابه سلوكا ايجابيا اتجاه بيئته ،الى جانب تعزيز التنسيق والشراكة بين مؤسسات التنشئة الاجتماعية لاسيما الأسرة، الإعلام «التوعية الاعلامية «،الجمعيات خاصة المتخصصة في مجال البيئة ،والمؤسسات التربوية قصد تجسيد الوعي البيئي ومن تم تحقيق أهداف التربية البيئية من خلال المناهج التربوية ،لان اشكالية التربية البيئية في مدارسنا هي أزمة سلوك بيئي بالدرجة الأولى ،وعليه فالمدرسة ليست المسؤولة لوحدها وان عززت مناهجها بكل الإمكانيات المادية والبيداغوجة بمعزل ودون شراكة فعالة من طرف مؤسسات التنشئة الاجتماعية. وإن التربية البيئية لا تقف على عاتق الكتاب المدرسي وعلى المعلم بل لا بد أن تكون قضية الجميع وهي مسؤولية الجميع.

قائمة الهوامش:

1-حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **البيئة والمجتمع**، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص161

2-عبلة غربي :»**التربية البيئية في المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين** « ،دراسة ميدانية – قسنطينة نموذجا – ،رسالة ماجستير ،علم الاجتماع، 2008-2009 .

3-عارف اسعد جمعة :»**واقع المفاهيم التربوية البيئية في مناهج التربية الاسلامية** «،دراسة ميدانية في مدارس محافظة دمشق ،اطروحة دكتوراه ،مجلة جامعة دمشق ،المجلد 27،العدد 13-2011،14،

4-رشيد الحمد ،محمد سعيد صباريني :»**البيئة ومشكلاتها** «،مجلة عالم المعرفة ،العدد 22، الكويت ،1979،ص ص 183-184 بتصرف .

5-سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، أحمد هلال:**المنهاج التعليمي والتوجيه الأيديولوجي**، النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، 2005 ،ص 175-176.

6-وزارة التربية، وزارة تهيئة الإقليم والبيئة: **دليل المربي في التربية البيئية للتعليم الإبتدائي**، ط2، 2004، ص. 7

7-نفس المرجع، ص .9

8- راتب السعود: **الإنسان والبيئة**-دراسة ميدانية في التربية البيئية-،دار الحامد، عمان، الأردن،2004، ص .223

9- أحمد حسين اللقاني وفارعة حسن محمد: **مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل**، عالم الكتب، القاهرة، 2001،ص 87

10- صالح محمود وهبي،إبتسام درويش العجي:**التربية البيئية وآفاقها المستقبلية**، دار الفكر، دمشق،2002 ،ص 83.
11- أحمد حسين اللقاني فارعة حسن محمد: مرجع سابق، ص.. 81
12-جامعة الدول العربية، الأمانة العامة،**إدارة البيئة والتنمية المستدامة**، الأمانة الفنية لمجلس الوزراء العرب المسؤولين عن شؤون البيئة:دراسة تحليلية لوضع التربية البيئية بمراحل التعليم العام لبعض الدول العربية بين الواقع...والرؤية المستقبلية،مقدمة إلى لجنة تسيير برنامج التربية و التوعية والإعلام البيئي في إجتماعها السابع عشر، 2003 ص 20.
13-أبو الفتاح رضوان وآخرون :**الكتاب المدرسي- فلسفته، تاريخه، أسسه، تقويمه، استخدامه-**،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ب س، ص 5.
14-أحمد حسين اللقاني وعلي الجمل:**معجم المصطلحات المعرفة في المناهج وطرق التدريس**،عالم الكتب، القاهرة، 1996 ،ص 150.

الأسس الفلسفية والاجتماعية لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

Fondements Philosophiques et Sociologiques pour Pédagogie l'Approche par les Compétences

د.بوبكر جيلالي، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلف

الملخص:

تعالج المقالة أسس إسترتيجية المقاربة بالكفاءات في التربية والتعليم والتكوين من الجانبين الفلسفي والاجتماعي، أكّد المدخل على أنّ أسلوب المقاربة بالكفاءات مظهر من مظاهر التطور الحاصل في عصرنا، وأوضح أسباب هذا التطور.

جاء العنصر الأول يقارن بين التربية القديمة والتربية الحديثة بشكل عام، أما العنصر الثاني فهو موازنة بين المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات، أما العنصر الثالث وقف على الأسس الفلسفية والاجتماعية للمقاربة بالكفاءات وهي: الأساس البراغماتي والأساس الوجودي والأساس الواقعي والأساس العلمي التكنولوجي والأساس الديمقراطي والأساس اللّيبرالي الاقتصادي وأساس العولمة.

Résumé

Cet article traite des fondements de la stratégie de l'approche par les compétences dans le domaine de l'éducation, de l'enseignement et de la formation du point de vue philosophique et sociologique. Il a été montré que cette approche est un aspect du développement moderne. Aussi, s'est il agi de comparer entre l'éducation classique et l'éducation moderne et entre l'approche par les objectifs l'approche par les compétences. Enfin, nous avons dégagé les fondements philosophiques et sociologiques de cette dernière qui sont le pragmatisme, l'existentialisme, le réalisme, la science, la technologie, la démocratie, le libéralisme et la mondialisation.

مقدمة:

لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية القديمة والمعاصرة نظمه التربوية والتعليمية المسئولة عن إعداد الفرد وتكوينه وتعليمه وفق ما يضمن بقاء المجتمع واستمراره وتطوره.

لكل منظومة تربوية فلسفة ترتكز عليها وتستند إلى مبادئها، تمثل هّذه الفلسفة كافة القيّم والاتجاهات والمبادئ والأسس الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية السائدة في المجتمع، هي التي تحدد نمط شخصية الفرد المرغوب فيه بفعل التربية والتعليم، وتعكس ذات المجتمع وآماله وتطلّعاته.

فلسفة بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات جزء من فلسفة التربية والتعليم في عصرنا، فلسفة انبثقت من التطور الذي شهده ولازال يشهده العالم المعاصر في جميع جوانب الحياة، فكريا وعلميا وتكنولوجيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفي وسائل الإعلام والاتصال والإشهار، وتعكس التطور الحاصل بشكل أكبر وأوسع في مجال وسائل وأساليب العمل والتحكم في الطبيعة والسيطرة عليها، ثم تعدّاها إلى حياة الإنسان، ونتاج ذلك فلسفة التربية وبيداغوجيات التعليم ومقارباته.

التطور الحاصل في الميدان التربوي والتعليمي مردّه إلى التغيّر الكبير الذي عرفته فلسفة التربية القديمة، وظهور أسس فلسفية جديدة تأسست عليها التربية وقام عليها التعليم، فكان أن أعرض الإنسان عن أسس وطرق وطبيعة وأهداف التربية والتعليم الكلاسيكية، وأقبل على التربية الجديدة بمقولاتها ومقوماتها ومناهجها وغاياتها التي تعكس التطور الهائل في جميع ميادين الحياة، الحياة التي صارت تتميز بطابعها العلمي المادي التجريبي فكريا وثقافيا، وبالخاصية الديمقراطية والحرية في تنظيم حياة الأفراد والجماعات، وبهيمنة العولمة على كافة شعوب العالم لتعميم نموذج تربوي وتعليمي واحد.

1- التربية القديمة والتربية الحديثة

المؤكد أن التربية والتعليم ضرورتان إنسانيتان لا تقوم الحياة إلا بهما، فنمط العيش والعلوم والمعارف والأفكار والعقائد والعادات والفنون والخبرات وسائر الأعمال لا تُكتسب إلا بهما، يقول تعالى: «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ظلال مبين».1

تقوم التربية القديمة على ثلاثة أسس رئيسية، نمت بفعل تأثير العديد من الاتجاهات والنظم الدينية والعقلية والوجدانية والاجتماعية، وكذلك النفسية والفلسفية في حياة الإنسان التعليمية والتربوية والاجتماعية عامة:

أولها: أنّ كل ما يُحدثه الإنسان وما يقع له في حياته عامة قدر مكتوب وقضاء محتوم، وواجب الإذعان لأحكام القدر.

ثانيها: الطفل بطبعه شرير، ولا يُستأصل الشر من الطفل إلاّ بمراقبة الوالدين المستمرة له ومعاقبته.

ثالثها: لكل إنسان في حياته حدود لا يتجاوزها، عليه بالبقاء في مكانه، والطفل إذا حاول الخروج من دائرته يقابل بالإرهاب والعقاب والعنف.

ترتبت عن الأسس الثلاثة التي تبنّتها التربية وتبناها التعليم في القديم أساليب وأهداف جعلت الطفل رجلا صغيرا يقلد الكبار في كل شيء، يقبل كلّ شيء يتلقاه بعيدا عن أي دور له في تنمية قدراته وفي بناء شخصيته وفي تعاطيه مع مجتمعه.

أما القواعد الهامة في التربية الحديثة والمعاصرة تعبر عن أهداف وغايات ومرامي من شأنها تجعل الطفل ونموه «حصيلة عوامل وراثية وبيولوجية متفاعلة مع عوامل بيئوية واجتماعية».2 والمتعلم هو محور الفعل التربوي التكويني، والشريك الأساسي في العملية التعليمية التعلمية. وأهم هذه القواعد ما يلي:

* التعلّم عند الطفل يكون عن طريق النشاط النابع من قوى الدوافع الغريزية، لذا على المربي أو المعلم إفساح المجال للمتعلم (الطفل) بما يتفق مع هذه الميول والدوافع.

* في الطفل مواهب كامنة وعناصر وطاقات، على المربي والمعلم إيقاظها، بوضعه أمام مشكلات معقدة وغامضة جذّابة مشوقة ليقوم بحلّها، ومساعدته لاكتشاف مواهبه بنفسه بعيدا عن الاتباع والتقليد.

* مراعاة الفروق الفردية في الفعل التربوي التكويني بصفة عامة وفي الفعل التعليمي التعلمي بصفة خاصة.

* الحرص على تنمية قدرات الطفل إلى أبعد الحدود، في إطار ظروف اجتماعية تسمح لطرق التدريس ومقارباته بمسايرة هذه الميزة الاجتماعية.

* الارتكاز على مقاييس علمية عملية في التربية والتعليم والتكوين والتدريب والتوجيه، تكون من إنتاج الدراسات في علم النفس وعلوم التربية وفي علوم أخرى عرفت تطورا كبيرا.

* الرؤية الكلاسيكية للتربية والتعليم والتكوين والتنشئة لم تر المتعلم أو الطفل وحدة وكلا الأمر انتبهت إليه فلسفة التربية الحديث، «فالتربية لا تتناول ناحية معينة من شخصية الفرد بل تتوجه إلى الشخصية بكاملها، بما تنطوي عليه من جسد وعقل وعاطفة وروح،

فتعمل على تمكين هذه الشخصية من النمو بانتظام وبانسجام، هذا النمو المنسجم هو ما تهدف إليه عملية التربية إذا فُهمت على وجهها الصحيح».3

* استناد المناهج التربوية وطرق التدريس واستراتيجيات التعلم إلى فلسفات ونظم فكرية واجتماعية حديثة ومعاصرة، تختلف عن الأسس الفلسفية والنظم الاجتماعية التي تأسست عليها التربية الكلاسيكية، ومن هذه الفلسفات، الفلسفة البراغماتية، والفلسفة الوجودية، ومن النظم الاجتماعية النظام الليبرالي السياسي والنظام الاقتصادي الحر، والطابع العلمي والتكنولوجي للمعرفة وعالميتها.

2-المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات

* لقد غيّرت التربية مجراها، وغيّر التعليم سبيله في العصر الحديث من استخدام بيداغوجيا التعليم بالأهداف إلى استعمال بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، وذلك لأسباب عديدة ذكرت من قبل، وكان ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1968م، وبعد هذه السنة عرفت حركة الإصلاح التربوي والتعليمي المبنية على الكفاءات في الولايات المتحدة الأمريكية وفي غيرها من البلدان نهضة كبيرة وتطورا ملحوظا أفضى في النهاية إلى العناية البالغة بالكفاءات، والاهتمام بكل ما يتعلق بخدمة الكفاءة في التربية والتعليم، لضمان الغايات الكبرى للتربية، المعلن عنها في النصوص الرسمية أو غير المعلن عنها.
* إنّ بيداغوجيا التكوين بالأهداف تركز بالدرجة الأولى على المعارف دون غيرها، ومقاصد التعلم في غاية الدقة والوضوح، والتعلم مجزأ ومبعض، والأهداف منفصلة وليست مندمجة، والتكوين المتأثر بالسيكولوجية المعرفية والتابع لما تقتضيه حاجة المتكوّن إلى إعمال القدرة على تثبيت المعرفة وحفظها بأقصى ما يمكن فعل التثبيت ووظيفة الحفظ، وما تتطلبه الحاجة إلى التذكر والاسترجاع بدرجة أكبر وأوسع مثلما حال وظيفة الحفظ فإنه يعتمد في نموه وتطوره على التمارين والتدريبات النظرية، يتم فيه إدراك النتائج بسرعة وبسهولة، يندفع التكوين إلى النشاط والفاعلية بحوافز خارجية ويرتكز أساسا على تعلمات واضحة تساعد على إنجاز الفعل، كما تظهر في هذا النوع من التكوين أهمية التعليم التلقيني والميل إلى التحليل وحجم النقد والتقييم فيه قليل، وتكون عملية القياس موضوعية، ويحدث في كثير من الأحيان شق بين عمليات التعليم وعمليات التقييم لأن الأهداف محددة سلفا طابعها تلقيني معرفي نظري ناقصة من حيث الحرية والعملية والبراغماتية والنسبية، خاصة وأنّ عملية التقييم تحدث أحيانا بصياغة أسئلة وأحيانا عن طريق المشروع، ويكون التقييم معياريا يقارن بين التلاميذ ويميل إلى النوعية أكثر من غيرها، والمحتوى فيه يغطي المادة، والنتائج تعرف بدلالة الأهداف.

* أما بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات فتركز أصلا على المعارف الفعلية، ومقاصد التعلمات فيها تكون شاملة وأقل وضوحا مما هي عليه في مقاربة التكوين بالمحتويات أو في مقاربة التكوين بالأهداف، والتكوين يكون دوما ذا طابع اندماجي-التكوين المندمج- بحيث تندمج فيه المعارف مع القدرات والمهارات وغيرها مما له صلة بالعملية التعليمية-التعلمية، ويكون متأثرا بالسيكولوجية السلوكية أكثر من غيرها ثم تأثره بالسيكولوجية المعرفية، يعتمد في نموّه وتطوره على الأنشطة التطبيقية لا على الأنشطة النظرية، يأخذ في الاعتبار صعوبة تحقيق النتيجة لأنها تتصف بالشمولية وقلة الوضوح، يندفع التكوين بحوافز داخلية وليست خارجية ويرتكز على تعلمات عامة تعين على المبادرة التي تُظهر تدخل المعارف والقدرات والمهارات وغيرها مندمجة لا مفككة ولا مجزأة، ويظهر فيه دور التعليم ذي العناصر المتبادلة التأثير، كما يرتكز على أنشطة التعلم التطبيقي والتقييم التكويني ويميل إلى الشمولية، ويكون حجم التقييم التكويني أكثر سعة كما تكون عملية القياس نسبية وليست موضوعية، يتميز التكوين باندماج التعليم وما يتطلبه مع التعلم وما يستدعيه مع التقييم وما يقتضيه، كل ذلك يندمج في مركب واحد ويحدث التقييم عبر ممارسة مندمجة، والتقييم مقياسي يقارن النتائج بمقاييس النجاح ويميل إلى الكمية أكثر منه إلى الكيفية.

* يقوم التكوين على انتقاء المحتويات التي تمثل وسائل وسبل للوصول إلى الكفاءات وليست أهدافا مطلوبة لذاتها كما في المقاربات الأخرى خاصة مقاربة التكوين بالمحتويات، يبحث التكوين دوما عن اندماج الكفاءات ويُقاس أساسا بدرجة التحكم في الكفاءات وفي استراتيجيات التعلم، وهي استراتيجيات تضطلع بها مجموعة من المهام والصلاحيات مرتبطة بالمكون وبالمتكوّن وبظروف التكوين من خلال ارتباط مجموعة من المعارف والقدرات والمهارات والمواقف والاتجاهات مع بعضها البعض، يؤدي اكتسابها بمستوى ما إلى التأثير في النتائج المتوقعة من كافة الأطراف المعنية بالعملية التكوينية-التكونية ومن ثم فإنّ بيداغوجيا الكفاءات تشمل مجمل السلوك المتعلق بعمليتي التعليم والتعلم التي يتطلب إنجازها أداء عمليا ويشمل المعرفة وكافة المهارات وسائر الاتجاهات المرتبطة بالكفاءة.

* تستمد التربية القائمة على الكفاءات مبررات وجودها من أسس فكرية وعلمية وعملية وفلسفية واجتماعية كثيرة، حالّة في الحضارة الحديثة والمعاصرة، أفرزها التقدم العلمي والتكنولوجي، وهو ميزة عصرنا، وأنتجتها التغيرات المستمرة التي عرفتها الحياة الاجتماعية في جميع مناحيها.

* ومن هذه الأسس ما يتصل بالجانب الفكري، متمثلا في سيطرة التفكير الوضعي العلمي، والاستناد إلى مقومات الروح العلمية، في كل مشروع اجتماعي، بما في ذلك المشروع التربوي والأنشطة التعليمية، مع الارتكاز على معطيات البحوث والدراسات العلمية، في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة مجال علم النفس وعلوم التربية، مثلما توصل إليه المختصون في التعليمية، وفي سيكولوجية النمو، وفي سيكولوجية الدوافع، ونظريات علمية عديدة في علم الاجتماع وعلوم اللغة وغيرها.

ومنها ما يتعلق بالتقنية أو التكنولوجيا التي تعكس قيام الآلة مقام الإنسان، وتحكّم الإنسان في الطبيعة، وسيطرته عليها، وغزو التقنية كلّ جوانب الحياة، وحضورها بقوة كبيرة في جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان كإنسان في هذا الكون.

* وبعضها يتصل بالفلسفة وبنظرية المعرفة، مثل الفلسفة البراغماتية أو العملية، والفلسفة الوجودية، والفلسفة الواقعية، وطرحت الإشكاليات التالية: ماذا نعلّم؟ ومن نعلّم؟ وكيف نعلّم؟ ولماذا نعلّم؟ ...الخ من التساؤلات التي تطرح في مجال التربية والتعليم، على منوال إشكاليات نظرية المعرفة، ماذا نعرف؟ وكيف نعرف؟ ولماذا نعرف؟ ومن أين نعرف؟ ...الخ.
* وبعضها الآخر يرتبط أساسا بالتحول الاجتماعي، وبالنظم والأبنية الاجتماعية التي أنتجها البناء الحضاري الحديث والمعاصر، مثل الديمقراطية، التنظيم الاقتصادي الليبرالي، والعولمة وغيرها من المفاهيم والأنساق والمنظومات التي تعكس طبيعة التفكير والشعور والسلوك في المرحلة الراهنة، وتعكس توجهاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والأيديولوجية في حياة الإنسان عامة، وفي الميدان التربوي والتعليمي بصفة خاصة.
* في كل الحالات ترفض فلسفة التربية الحديثة بناء استراتيجيات التعلم وتأسيس المناهج التعليمية ومقاربات التعليم والتكوين على العنف بكافة أشكاله، «فالعنف يتميز بالاتساع والشمولية وذلك بالقياس إلى مفهوم العقوبة التربوية التي تشير إلى الفعل السلبي الذي يوقعه المربي على الطفل كالضرب والحرمان والتهديد وذلك بهدف منع الطفل من ممارسة فعالية سلوكية أو تربوية محددة...».[4]
* ومادام «لكل إنسان يولد في هذا العالم حقّ طبيعي في التربية».5 ويقول عالم التربية ج. دولاكروا:»من طبيعة الإنسان يُعلّم».[6] والتربية من القديم حتى الآن تتصف بالفوضوية في حين وتتصف بالتسلط والاستبداد في أحيان أخرى، «إنّ تربية فوضوية وتربية متسلطة تخطئان الهدف الذي يقوم في أن تخوّل الذي تربيه أن يكون عضوا راشدا في الإنسانية: الأولى لأنها تجمد الولد في طفولته، والثانية لأنها تخلعه عنها بوسائل توشك عوضا عن أن تحرره، أن تجعل منه قاصرا إلى الأبد».[7]

3- الأسس الفلسفية والاجتماعية لبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات

تمثل الأسس الفكرية والفلسفية والاجتماعية التي تقوم عليها التربية المعاصرة فلسفة هذه التربية وفلسفة التعليم بجميع أهدافه ومراحله ومناهجه، ولما كانت بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات واحدة من أساليب التربية والتعليم، فهي تقوم على فلسفة التربية المعاصرة، هذه الفلسفة نتناولها من خلال الأسس الآتية:

أ- الأساس البراغماتي التقدمي:

* البراغماتية كفلسفة وكمنظور إلى الحياة والإنسان والكون تقوم على المبدأ الذي يقول: «نحن نعيش في دينامية ونفسية وكل شيء يؤدي إلى تغيّرات في هذه الدنيا، فلهذا الشيء وجود حقيقي...فالقوة شيء له وجود حقيقي، وهذا الاصطلاح أو اللفظة «قوة» لها معنى ومدلول ولمدلولها وجود حقيقي، ومعناها إنما هو في هذه الآثار التي تخلّفها فيما نشاهد في الموجودات حولنا».[8]

* ترجع أصول الفلسفة البراغماتية إلى كتابات هيريقليتيس (535-475 ق.م) المفكر اليوناني، وكونتليان (35م-95م) الخطيب الروماني، وتشارلز بيرس ووليم جيمس (1840-1910م). تسمى البراغماتية بالأداتية والذرائعية والنفعية والعملية، أفرزت الفلسفة البراغماتية لاحقاً الفلسفة التقدمية، وهي مدرسة إصلاحية تؤكد على دور المدرسة في أن تكون مرآة مصغرة تعكس البيئة، لأنها يجب أن تعكس أنشطة الحياة خارج أسوار المدرسة، في منظومة ديناميكية متكاملة متجانسة.

* ربطت هذه الفلسفة التربية بخدمة المجتمع مع إعطاء المتعلم قدرا كبيرا من الحرية في اختيار ممارساته. رسّخ جون ديوى معالم هذه النظرية، ودفع بها إلى عالم الشهرة والأضواء، حتى غدت من أكثر المدارس الفلسفية انتشاراً في العالم الغربي والعربي، وقام العديد من المفكرين والباحثين المحدثين والمعاصرين ببذل جهودٍ علمية وعملية كبيرة لنشر هذه الفلسفة في سائر أرجاء الوطن العربي وفي غيره.

* تقوم الفلسفة البراغماتية على فكرة هي أنّ الإنسان كائن بشري متميز عن غيره من المخلوقات بفكره وأخلاقه ومعارفه وأعماله، وأساس الفكر والأخلاق والمعرفة والأعمال عند الإنسان هو المنفعة لا غير. وأيّ فكرة نظرية أو معرفة أو سلوك لا يجلب لصاحبه منفعة مادية ملموسة فهو من قبيل العبث ولا قيمة له، ومعيار نجاح الأفكار والأعمال هو ما تجلبه من منافع وفوائد عملية حسية، أما مقياس الفشل في ذلك هو ما ينتج عن الأفكار والأعمال من ضرر وهلاك. فالخير في الفكرة وفي الفعل منفعة تُجلب، والشر في الفكرة وفي الفعل ضرر يُدفع.

* أما المدرسة التقدمية فتركز على مفهوم الخبرة، والممارسة، وخطوات التفكير العلمي، القائمة على مهارة حل المشكلات، وخدمة المجتمع الديمقراطي، وتبني مبدأ المشاريع كوسيلة من وسائل التعلم. وتؤكد أيضاً على ضرورة تجاوز الماضي، والمتعلم أحوج ما يكون إلى ثقافة اليوم والغد، يأخذ منها على قدر حاجته للحياة الفاعلة المفعمة بالخبرات الناجحة.

* لا شك أن هذه المدرسة قامت بثورة فكرية تاريخية ضد المدارس التقليدية التي اهتمت بالمعلومات وقللت من شأن المهارات. لا تؤمن هذه المدرسة بثبات القيّم، بل الأخلاق نسبية تتحدد وفق قناعات المجتمع، فالقيّم تتفاوت حقيقتها حسب وضع وزمن المجتمع وقناعات الفرد. من هنا فلا حاجة كبيرة للدين، والموضوعات نسبية في المناهج والأنشطة التعليمية، والطريق لكسب المعرفة يكون بالممارسة الحسية ولا يتحقق بالمدارسة التأملية.

* مهّدت الفلسفة البراغماتية للتربية التقدمية ويعتبرها البعض التطبيق التربوي لها. ظهرت هذه المدرسة في أمريكا في بداية القرن العشرين وأبرز روادها هو الفيلسوف والمربي الشهير: جون ديوي. نشطت الحركة التقدمية واكتسحت الساحة التربوية الأمريكية في الفترة ما بين 1920-1945م. دعت هذه الحركة الضاغطة إلى دعم العملية التعليمية بمزيد من الجهود الإنسانية والطاقات المتخصصة، والإمكانات المتاحة. من الواضح أن الحركة التقدمية تجاوزت الجدل الفلسفي النظري، وأنزلت الفلسفة من برج الجدل العالي إلى واقع الناس الفعلي. لفترة طويلة كانت الفلسفة تائهة في دهاليز المثاليات ولم تر نور العمل الإجرائي إلا قليلاً، وكثيرا ما كانت الأفكار تحتقن ثم تختنق في عروق الفلاسفة، لأنها تغذّت بالنظريات من دون أن تعرف طريقها إلى عالم التجارب.

* جاءت المدرسة التقدمية كثورة عارمة على سلبيات النظام التعليمي التقليدي العقيم - حسب البراغماتيين التقدميين- الذي يقوم على التمحور حول المعلم والكتاب المقرر وطرائق التعليم الجامدة. أكدت المدرسة التقدمية في بناء المناهج التربوية التعليمية على القواعد التالية:

1- الخبرة المباشرة مع البيئة المحيطة أفضل مناخ للتعلم والتعليم والتكوين والتدريب.

2- التعلم الفعّال ينتج من خبرات تعلُّمية تعليمية ممتعة قائمة على مبدأ الإبداع وحل المشكلات.

3- الاعتماد على الكتاب المدرسي والمنهج والتقوقع في إطارهما لا يناسب المتعلمين، إذ أن التعلم الجيّد يجب أن يقوم على أساس مبدأ الحرية والمرونة والخبرة والشمول.

4- المعلم كالموجه الإداري، الذي يتيح ويوفر الأجواء المناسبة للتعليم والتعلم، من خلال طرح الأسئلة وتوجيه اهتمامات المتعلمين إلى الميادين الإنتاجية.

5 – مراعاة الفروق الفردية لكل متعلم بحيث يتعلم الطالب كيف يسأل عن البيئة المحيطة به ويستفيد منها وهذه من أهم المهارات الحياتية.

6– المدرسة عليها أن لا تنحصر في نفسها، وعليها أن لا تنعزل عن المحيط الاجتماعي الخارجي، فبعض رواد المدرسة التقدمية ذهب إلى أبعد من أطروحات جون ديوي حيث اقترحوا أن تكون جميع البرامج الدراسية من المواد التي يريد المتعلم دراستها ويرغب في تعلمها من محيط المدرسة، ومن الواضح أن هذا التوجه الجديد تعرض لانتقادات كثيرة.

7– جميع العلوم والقيّم نسبية متغيرة والمدارس يجب أن تركز على أسلوب حل المشكلات وأن تقوم بتزويد المتعلم بالمهارات التي تساعده على التغيير لا المعلومات التي قد تتغير في المستقبل.

ب– الأساس الوجودي:

– تؤمن الفلسفة الوجودية بالحرية الإنسانية المطلقة في الحياة، وهي بالتالي ثورة حقيقية متواصلة على كل القيم المتوارثة، وجميع الفلسفات السابقة.

– الوجودية رؤية فلسفية للوجود الإنساني، ظهرت في أوربا – عقب الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918م) – في ألمانيا أولاً ثم في فرنسا.

– لا شك في أن الوجودية كنظرية وتطبيق ليست حركة جديدة بل جذورها في هذا المضمار ضارب في القدم، وعندما تحررت أوربا من سلطة الكنيسة أصبح المفكر لا يخاف من نشر خواطره الخطيرة، فاستغل البعض أجواء الحرية لنسف كل الحدود الدينية وجميع السدود المجتمعية.

– تنقسم هذه المدرسة إلى قسمين: القسم الديني المؤمن بالنصرانية، والقسم الملحد. القاسم المشترك بين القسمين أنهما يحاولان فلسفياً بيان ماهية الوجود الإنساني. الوجودية الملحدة هي المعروفة والأكثر شهرة في الثقافة العربية .

– تلغي هذه الفلسفة خصوصيات الإنسان ككائن اجتماعي يتأثر بمعطيات المجتمع ولا يمكن أن يتغافل عن محيطه الذي يعيش فيه، كما أن النظرة الوجودية تحرم الإنسان من الصلة الروحية بخالقه، فلا تعطي أي وزن للمضامين الدينية.

– يقوم هذا المذهب الذي نبت في أوربا على فكرة أساسية تؤكد على أن الوجود الإنساني الذي هو الحقيقة اليقينية الوحيدة، ولا يوجد شيء سابق عليها، ولا بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته، ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر، دون ارتباط بخالق أو بقيّم خارجة عن إرادته، وعليه أن

يختار القيّم التي تنظم حياته.

- ترجع بذور مذهب الوجودية إلى الكاتب الدانمركي كيركاجارد «1813-1855م»، وقد نمّى آراءه وتعمق فيها الفيلسوفان الألمانيان مارتن هيدجر الذي ولد عام 1889م، وكارل يسبرز المولود عام 1883م. وقد أكد هؤلاء الفلاسفة جميعا على أن فلسفتهم ليست تجريدية عقلية، بل هي دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات.

-يعتبر الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر (1905 - 1980 م) أكبر منظر لهذه المدرسة، التي لا تقيم وزناً للدين ولا للقيّم الثابتة. انتشرت أفكاره في النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصة في ميدان القصة والشعر. من أفكار هذه النزعة التحرر التام من أنظمة المجتمعات، الدعوة العلنية للإباحية الجنسية، تسفيه الأديان، الاستهتار بالمبادئ العامة، تقديس الإنسان، قمع الحس الجماعي، ونبذ مكارم الأخلاق.

- تظهر الملامح التربوية الرئيسية في الفلسفة الوجودية في النقاط التالية:

1- تكون الفلسفة أكثر فائدة إذا بنيت على الحقيقة الإنسانية، هذا ما يراه جان بول سارتر، فالمعرفة الحدسية أساس الفلسفة الكلية.

2- الإنسان هو الغاية في الحياة، الحياة رحلة يبحث فيها الإنسان عن إجابة للأسئلة المحيّرة كي يسعد ولا يستبد به الشك.

3- التربية بكل مناهجها التعليمية وأنشطتها الفصلية يجب أن تحقق ذاتية الفرد لا أهداف المجتمع.

4 - التحرر من الأخلاق أساس السلوك البشري برمته.

5- تشجيع الشك في كل المسلمات، وتمجيد العقل، والترحيب بالحوار بلا حدود.

6- لا تعترف الوجودية بالحق المطلق والفضائل الأخلاقية بل هي العدو اللّدود للعقل وللوجود وللعلم وللمعرفة.

7- تنكر الوجودية على المعلم استخدام العقاب أو التوبيخ أو الإذلال، حتى لو كان الطالب مخطئاً، لأنّ أهمية التربية ليست بحجم المادة التي يتعلمونها بل بمقدار أو بكيفية الاستفادة مما يتعلمون، والمتعلم هو محور الحركة التعليمية التعلمية وجميع الخبرات التثقيفية والتكوينية.

8- المدرسة في رأي الفلاسفة الوجوديين مسئولة تماما عن فتح المجال أمام جميع التلاميذ للبحث والفحص والتدقيق في أي مجال يرغبونه.

9-الجانب العملي المستمد من الواقع المادي هو الطريق المؤدي إلى صياغة الشخصية الإنسانية، المؤمنة بذاتها الفردية المستقلة عن غيرها.

10- تهاجم الوجودية التعليم المهني والتخصصي، فهو يقيّد مستقبل الإنسان، لأنه يقلل فرص الاختيار للعمل، وهذا يخدم المجتمع لا الفرد، والأصل الفرد لا المجتمع.

ج- الأساس الواقعي:

- ترى المدرسة الواقعية ورائدها الأول أرسطو (384ق.م-322ق.م) أنّ العناية بالحواس أهم من التركيز على الخيال وتتفق مع المثالية في كون الفضائل ثابتة.
- أعلت المدرسة الواقعية من شأن الحواس، وأنزلت الفلسفة من سماء التأمل والمُثل إلى عالم الواقع والحواس، وبذلك اتسعت ساحة المناهج التعليمية، لأنها بدأت تشمل العلوم الفلكية والرياضية، علاوة على العلوم الأدبية التقليدية.
- أيَّد جون لوك (1632-1704م) الفيلسوف الإنجليزي المدرسة الواقعية، لأنها أعطت الفكر النقدي مجالا واسعا، ولأنها ترى أن التجربة والواقع والحواس -لا المثال والتجريد- أساس المعرفة، وأسلم طريق للحصول على العلم، والبحث فيه، والاستفادة منه.
- تقوم التربية ويتأسس التعليم في منظور الاتجاه الواقعي على المبادئ التالية:

1- الطفل صفحة بيضاء تستقي سطورها من مداد تجارب الواقع، فجاءت هذه الفلسفة لتؤكد على ضرورة دراسة الظواهر الطبيعية إلى جانب العناية بالرياضيات وسائر العلوم.

2- يُعد القس جون أموس كومينوس (1592-1670م) من رواد المدرسة الواقعية الحسية وهو فيلسوف تشيكي. كان كومينوس أول من ألف كتاباً مصوراً للأطفال سماه «عالم المحسوسات المصورة»، ولم يقتصر اهتمامه على الأطفال فقط إنما شمل به الأمهات، حيث أقام لهن مدرسة متخصصة لتثقيفهن.

3- قدَّم كومينوس عمله المنهجي المبتكر في عالم الطفل عندما ألَّف كتابا عن عالم المحسوسات المصورة ليجعل الصورة من أهم أساليب تعليم الطفل في المدارس، مع التركيز على تعليم الطفل حقائق الحياة وقد استخدم في كتابه طريقة عرض الأشياء بدلاً من الكلمات والرموز وذلك بعرض الأشياء نفسها مصورة.

3- ويعتبر الباحثون القس كومينوس أول مؤسس للتربية الحديثة الخاصة بالطفل. وإلى هذا اليوم يعتز الأوربيون بهذا العَالم، لأنه اعتنى بالتربية العقلية والأخلاقية على حد سواء، علاوة على أنه وضع منهجه الحسي في التدريس، فأثَّر لعدة قرون في الفكر التربوي العالمي. رغم أن حياته المضطربة كانت مليئة بالمحن والاضطهاد إلا أنه أسعد أطفال العالم بوسائله التعليمية.

4- رسّخت الواقعية منهج التجريب والنقد العلمي والشك المنهجي، وشجعت المتعلم على ملاحظة الظواهر الطبيعية بصورة منتظمة، ونادت بإعمال العقل في التحليل، واستغلال الحواس للتوصل للحقائق اليقينية.

5- عكس الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596 - 1650م) جانباً من جوانب هذا المنهج في مقولته الشهيرة «أنا أفكر، وإذن فأنا موجود».

6- لا يمكن الوصول للحقائق الدينية والدنيوية إلا من خلال منهج الشك. المنهج الشكي هو الطريق الصحيح لمعرفة وجود الله، ولمعرفة الحياة، ولمعرفة الحقيقة.

7 لم تفرق هذه المدرسة بين عالم المثل والروح وبين عالم الجسد والواقع، ولم تتوسع في التأمل العقلي كما فعل أفلاطون.

8- من محامد الواقعية كحركة فكرية أنها اهتمت بالتربية المهنية، ودعت إلى ضرورة ربط المناهج التعليمية بالمجريات اليومية، والحاجيات الحياتية الفعلية.

د- الأساس العلمي والتكنولوجي:

- العلم أخص من المعرفة، وهو جزء منها، تمثله سائر البحوث والدراسات المنظمة، القائمة على أسس وقواعد محددة، تعرف بمقومات الروح العلمية، وتتبع مناهج وأساليب مضبوطة تسمى مناهج البحث العلمي، كما تستخدم أدوات ووسائل فكرية ومادية، هي وسائل وأدوات البحث العلمي، نتائجها نسبية تتميز بالدقة والتعميم، وهي عبارة عن قوانين وحقائق علمية.

- العلم مركب من عناصر، تجمع بينها خصائص تطبع هذا المركب وتطبع كل عنصر من عناصره، هي خصائص الروح العلمية، بحيث لا تخلو منها شخصية علمية أو دراسة علمية أو منهج علمي أو قانون من القوانين العلمية، وأي عمل في أي ميدان من ميادين الحياة لا يتضمن هذه الخصائص ولا يقوم على مقومات الروح العلمية فهولا يمتّ بصلة بالعلم والعلماء.

- إنّ مقومات الروح العلمية تعكس حدود ودرجة الإجماع والاتفاق بين الناس، كما تزيل التباين والاختلاف الذي ينتج عن تعدد واختلاف الآراء والأهواء والمعتقدات والانتماءات الدينية والطائفية والعرقية واللّغوية وغيرها، فالحقيقة العلمية ثابتة نسبيا، عامة، دقيقة، وموضوعية تفرض نفسها على جميع العقول، وتتجاوز حدود الزمان والمكان، لأنها تقوم على مبادئ تضمن لها ذلك، مثل مبدأ الحتمية و مبدأ النسبية ومبدأ الموضوعية وغيره.

- قبل النهضة الفكرية والعلمية الحديثة كان التفكير الإنساني مطبوعا بالنزعة الفلسفية في نظرته إلى الأمور، وفي مناهجه واتجاهاته، لكن الاتجاهات الفلسفية الحديثة كالاتجاه الوضعي وتفرعاته والثورة العلمية والتكنولوجية والتحولات الاجتماعية في بداية العصر الحديث كل هذا أفرز أسسا ومناهج وتوجهات جديدة في التفكير، تكللت هذه الأوضاع الجديدة بسيادة التفكير العلمي، وسيطرة الطابع الوضعي المنطقي على حياة الإنسان، وعلى نشاطاته النظرية والعملية، فصارت المعرفة وطرقها وحياة الإنسان برمتها وحضارته وثقافته ذات طابع علمي بحت.
- تمثل التربية ظاهرة ثقافية، ووسيلة لنقل التراث والعلوم والثقافة بجميع مظاهرها بما في ذلك التقنية إلى الفرد، ومن جهة إلى أخرى. وترتكز التربية ويرتكز التعليم بموجب التقدم العلمي والتكنولوجي على مايلي :

1- يقوم بناء المناهج التعليمية ومخططات التكوين والنظم التربوية والمنظومة التربوية بشكل عام على معايير علمية بحتة.

2- توظيف وتفعيل النظريات والقوانين التي أنجبتها البحوث والدراسات العلمية لظاهرتي التعلم والتعليم (طرق ونظريات واستراتيجيات التعلم) مثل النظرية الترابطية والنظرية البنيوية، ومثل إستراتيجية ما وراء المعرفة وإستراتيجية التعلم التعاوني.

3- تكوين المتعلم تكوينا علميا يتماشى والكشوف العلمية الهائلة والمتفجرة باستمرار.

4- الاستفادة من كل الخبرات العلمية والتجارب الميدانية، ونتائج الأبحاث والدراسات، في علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم التربية، في التخطيط للتربية والتعليم، وفي عمليات التنفيذ والتسيير والمراقبة والمتابعة والتوجيه والتقويم و غيرها.

5- تمكين المعلم والمتعلم من استخدام منتجات التكنولوجيا المتطورة نظريا وعمليا، في عمليتي التعليم والتعلم، وعلى رأسها تقنيات الإعلام الآلي، وشبكة الإنترنيت في إطار تكنولوجيا الاتصال.

6- توظيف العلوم والتكنولوجيات المتطورة باستمرار، على أنّها وسائل وأدوات لا غير، وليست غايات لذاتها، فالغاية القصوى هي الحصول على كفاءات تضمن متطلبات وحاجات الفرد والمجتمع المادية والفكرية، وتحقق لهما الآمال والتطلعات.

ه- الأساس الديمقراطي:

* الديمقراطية لفظة يونانية، مركبة من مقطعين هما ديموس وكراتوس بمعنى حكم الشعب في اللغة العربية. ارتبط مفهوم الديمقراطية كتنظيم سياسي واجتماعي واضح المعالم ومحدد القيم لدى شعوب أوروبا في بداية العصر الحديث بالثورات التي خاضتها

ضد سلطة رجال الدين وحكم الكنيسة وبالانفجار العلمي والتقدم التكنولوجي وبالرأسمالية كقوة اقتصادية ونظام سياسي، فشهدت مع ذلك أوروبا تحولات كبرى وجذرية، فكرية وعلمية وتكنولوجية وسياسية واقتصادية واجتماعية سمّاها روادها بالنهضة الحديثة، أو الحضارة الحديثة.

* للنهضة الأوروبية الحديثة مظاهر عديدة، ومظهرها السياسي هو الديمقراطية، كفكر وكثقافة وكسلوك وممارسة، تتأسس على تمجيد وممارسة الحرية كقيمة إنسانية، في الحياة السياسية بجميع مجالاتها، في التفكير، وفي الرأي والتعبير، وفي الصحافة والإعلام، وفي التديّن والتحزّب، وفي التنافس على الحكم، وفي الانتخاب، وقبول الآخر والإصغاء إليه، والتداول على السلطة، والمعارضة بالوسائل السلمية.

* أصبحت الديمقراطية في عصرنا شعارا يتغنى به الكثير من الناس، في السلطة وخارجها، وعنوانا للرفاهية والتقدم والعدالة، ومطلبا تطالب به الشعوب والهيئات والمنظمات الوطنية والإقليمية والأممية، وتسعى إلى تحقيقه كافة الأنظمة والحكومات في كافة أرجاء المعمورة.

* الديمقراطية كمنظومة سياسية تستند على قيّم ومبادئ فكرية وفلسفية، تتضمن آليات التنظيم والحكم والتسيير والتوجيه، وتشمل كافة مناحي الحياة البشرية الفردية والاجتماعية، وأهم أدوات تمكين هذه الآليات والقيم في الوجود الإنساني وغرسها في الفرد وفي المجتمع التربية والتعليم والتثقيف، وفلسفة التربية في إطار الحياة الديمقراطية تكون روحها من روح الديمقراطية، وتقوم هذه الفلسفة على الأسس التالية:

1- للفرد في المجتمع حقوق اجتماعية، سياسية ومدنية، أهمّها حق التربية والتعليم والتعلم، في ظروف مناسبة.

2- تمجيد وممارسة حق الحرية في ميدان التربية والتعليم، في حدود المصالح الفكرية والدينية والعرقية للأفراد والجماعات.

3- إتاحة الفرص للجميع لممارسة الحقوق الاجتماعية، التربوية والتعليمية، مع مراعاة الفروق الفردية.

4- بناء أساليب التربية ومناهج التعليم واستراتيجيات التعلم على قيم الديمقراطية، الحرية، العدالة، تكافؤ الفرص، الفروق الفردية، اللاّإكراه واللاّجبر، البراغماتية وغيرها.

5- جعل المتعلم محور العملية التربوية، وتأسيس النشاط المدرسي على نمو الأطفال التدريجي والمتوازن والمتكامل، وتوظيف المدرسة والمعلم والمنهاج لخدمة ذلك.

6- المدرسة جزء من المجتمع، وهي الحياة الاجتماعية نفسُها، تعكسها وتعالج مشاكلها، وتُطورها.

7- تقديم محتويات التربية والتعليم على أنّها وسائل لا غايات، ومجردة من الانتماءات السياسية أو العرقية أو الدينية.

8- العناية بتربية الشخصية تربية شاملة، عقلية ونفسية وبدنية وأخلاقية ووجدانية واجتماعية، بغرض بناء إنسان متوازن ومتكامل.

9- إعداد إنسان مشبع بقيم ومبادئ الديمقراطية، في تفكيره وشعوره وثقافته ونمط عيشه، وفي صلته مع الآخرين.

10- عولمة النموذج التربوي الديمقراطي، وتعميمه بأساليب ووسائل متعددة، أهمها بيداغوجية المقاربة بالكفاءات.

و- الأساس اللّيبرالي الاقتصادي:

* ارتبطت الرأسمالية كتنظيم اقتصادي، وكإيديولوجية سياسية وفكرية، بالتحوّلات الكبرى، الفكرية والاجتماعية، وبالتقدم العلمي والتكنولوجي، الذي شهده مطلع القرن الثامن عشر.

* التحوّلات الكبرى التي جرت في أوروبا الحديثة أفرزت أوضاعا اقتصادية جديدة، كان للصناعة والتجارة ورأس المال فيها الدور الأساسي في تحريك دواليب الحياة الاقتصادية، أدّى ذلك إلى تجمع رؤوس الأموال بيد الطبقة البرجوازية، المالكة للإنتاج ولوسائل الإنتاج، والمديرة لعلاقاته ولعناصر الاقتصاد وقطاعاته، مما سمح لها بالتنظير لحياة اقتصادية واجتماعية جديدة، حينها وُضعت الأسس والمبادئ الأولى للتنظيم الاقتصادي الليبرالي.

* تقوم الليبرالية كنظام اقتصادي على قوانين الطبيعة الفيزيقية، التي تؤكد على إبعاد الدولة والأخلاق والدين عن التدخل في الحياة الاقتصادية، الملكية الفردية للإنتاج ووسائله، الحرية الاقتصادية تشمل كافة ميادين الحياة الاقتصادية العمل والإنتاج والمنافسة والتسويق، وقانون العرض والطلب يحدد أجور العمال وينظم أسعار السلع في السوق.

* ارتبطت أسس النظام الليبرالي الاقتصادي منذ قيامها ولازالت ترتبط بعدة مفاهيم واتجاهات فكرية واجتماعية، قلبت الأوضاع في أوروبا الحديثة، تمثّلت في الاتجاه المادي والاتجاه العلماني والنزعة الوضعية العلمية والفلسفة الواقعية والفلسفة الوجودية والفلسفة البراغماتية، الأمر الذي جعل نفوذ الاقتصاد الحر يقوى والإنتاج فيه ينمو ويزدهر رغم ما أفرزه من آثار سلبية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأخلاقيا.

* ارتبط الاقتصاد الليبرالي بالحياة السياسية عند الديموقراطية كخيار فكري وأيديولوجي وكممارسة للسلطة والحكم، وارتبط ذلك بمفهوم الحضارة وبالتربية في المجتمع، و»إذا كانت أزمة التربية هي أزمة الحضارة بكاملها، فيبقى أنّ التربية نفسها هي مسئولة كل المسئولية عن تلك الأزمة وأن من شأن الحل أن يتأتى منها إلى حد كبير. لا نستطيع أن نتوقع ذلك الحل، بيد أنه يحق لنا أن نثبت أن على التربية في مجتمع يزعم أنه ديموقراطي أن تكون ديموقراطية».[9]

* فلسفة التربية والتعليم في المجتمعات الرأسمالية تقوم على أسس اقتضتها الحياة الاقتصادية، بعناصرها وقطاعاتها وعلاقاتها وتنظيمها، وأهم هذه الأسس ما يلي:

1- واقعية التربية والتعليم.

2- براغماتية التربية والتعليم.

3- مادية التربية والتكوين.

4- علمية و تكنولوجية التربية والتكوين.

5- علمانية التربية والتكوين.

6- عولمة التربية والتكوين.

7- تكوين الناشئة على قيم ومبادئ الاقتصاد الحر، كتمجيد العمل والإنتاج والملكية الفردية والمنافسة الحرة وغيرها.

8- توظيف التربية والمدرسة المجتمع والأسرة لخدمة الحياة الاقتصادية في ظل الاقتصاد الرأسمالي الحر.

9- بناء كفاءات تتماشى وحاجيات ومتطلبات اقتصاد السوق العالمي.

10- عولمة التنظيم الاقتصادي الليبرالي بوسائل متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية، ومن هذه الوسائل بيداغوجية المقاربة بالكفاءات.

ي- أساس العولمة:

* العولمة لغة تعني جعل العالم عالما واحدا، موجها توجيها واحدا، في إطار حضارة واحدة، لذلك تسمى الكونية أو الكوكبة، ولقد أجاز مجمع اللّغة العربية بالقاهرة استعمال لفظة عولمة بهذا المعنى.

* يصعب الوصول إلى تعريف دقيق يحدد ماهية العولمة، لأنها ماهية بصدد التشكل، وهي قيد الوصف والتحليل والتفسير، ولأنّها موضع نقاش وجدال، وفرضيات وإدانات وإشادات، بين مؤيّديها والمناهضين لها.

* تمثل العولمة مجموعة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، تهدف إلى إدخال جميع الدول وكافة المجتمعات فيها وتبنّيها والعمل بها، والعيش في إطارها. وتتميز العولمة بمجموعة من العلاقات والعوامل والقوى، تتحرك بسهولة على المستوى الكوني، متجاوزة الحدود الجغرافية للدول، ويصعب السيطرة عليها، وتساندها بيئة قانونية وطنية ودولية، كما تستخدم آليات متعددة، منتجة لآثار ونتائج تتعدى نطاق الدولة الوطنية إلى المستوى العالمي، لتربط العالم في شكل كيان واحد متشابك الأطراف. يعني «تعميم استعمال نمط حضاري وأيديولوجي وثقافي واقتصادي وسياسي على كافة شعوب العالم».[10]

* العولمة كمفهوم وكاتجاه قام بعد زوال القطبية الثنائية، وسيادة القطبية الأحادية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، لذا ارتبط مفهوم العولمة بالنظام الدولي الجديد المفروض على العالم أجمع من قبل قادة العالم المتقدم، وفق مصالحهم وآمالهم وتطلعاتهم، وعلى حساب مصالح وآمال المجتمعات والدول الأخرى، فأخذ تصور العولمة عدة مفاهيم لدى معارضيها، منها الهيمنة، الاستعمار، الاستبداد والتسلط، الأمركة وغيرها. ويصفها أحد المفكرين في العالم العربي والإسلامي «عولمة الزمان، كونية المكان، رمزية العمل، عمال المعرفة، وحدة السوق، التجارة الالكترونية، القيمة المضافة، الطريق السريع للإعلام، الثورة العددية، الطوائف السبرانية، المدنية العالمية، سوق النظر، الميدياء، عولمة الأنا، اختراق الهويات، تداخل الكوني المحلي».11

* للعولمة أهداف وآثار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، تعود بالنفع على القوى المهيمنة، و تعود بالضرر على الشعوب الضعيفة، وتستخدم أساليب و وسائل متعددة، سياسية واقتصادية، وطنية وإقليمية وأممية، كما تستخدم أخرى علمية وتكنولوجية، «إن عالمنا غدا يعيش ظاهرة فريدة في تاريخ البشرية، هي تفتت وتفكك المرجعيات والمنابع المنتجة للدلالة».12

* للعولمة أسس ومميزات تتحدد بها، أهمها ما يلي:

* فرض نموذج إنساني عالمي فردي واجتماعي من قبل القوى المهيمنة على كافة مجتمعات ودول العالم(نمذجة العالم ونمطيته).

1- تبني كافة الشعوب والدول منهج الإصلاح، في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية والتربوية، وفق النموذج العولمي المفروض.

2- إعمال العقل وتوظيف العلم في كافة ميادين حياة الإنسان، دون الاستناد إلى غيرهما.

3- استخدام التكنولوجيا المعاصرة ومنتجاتها في جميع جوانب حياة الإنسان وفي أعماله، بما يضمن الوصول إلى النموذج الإنساني العولمي.

4- براغماتية التفكير الإنساني وسائر أعماله ونشاطاته في الميدان الفردي والميدان الاجتماعي.

5- مادية تفكير الإنسان في نظرته إلى نفسه وإلى حياته وإلى الوجود ككل.

6- علمانية الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية، وفصل ما هو ديني غيبي ميتافيزيقي عما هو واقعي دنيوي.

7- ديمقراطية الحياة السياسية والاجتماعية بالمعنى الليبرالي الغربي.

8- ليبرالية الحياة الاقتصادية تنظيما وإنتاجا وعلاقات، بالمعنى الغربي للاتجاه والتوجه.

9- عقلانية وعلمية وعلمانية ومادية وبراغماتية وتكنولوجية وديمقراطية وليبرالية الثقافة والتربية والتعليم، لبناء نموذج بشري معولم.

10- بناء وصياغة (بيداغوجيات) مناهج وأساليب واستراتيجيات التربية والتعليم والتعلم على أسس وقيم العولمة، ومنها بيداغوجية المقاربة بالكفاءات.

خاتمة:

* تمثل بيداغوجية المقاربة بالكفاءات الأسلوب التربوي والتعليمي الناتج عن التطور الحاصل في مجال التربية والتعليم في عصرنا، له أصول ومصادر فكرية وفلسفية واجتماعية، ويتحدد بمجموعة من المبادئ والقيم والمناهج، كما يتطلب وسائل وأدوات متطورة، كما أفرز ويفرز آثارا ونتائج على الفرد والمجتمع، كل هذا في إطار الأسس التي تقوم عليها التربية المعاصرة وفلسفتها.

* لقد جرّب الإنسان المعاصر في العالم المتقدم عدة مقاربات، وثبت أنّ النقص والخلل حالّ في كل واحدة منها، لكن بدرجات متفاوتة، فمن أسلوب التلقين أو تبليغ المحتويات، إلى التعليم بالأهداف إلى المقاربة بالقدرات، إلى المقاربة بالكفاءات، وهذه الأخيرة تمثل في فلسفة التربية غاية في ذاتها، والحقيقة أن العمل التربوي في جميع عناصره نسبي ومتطور باستمرار، وكأنّ تاريخ البيداغوجيا انتهى وتوقف بحسب منظور «فوكو ياما».

* تتطلب بيداغوجية المقاربة بالكفاءات ثقافة علمية عالية، وفكرا اجتماعيا ينسجم مع نمط الحياة والظروف التي أنجبت هذه البيداغوجية، كما تحتاج إلى وسائل وأدوات تقنية في مقدمتها التحكم في المعلوماتية وفي وسائل وتقنيات الاتصال والإعلام والتثقيف المعاصرة وعلى رأسها شبكة الإنترنت، وهذا ما لم تتوفر عليه الدول النامية، مثل الجزائر

وهي تدخل التدريس بالكفاءات في نظامها التربوي، حيث أثبتت العديد من الدراسات الميدانية أن شعوب العالم الثالث وبدرجات متفاوتة لا تتحكم في الثقافة العلمية ولا في تقنية الإعلام الآلي المطلوبة في أسلوب التدريس بالكفاءات، ولا تسيطر على تقنيات الاتصال، ولا تمتلك وسائله، وهذا يعيق بلوغ الأهداف المطلوبة من وراء المقاربة بالكفاءات.

* إن فلسفة التربية المعاصرة بمصادرها وقيّمها، وبالمناهج والإستراتيجيات التربوية المنبثقة عنها، تعكس توجّهات وإيديولوجيات قوى معينة، في العالم المتقدم بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، متجاهلة التنوع الثقافي والفكري والديني والاجتماعي واللغوي وغيره، المتواجد في العالم ومتجاهلة خصوصية الدولة الوطنية والقومية وغيرها.

* تتميز فلسفة بيداغوجية المقاربة بالكفاءات بطابعها المادي العلماني البراغماتي الآني، الخالي من الحضور الأخلاقي والديني، وتأسيس أي فلسفة أو فكر أو ثقافة أو دين على غير مكارم الأخلاق، وعلى عدم مراعاة المطالب الروحية للفرد والمجتمع، تنتج عنه آثار ومظاهر سلبية، تعكسها معاناة الشعوب والأمم الحالية للظلم والاستبداد والحرب والفقر والحرمان والجهل والمرض، وهي آفات منتشرة في مختلف أنحاء المعمورة.

* يعتبر البعض أنّ بناء المناهج التربوية على المقاربة بالكفاءات في الجزائر مكسبا ثقافيا، وانتصارا للحضارة وللعلم وللديمقراطية، هذا في رأينا يكون مقبولا لو جاءت السلعة من إنتاجنا، لكنّها مستوردة، وظاهرة استيراد المنتجات العلمية والفكرية والمادية في أي مجتمع ليست عيبا، إلاّ أنّ الإنتاج المستورد يجلب معه أفكارا وقيما وعناصر هوية الجهة المصدّرة، ولا تنتقل مجردة من حضور ذات صاحبها فيها، فالذي يعيش بما ينتجه هو يحفظ كرامته وسيادته من الزوال.

* أقلّ ما يمكن قوله عن بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، أنّها أسلوب تربوي، من إنجاب الحضارة الراهنة، فيه القوة وفيه الضعف، ويكون أكثر ضعفا إن لم تتوفر شروطه ولوازمه النظرية والعملية والتقنية، ويصبح نقمة إن لم تراع فيه قيّم الأمة وهويتها، لأنه يصبح شكلا من أشكال الهيمنة والتسلط والاستعمار. ما أحوجنا إلى تأهيل حضاري يمكننا من إبداع الحضارة والحضارة لا تقوم من منتوجاتها، وأول هذه المنتوجات الفكر الحضاري، «فالحضارة فكر في مبدئها وفي مسارها وفي منتهاها، فكر نيّر ديني وفلسفي وعلمي وأخلاقي وأدبي، فكر نظري وعملي يؤثر في الفرد وفي المجتمع وفي الأمة وفي الكون، يستثمر الطاقة في الإنسان وفي الوجود ويحولها بما أودعه الله فيه من قدرة على الإبداع وبما ألهمه من تفرّد إلى عالم جديد بديع رائع في الجمال والبهاء ينضاف إلى الطبيعة».13 قال تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيّبات وفضلناهم

على كثير ممن خلقنا تفضيلا».14

الهوامش:

1- قرآن كريم: سورة الجمعة، الآية 2.

2- ذكاء الحرّ:الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1984، ص 44.

3- جورج شهلا: الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، نقلا عن ذكاء الحرّ، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص 44-45.

4- وزارة التربية الوطنية، مديرية التكوين:تربية وعلم النفس، الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، سنة 2009، ص 46-47.

5- أوليفيه ربول: فلسفة التربية، ترجمة جهاد نعمان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1978، ص 154.

6- المرجع السابق: ص 9.

7- المرجع السابق: ص 97.

8- يعقوب فام: الباغماتيزم أو مذهب الذرائع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة 1985، ص 147.

9- أوليفيه ربول: فلسفة التربية، ص 123.

10- جيلالي بوبكر: العولمة مظاهرها وتداعياتها، نقد وتقويم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، سنة 2011، ص5.

11- علي حرب: حديث النهايات ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، سنة 2004، ص 196.

12- السيد ولد أباه: اتجاهات العولمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، سنة 2001، ص133.

13- جيلالي بوبكر: بين الحضارة وفكرنا العربي المعاصر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 2012، ص 268.

14- قرآن كريم: سورة الإسراء، الآية

مراجع مستند إليها:

أ- مراجع بالعربية:

1- لسان العرب. ابن منظور. دار المعارف. القاهرة.

2- معجم علوم التربية(مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك). عبد اللطيف الفارابي وآخرون. دار الخطابي للطباعة والنشر. الطبعة الأولى. 1994.

3- المعجم الفلسفي. ج1 وج 2 . جميل صليبا. دار الكتاب اللبناني. لبنان. 1982.

4-الموسوعة الفلسفية المختصرة. زكي نجيب محمود وآخرون. دار القلم. لبنان.

5- إستراتيجية التدريس والتعلم. جابر عبد الحميد. دار الفكر العربي. القاهرة. الطبعة الأولى. 1990.

6-اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس.كوجك، كوثر حسين. عالم الكتب. القاهرة. 1997.

7- تقييم التعليم، أسسه وتطبيقاته. حمدان محمد زيدان.دار العلم للملايين. لبنان. 1980.

8-شبكة الإنترنيت. مقالات، حول العولمة، الديمقراطية، العلمانية، المقاربة بالكفاءات.

ب- مراجع باللّغة الأجنبية:

1- Apprentissage et formation des adultes M.E.Nizet, J.PUF.Leducation. paris.1997.

2- Méthode de travail et stratégie d apprentissage du secondaire a l université.recherche.application.wolfs, J.L. DE BOEK PARIS BRUXELLES 1998.

3- Définir les objectifs de l éducation.Delandsheere, G. éd. PUF., Paris; 1980.

4-Didactique fonctionnelle, objectifs, stratégie, Évaluation. Minder

المجال الخطابي داخل الأسرة
بين عنف اللغة و ديمقراطية السوق

Rhetorical space within the family ...
between language violence and market democracy

كريم محمد بن يمينة
جامعة د.الطاهر مولاي،سعيدة،الجزائر

«.. إننا نعيش عصرا يتميز بالانضباط والثقافة و الحضارة،
و لكننا لا نعيش إلى الآن عصرا يتسم بالتنشئة الأخلاقية.
و يمكن القول في حالة الإنسان الرّاهنة إنّ سعادة الدول
تزداد في نفس الوقت الذي يزداد فيه بؤس البشر».
- إمانويل كانط، تأملات في التربية،

استهلال:

أفرز النظام الدولي الجديد خطابات ثقافية وسيكولوجية وسوسيولوجية جديدة تقوم على فرض أنماط معينة من الأفكار والألفاظ والمدلولات وكذا السلوكات، فظهرت بذلك قضايا ومشكلات شخصية وأسرية ومجتمعية ودولية متباينة تفتقر إلى التجانس والانسجام، أدت بدورها إلى توتر العلاقات داخل المؤسسات بمختلف أنواعها وأشكالها، وعلى رأس هذه المؤسسات الأسرة التي أضحت مهددة بضياع مقوماتها ومرتكزاتها بشكل خطير تحت طائل الاستلاب ومواكبة الأحداث التي لا تستقر ولا تتمفصل عن الراهن العام، وفي ظل هذا الزخم الكثيف من التطورات والآليات والوسائل والوسائط تستوقفنا جملة من الإشكالات وهي: كيف تتمكن الأسرة من الحفاظ على هويتها ومواكبة هذا التنوع الحضاري؟ هل تصمد اللغة أمام التحولات الكبرى التي تنتجها العولمة بكل تقنياتها وتكنولوجياتها؟ هل يعيق الخطاب العولمي الجديد تماسك الأسرة، ويؤدي إلى القطيعة بين أفرادها؟ هل نشهد ميلاد لغات جديدة داخل اللغة الواحدة لتوافر التواصل على حساب اللغة الأم؟ هل استفادت الأسرة من تحديات العولمة وشبكاتها التواصلية أم أنها استنفذت

مقوماتها لتذعن لنظام عالمي يقوم على اقتصاد لغوي هش، واعتقاد دلائلي هجين؟ هل يمكننا إيجاد بدائل لغوية وتواصلية لمواكبة التحولات الجديدة قصد ضمان صحة الأفراد سيكولوجيا، وسلامة الجماعات سوسيولوجيا، وكذا استقامة اللسان سيميولوجيا؟

الكلمات المفتاحية: اللغة،العولمة،الأسرة،الكلام،الخطاب، التطور، التواصل، العنف، السوق، الديمقراطية، التكنولوجيا.

Abstract:

The recent international system issued new cultural, psychological and sociological discourse intended to impose a certain type of ideas, vocabulary and behavior. This diffusion caused the appearance of different personal, family, social, and even international problems. These problems are distinguished and lack harmony of coherency and uniformity; thus, they have influenced the relations that exist within the institutions with their different types and forms. At the head of these institutions, the family has become threatened by the disappearance of its foundations and principles, so horrifying, following dispositions caused by blind following events that have no clear explanation and see no stability. By studying this cloud of changes which are known as globalization name, we raise some problematical that require clarification and explanation, namely: - How can the family be able to follow this cultural diversity, while preserving its identity? - Language, can it stand in front of these great changes that globalization causes with all its technologies? - Is the new globalized discourse constrain intra-family bonds and led to the rupture between its individuals? - Witnessing we the birth of new languages in the mother tongue, used to facilitate communication? and the native language, will be it threatened? - Does the family has benefited the challenges of globalization and its communications network, or it unnecessarily exhausted its values and it became unable to face the globalization which is based on a limited language having a superficial sense ? - Can we find other linguistic and communicative alternatives to follow these new changes and at the same time preserving the health status of individuals and that of society, and as well as the integrity of the semiotics of language?

Keywords: language, globalization, family, speech, speech, development, communication, violence, market, democracy, technology.

أولا = عولمة العولمة [نحو معاداة الكونية و مضاهاة العالمية]:

يحيل مصطلح «العولمة» إلى دلالات استطيقية بعضها واهم وبعضها الآخر واهن، فعندما نقوم بتجذيره (تفكيكه) وتصريفه، نحصل على ملفوظات بعضها متوافق، وبعضها متباين من حيث الدلالة، فهي ترتبط بالعالم والعام والعلم والعول والعمالة والعمل والمعاملة واللمع، واللمة، (عو/ لمة) التي يراد بها الاجتماع، إضافة إلى ما تبديه من سياقات وأنساق على مستوى كل حياكة ونسيج ومنطوق، والعولمة انتقال من المحلي إلى العالمي، من الخاص إلى العام، تعبير عن الإضافات والتحديث والتعميم=التعتيم، فهي تحمل إمكان الكونية في مفهوم السيطرة بإخضاع العالم لنظام جديد، يقوم على هيمنة دول كبرى باختراق بنيات ثقافية ودينية وفكروية لمنظومات محلية يراد لها أن تنخرط عنوة، أو بانسيابية في فكرويات تستمد منها المرتكزات البراغماتية في شكلها الدوغمائي، لتشكيل مبادئ إمبريقية في طرحها الإيتيقي، هذا النسج الغريب أو الهجين يقتضي انفتاحا نحو مجتمع مأهول بالتنوع سلعيا، وبالاختلاف استهلاكيا، في أحادية ثقافية ووحدة إيتيقية، فأنتجت الأبحاث التي اشتغلت في موضوعات العولمة جملة من الإشكالات مثل: «العولمة: تهديد أم فرصة؟» وكذا «هل للعولمة بعد نفسي أيضا؟» ،و«هل وجدت العولمة لتبقى أم أنها ظاهرة دورية وجدت لتزول؟»، و«ما هو الجانب السيئ للعولمة؟ وأين تتجه بنا العولمة؟» ليتحول السؤال وبشكل مقلق ومفاجئ إلى «هل يمكننا الحديث عن وجه إيجابي للعولمة؟»، وغيرها من الأسئلة المتعبة، بالإضافة إلى ظهور مصطلحات و تسميات جديدة من النسيج اللغوي للعولمة مثل «القرية العالمية»، «العالم المسطح»، «الفضاء الكوني»، «التواصل الافتراضي»، «لغات العالم»، «اللامكان = اليوتوبيا الجديدة»، «العقل الجديد»، «الوكيل الحر»، «نهاية الحدود»، «التحول العظيم»، وغيرها من المفاهيم الجديدة التي تبرز في كل مناسبة، ليصبح مفهوم العولمة يؤسس لـ«عملية تاريخية، ناتجة عن الابتكارات الإنسانية والتقدّم التكنولوجي، وتشير إلى التكامل بين الاقتصاديات العالمية، وبالأخص من خلال التجارة والتدفقات المالية» [01]، فهيمنة الآلية، وقضايا المال، والنفوذ السياسي، وزوال الفوارق.. من أهم منتجات و مهلكات التفكير العولمي.

ترتبط **العولمة** بـ«**الثورة العلمية**» في إمكانات تتيح توافر فرص تدفق المعرفة، وتواصل الخطابات وتسارعها ضد الموت، ضد التلاشي،«.. إن الحياة وهبت للعولمة على حساب موت الكوني ونقيضه الخصوصي ورديفه العالمي ولكن هناك من يموت من خصوصيته عندما تتحول إلى عالمي وهناك من يموت لفقدان خصوصيته عندما تتعولم وتفقد رغبتها في التطلع إلى الكوني. زد على ذلك أن العوملة هي اختراق للعالمية و تمييع لها بإقصاء الخصوصيات الثقافية، أما العالمية فهي إغناء للهوية الكوكبية بالاعتراف بالخصوصيات

وتحقيق التفاعل بينها»[02]، فهي بذلك دعوة صريحة إلى تجاوز الباهت والهش والهامش، وكل نسق لا يجيد المدافعة والمرافعة، لا شيء يصمد أمام هول وهالة العولمة، فهي الوحيدة الصادمة والصارمة، لأنها تؤمن بالأفضل، بالأقوى، بالأصلح، كما أنها تحرج كثيرا المحاولات المحتشمة التي تبتغي دفقا من الحضور، أو مرافقة نحو الظهور.

تلازم فكرة الحداثة مشروع العولمة، بما تحمله من أساطير ممكنة، ومشاريع مؤجلة، تزاوج بين سلطة السياسية، وثورة العلم، وبراغماتية الإنهمام بالذات، فـ«.. تتجلى الحداثة في ثلاثة أساطير كبرى: أسطورة التحكم في الكون التي قال بها كل من ديكارت و بوفون وماركس ... وأسطورة التقدم والضرورة التاريخية التي باتت تفرض نفسها مع كوندورسي، وثالثة هذه الأساطير هي أسطورة السعادة. وقد قال سان جوست: «إن السعادة فكرة جديدة على أوروبا». ثم صارت الثقافة التي نشرتها وسائل الإعلام في الفترة الممتدة من القرن التاسع عشر وحتى ستينيات القرن العشرين تشيع أسطورة تقول أن السعادة قد باتت في متناول الأفراد في حضارتنا المعاصرة»[03]، فحين تصبح السعادة مباحثة ذاتية خالصة عن كل اعتقاد جمعي، تشرع التأويلات في وضع مفاهيم مختلفة حسب كل مرجعية، فالذي يهم العولمة أن يتفق الناس حول الغاية و لهم أن يختلفوا في المرجعيات، إذ تكمن كونية العولمة في اتساع السلوكيات و انحصار الأسباب، فمن حق الإنسان عولميا أن يحصل على ما يشاء لكن ليس من حقه أن يخطط لهذا الحق، فإما يحظى به جاهزا، أو أن يترفع عنه غير متحسر.

تزاحم التجربة كل مناسبة ميتافيزيقية، ليؤول الفهم بما يوافق السياق ويترافق مع النسق، لربط نموذج العولمة بحضارات ومجتمعات موغلة في التاريخ، ونظريات وجماعات متناثرة في كل مكان، وقد «..يؤدي الجدل حول العولمة دون شك إلى صفاء النظرية، إلى عودة الماورائيات إلى صلب العلم الاجتماعي التجريبي. ولكن العكس صحيح أيضا: فالعلاقة بين مساحة الإمكانيات وتجربة العولمة التجريبية غالبًا ما يصار إلى تجهليها من خلال مؤشرات خاطئة» [04]، لذا لا يمكننا أن نتفق حول مفهوم ثابت أو جامع لمصطلح العولمة، «.. فعولمة العولمة المقصودة ... لا تعني فقط إعادة الاعتبار للحمولة السيميائية التي من الواجب أن يعبر عنها المصطلح، و لكن أيضا ضرورة بناء مضامينه من جديد قصد تضمينها القيم الثقافية والحضارية التي من المفروض أن تحكم أنساق القيم ومنظومة القانون الدولي، عوض انبنائها على «لبرلة سياسة القوة» و«خوصصة» العلاقات بين الدول والشعوب والحضارات» [05]، لتنتهي ثقافة العولمة إلى المحو، إلى الاستلاب، إلى سياسات لا تخدم البشرية، ومهما سعى الطرف المؤيد للعولمة إلى تلميع حمولاتها وتبرير مسالكها، فلن يجدي ذلك في دفع الملابسات عنها، كما أن نعتها بالسلبية والوحشية لا يلغي جانبها الإيجابي في اتساع المعلوماتية، وشيوع المعرفة، واشتراك جميع البشر في الاستفادة من آلياتها ووسائل

الاتصال ومد جسور التعارف والتعاون بين الشعوب والحكومات والأفراد.

تقوم ثنائية القوة/ المبادئ على تفاقم الهوة بين علاقة السياسة والاقتصاد بالأخلاق والقانون في جدل حول مصير الإنسان في ظل الراهن واستشراف المستقبل فـ«.. ثمة نوع من الجدل [الديالكتيك] بين القوة و المبادئ، جدل يشكّل بالفعل إحدى السّمات المميزة للمجتمع الإنساني. ذلك لا يعني بالطبع أن القوة تتعذّر ممارستها في الشؤون الإنسانية مع الإغفال أو الاحتقار الكاملين للمعايير المقبولة. فما أكثر ما تمّت إساءة استخدام القوة أو استغلالها، ولسنا نبالغ إذا تنبأنا بأن مثل تلك الممارسات السلبية الشريرة سوف تستمر طالما بقي الرجال والنساء يعمرون الكرة الأرضية، أو أي كوكب آخر توصلهم إليه التكنولوجيا. يعني فقط أن الأعمال التي تنتهك مبادئ معينة من شأنها عادة أن تُعْتَبَر مرفوضة أخلاقيًا عندما لا تكون قابلة للتسويغ بطريقة أخرى. ذلك لأن معظم الناس ينتظرون ممن يتمتّعون بالقوة، و خصوصًا القوة العسكرية و الاقتصادية للدولة، أن يتصرّفوا بمسؤولية. ذلك يعني أن عليهم أن يبرِّروا ممارستهم للسلطة. كما أن الساسة يتوقّعون الأمر نفسه من بعضهم البعض»[06]، فغياب المسؤولية عن الأجهزة والمؤسسات بمختلف مكوناتها وتوجهاتها والتي تسعى إلى الاحتكار والانتشار والاستغلال، والظفر بكل فرصة ومناسبة لتقوية أبراجها وفرض سلطتها واستثمار رأسمالها واستكبار مقولاتها، ينشئ أنماطا من الذهنيات الشاذة والسلوكيات السلبية القائمة على المصلحة الخاصة والنظرة الضيقة، والكسب السريع .. دون مراعاة لأحوال الناس واحتياجاتهم الحقيقية، لتصبح الكماليات ضرورة ملحة، بينما تتحول الواجبات والحقوق إلى فكرويات وأدوات تربك النظام، وتهدد البشرية بالفناء.

تستمد العولمة سياقاتها من الأفعال المتسارعة/ المتصارعة مع كل قيمة متعالية أو أمثولة متجددة، وفي كل مرة لا يمكن فيها تعريف العولمة، يؤول بنا التفكير إلى مفاهيم غير مكتملة، فكلما تشكل مفهوم حولها، نجد أنفسنا ننتقده لعجز المعنى عن الاستجابة لمقتضيات الدال، فمثلما تتغير العولمة تتغير بذلك مدلولاتها، وهذا ما يجعل من مفاهيم العولمة ولادة زئبقية لا تصمد أمام الراهن إلا في حدود زمنية لا تكاد تتجاوز الدقيقة أو الثانية بقليل.

ثانيا = العولمة و الأسرة [من تفكيك الأنساق إلى بناء التحالفات]:

يشير **هيغل** إلى «أنّ وحدة الأسرة وحدة محسوسة تقوم على الحبّ، فالفرد يوجد داخل الأسرة بصفته عضوا من أعضائها، و ليس فقط بصفته فردا، و تكون نهاية الأسرة بالانحلال (إذ يهجرها الأطفال)، و على إثر هذا الانحلال يوجد الأفراد بصفتهم أشخاصا

مستقلين بذواتهم، أي بصفتهم عناصر من المجتمع»[07]، فبين «**الفردانية**» التي تستقل بذاتها، وتسعى لإثبات وجودها، بل وقد تخاصم بقية الأفراد الآخرين لتمكين رغباتها، وبين «**العضوانية**» التي تشكل الوحدة وتميل إلى التعاون والتماهي، تصبح الأسرة مزيجا بين مشروعين اقتضتهما العولمة التي تعتبر استجابة لإرادة الفرد، على حساب الأسرة التي هجرها أعضاؤها في انعزال/ اعتزال (انطولوجيا، وإيتيقا، واقتصاديا)، فلم تعد المعرفة واللغة والمال اشتراكا وممارسة أسرية، إنما أضحى ذلك مفارقة، وخاصية لكل فرد منها، يتعالى/ يتباهى بها عن غيره، ويستقبل بمقتضاها عن بقية العناصر الأخرى المكونة للأسرة الواحدة، ليتشكل المجتمع بمعزل عن الأسرة، ويولد الطفل داخل العائلة غريبا متفردا، يتعلم الحب والقيم من المؤسسات الأخرى، بما يتفق مع ثقافة العالم، وخطابات العصر.

يختلف الفرد داخل الأسرة بما يتمتع به من استقلالية على مستوى العقلي والنفسي، حتى وإن كان يقاسم بقية الأعضاء انشغالات الأسرة ويحاورهم ويعيش معهم، إذ «تتكون الأسرة من أفراد ولكنها لا تستطيع فهم سلوكهم فهما كاملا من خلال دراسة كل فرد فيها على حدة، فلو درسنا سلوك كل عضو من أعضاء الأسرة فلن نقول إننا قدر درسنا سلوك الأسرة، وتشبه «ايفلين سيبرج» Evelyn Sieburg مثل هذه الدراسة بمن يحاول دراسة سيارة وفهمها من خلال تناول كل جزء فيها على حدة «أننا قد نستطيع بهذه الطريقة معرفة بعض الأشياء عن السيارة، لكننا سوف لا نعرف أهم مظهر على الإطلاق ألا وهو معرفة كيف تعمل هذه الأجزاء معا»»(08)، وتقوم الأسرة على تحقيق وظائف اجتماعية ونفسية وبيولوجية واقتصادية في مختلف المستويات، فهي تجتمع في رابطة إنسانية داخل مسكن واحد، يتقاسم أفرادها مسؤوليات مشتركة، يتصرفون بكيفيات معينة تحمل مدلولات متفق عليها، ويسعون إلى التداول على النشطات وفق الاستعدادات الطبيعية لكل فرد منها.

يتدخل الوعي/ الوهم الخارجي لإحراج المفهوم التقليدي للأسرة ويقوم على إخراجه من السياق الاجتماعي نحو العصيان الأسري، ونحو التحدي والتصدي لكل منظومة لا تخدم الفرد في ذاتيته وحاجاته و«.. يظهر أن العلاقات البينشخصية بين الأفراد في أي تجمع و لو كان أسرة نووية صغيرة يخلق شبكة معقدة و متداخلة من العلاقات التي تتراوح من البساطة النسبية إلى التعقيد الشديد، خاصة إذا كانت هناك تحالفات Coalitions داخل النسق الأسري. وإذا أضفنا إلى ذلك أن (و) له علاقات أيضا بأنساق أخرى خارج نطاق النسق الأسري مثل النسق المدرسي و نسق الصداقات و نسق رفاق الرياضة أو أي جماعة أخرى تزداد الشبكة تعقيدا. و قد يضطر النسق بكامله أن يتفاعل مع نسق آخر؛ لأن أحد أفراد النسق له علاقات مع النسق الآخر. و كما أن للحدود بين الأنساق أهمية في حجم وشكل التفاعل بين الأنساق، فإن للحدود الداخلية بين الأنساق الفرعية –داخل النسق

الواحد- أهمية خاصة كذلك» [09]، فالفرد (مستقلا.. تحت ضغوطات العولمة) يسعى إلى إيجاد علاقات فوق/ أسرية (مابعد-ماقبل-ضد ...) ليثبت وجوده، ويؤكد على سلطة الذات على حساب أخلاقيات الفعل الأسري، كل هذه الروابط تعد تبديدا لجهود الأعضاء داخل الأسرة قصد المحافظة على طبيعة العلاقات وتكذيب اقتراح بناء «الأسرة المتماسكة السعيدة» أو مجرد التفكير فيه كمشروع.

ترتبط الأزمات والصراعات الأسرية عادة بموضوعات مثل الطلاق والانفصال والترمل والهجر والخيانة الزوجية والخمور والمخدرات والتغيب لأحد أعضائها المهمين (كالسجن و المرض و الحرب...)، أو فقدان أحد أفرادها بسبب الموت أو الانتحار أو دخول المستشفى أو التكاثر بانضمام فرد جديد مما يربك ويؤثر في تماسك الأسرة، إضافة إلى الزواج من الأجنبية وعمل المرأة ومشكلة تحديد وتقسيم المهام، والفقر والجهل، وغيرها من الأسباب التي شغلت الباحثين في حقل الأسرة من علماء النفس والاجتماع ورجال الدين، غير أن موضوع التواصل اللغوي بين أعضاء الأسرة أصبح يشكل هاجسا مهما ويحظى باهتمام كبير لدى الفئات الإرشادية واللجان القيادية، نظرا لخطورته وصعوبة تحديد أسبابه والوقوف بدقة على نتائجه وآثاره.

تمتد الأسرة (العصرية/ المعاصرة) في ظل العولمة إلى تطلعات مستقبلية، تعيد تفكيك كل موروث أو تدعو إلى إعادة صياغته من جديد، فالانتماء الحديث داخل الأسرة ليس وليد وثائق إدارية أو حمولات عرقية أو حتى تركيبات كيميائية (دموية)، بل يعوز هذا الانتماء إلى طبيعة العلاقات الكبرى التي تربط الفرد بالعالم مباشرة، وليس ببيئته الصغرى، كما أن السلطة لم تعد امتدادا لطقوس أبوية أو قبيلة، إنّما لظروف عابرة، واستراتيجيات قاهرة تتداعي في مرجعيتها إلى أبعاد سياسية ومقومات كونية تناشدها الولاء والانتماء، و«.. أية أسرة سياسية تعبّر عن منظومة عقائدية أو أيديولوجيا تؤكّد نمط حياة متفوق مبتكر ذاتيا؛ إنها تقوم على التقاط هويات وولاءات أعضائها و تعبئهم للتحرك القويم إيديولوجيا. والأسر السياسية ترى الأعضاء أشخاصا ملتزمين بقيمها مؤيدين لأهدافها. إنها تطالب أعضاءها بالامتثال والطاعة. إنها حَصْرية مغلقة على الصعيدين السياسي والإيديولوجي. ثمة أنواع مختلفة كثيرة من أشكال التآلفات السرية السياسية كانت موجودة تاريخيا. غير أن الدول القومية هي الأكثر أهمية في القرون الأخيرة دون أدنى شك. إنها الأسر السياسية الأولية في العالم الحديث. ليست هناك جامعة Universitas سياسية واحدة اليوم؛ ثمة عدد غير قليل منها في الوقت الحاضر»[10]، فسعي أفراد الأسرة إلى عقد تحالفات داخل المنظومة الاجتماعية يؤكد النزعة البراغماتية والنفعية التي تطغى على العلاقات داخل الأسرة.

تتخذ الوثائق والاتفاقيات التي تصدر في زمن العولمة دعامة سيميوطيقية لتحديد مفهوم العلاقات الإنسانية داخل الأسرة، ومثال ذلك الوثيقة الصادرة عن مؤتمر الأمم المتحدة عن السكان والتنمية، الذي عقد في القاهرة في سبتمبر 1994، «.. فالوثيقة نادرا ما يرد فيها لفظ «العائلة» أو «الأسرة»، إلا عندما تشير إلى تنظيم الأسرة، والمقصود بهذا، كما هو معروف، شيء لا يكاد يكون ذا علاقة بالأسرة. وتفضل الوثيقة، كبديل للفظ العائلة أو الأسرة، أن تستخدم ألفاظا ذات معان مرنة للغاية تشمل أي شخصية دون الالتزام بأن يكون أحد الطرفين ذكرا والآخر امرأة، فتحاول الوثيقة قدر الإمكان تجنيب استخدام لفظ «الزوجين» وتفضل عليه لفظ «قرينين» [11] « (Couple)، فانتقلت الأسرة من المفهوم التقليدي (العائلي) إلى المعنى الوظيفي (الزوج+الزوجة)، دون اعتبار للأطفال أو لتعدد الزوجات، أو الأجداد والجدات، بل هذه المواثيق لا تلتزم بالمفهوم العام والأولي للأسرة (ذكر+أنثى+عقد زواج) بل تضع إمكانات جديدة فهي تعتبر كل ألفة بين زوجين (فردين) -مهما كان جنسهما أو نوعهما أو أصلهما أو طبيعة العلاقة التي تجمعهما- نسقا أسريا، يستوي فيه الأفراد في كل شيء، على حساب الفطرة والطبيعة (البيولوجيا) والأخلاق والدين والأعراف التي تسهم في إنتاج المفهوم اللغوي والاجتماعي والنفسي لمصطلح «الأسرة».

تتضح خطورة اللغة الجديدة (New Speak) التي يؤسس لها بما يتفق مع طبيعة العولمة ومقتضياتها، ويسوق ويروج لها في مختلف المحافل والوسائط والأنشطة، باعتبارها نسقا لزجا تذوب فيه كل الفوارق اللسانية، وتلتقي فيه المدلولات الكلامية،و«..يقصد بهذه اللغة الجديدة ما يمكن أن يشيع في المستقبل من طريقة في الكلام و الكتابة، عندما تسود الدكتاتورية في المجتمع التكنولوجي المتقدم، وتفرض على الناس طريقة في التفكير تخدم مصالح الفئة الحاكمة و تستأصل من الفكر الإنساني الأفكار القديمة عن العدل والجمال والحرية ... الخ، وتغرس معاني جديدة تماما لهذه الكلمات و مناقضة للمعاني القديمة و إن كانت لا تزال تعبر عنها بنفس التعبيرات .. أقل ما يمكن أن توصف به أنها لغة «لزجة» لا طعم لها و لا رائحة»[12]، فحين نفكر بلغة واحدة (الخطاب الأحادي) يبدأ البؤس والعقم والشقاء بين أعضاء الأسرة، فالكل يتحدث ليقول، ولا يتكلم ليعبر ويتفاهم ويناقش، فاللغة الجديدة ذات إرسال بلا استقبال، تشبه سيمياء الأوامر والنواهي، موبوء بكيمياء العنف والقهر والإرغام.

أنتجت اللغة الجديدة مستويات أحادية من التراكيب الجاهزة (المسودة)، والصياغات المتداولة (المستوردة)، ونقاشا باردا (عقيما) الغرض منه إيصال (تعزيز) فكر معين، واتجاه مفروض، مع رفض تام لكل مصالحة أو مسالمة، «.. إن كثيرًا من المراهقين و المراهقات قد يئسوا من تواصل أسرهم معهم، و بحثوا عمن يشكون إليه همومهم، و من يثري

عواطفهم ومشاعرهم، و قد وجدوا ذلك على شبكة الأنترنت، و لا يخفى على أحد اليوم أن لدينا عشرات الألوف من الفتيات اللواتي تورطن مع شباب في علاقات مشبوهة، و في الطريق أعداد مماثلة، و كل ذلك بسبب الفراغ العاطفي، و غياب الأهل الذين يرشدون و يساعدون ويُسعدون»[13]، يتضح هذا الاختراق لـ»لغة الأسرة» من خلال التطاول على أخلاقيات القول، ومبادئ الحكي، لا صوت يعلو فوق سلطة الرغبة والحرية الشخصية، انتهى زمن «الأبوية»، وسلطان «الأخ الأكبر»، أصبح الكلام أفقيا، و تلاشى الإنصات، واندثر التصويب اللساني القائم على «قل ولا تقل»، لصالح «أنا أقول (أنت تسكت) إذا أنا موجود (أنت لا تتكلم)».

تسهم «الحوارية» في ترسيخ التفاهمية، وتنمية المثاقفة داخل الأسرة، وربط أعضائها بروافد لغوية، وأخلاقية، ومعرفية فـ«.. الحوار يجعل الطفل آمنا من المفاتحات و المفاجآت غير السارة؛ لأن الأسرة حين ينعدم فيها الحوار الجيد، أو يضعف تتراكم فيها الأخطاء والمشكلات، و لهذا فإن الأطفال يخافون من جلسة طويلة يُنبش فيها القديم و الجديد، و الثابت و غير الثابت، و المتفق عليه والمختلف فيه من تصرفاتهم، و إن استمرار الحوار يقيهم من كل ذلك» [14]، فعلينا أن نعتاد النقاش في كل مناسبة (ومن غيرها)، وأن يكون الحوار قائما على احترام كل الأعضاء، وأن يسمح لكل فرد في الكلام دون تقليص لصلاحية، أو تخصيص لوظيفة .. على أن يكون الإشراف أبويا، أو حتى بمعية أطراف ذوي تخصص سيكولوجي أو سوسيولوجي أو أدبي، أو فلسفي ... لتعم الفائدة بعقلانية ومعقولية إلى حد كبير.

و للمحافظة على مقومات الأسرة في العولمة، نشيد بالمبادرات/ الاعتبارات الآتية:

* تنمية البعد الأسري في المقررات المدرسية والأنشطة والبرامج التدريبية.
* تثمين المبادرات المعرفية والدراسات العلمية والكتابات النفسية والتوجيهات الإرشادية التي تتناول مواضيع العولمة وقضايا المجتمعات.
* نشر الوعي (العقلانية) بخصوص قضايا جوهرية ترتبط بالعولمة: مثل: حرية المرأة، وحقوق الإنسان، وتكييفها بما يخدم خصوصيتنا الدينية والوطنية.
* وضع استراتيجيات «عليا» تقوم عليها كل أسرة، ويخضع لها جميع الأعضاء، لا تنازل عنها، ولا تفريط فيها، حيث تصبح دستورا (ميثاقا=تقليدا) يربط بين أفراد الأسرة الواحدة، ويسهل من عمليات التعارف والتعاون والتصدي لكل وافد غير مرغوب فيه.
* إدراج تطبيقات «الأخلاقيات الجديدة» كمفاهيم وممارسات يومية يتم من خلالها فهم وتحليل ونقد، وكذا اقتراح بدائل سوسيوثقافية، وميثودولوجية-نفسية لأفعال الأشخاص في كل المؤسسات والإدارات والمراكز، قصد مناقشتها وإثرائها.

* تنشيط مبادئ «الحوارية» بين مختلف فئات المجتمع، وأعضاء الأسرة، استباقا لكل مشكلة أو حادثة، قد تؤثر سلبا على هيكلية الأسرة ومكوناتها، وتعويد الأفراد على النقاش، والاستماع، والتعاون، والإسهام جميعا في نهضة الأسرة وتحمل المسؤوليات.
* قبول الرغبات الفردية واعتبارها «حقا طبيعيا»، ومحاولة تصحيحها أو ترشيدها وتصويبها بما ينسجم مع طبيعة الأسرة وخصوصيتها.
* الاهتمام بالتطور التقني والعلمي الذي تفرزه العولمة في كل آنية، وتحيين الأدوات والآليات والمعرفة حتى تتماشى مع متطلبات الأسرة، وحاجات أفرادها، واعتبار هذه اللوازم وسائل لتحقيق سعادة الأفراد، دون أن تتسبب هذه التقنيات في إفساد العلاقات والقيم الأسرية.

ثالثا = العولمة و عنف اللغة [أنا أبصر الصورة إذا أنا أنتمي إلى هذا العالم]:

تقتضي «الحوارية» إيجاد أدوات لسانية، وقواعد أخلاقية توافق بين الأفراد، وترافق حاجات كل فرد على حدا، فـفي«.. عرف كثير من الفلاسفة المعاصرين المشتغلين باللغة وبفلسفتها أن اللغة ليست دراسة ذات بعد لساني Linguistique أو منطقي فحسب وإنما لها أبعادها الفردية و الاجتماعية، هذا إن لم نقل أنها أصبحت هي مركز الاهتمامات البشرية بفعل الخصوصية الجوهرية التي تمثلها كونها هي كينونة الفرد البشري. انطلاقا من هنا فمن بين ما يعنيه «المنعرج اللغوي» عند رورتي و كذلك عند هابرماس أن يتم التخلي عن الامتياز الممنوح للوعي أي الذات المنعزلة، وحيدة المنطق، مرآة الطبيعة، وذلك لصالح تداخل الذوات و تفاعلها»[15]، وسبيل تحقيق هذه «الحوارية» التواصلية يبدأ حين نقبض بوعي وأناسة على رغبات الفرد، بلا عراكية ولا إكراهية، واعتبار مشكلة العضو داخل الأسرة منعطفا (تعاطفا) على الوضعية التي تمر بها هذه الأسرة بما ينسجم مع طبيعة مكوناتها وانتمائها المجتمعي.

تمكنت **اللغة الانجليزية** (بمفهومها التسويقي) من تحقيق مفهوم العولمة اللغوية تحت طائل السياسي والاقتصادي والثقافي والعلمي، في عنف رهيب وسلطة متعالية على حساب كل توازن لساني ممكن واعتدال لفظي وتبادل نطقي، فتحولت إلى لغة استهلاكية ورقمية وافتراضية مفروضة على كل ممارسة أنسية، بل وأصبحت تشكل خطرا على أصول بقية اللغات الأخرى وسلامتها، ورغم كل المحاولات التي تصدرت المحافل الفكرية، والمجالس الأكاديمية لإعادة التوازن اللغوي، وإقامة تحالفات قصد التصدي لهذه الهيمنة، غير أنه لا تراجع لهذه الهيمنة اللغوية، لذا تمسكت بقية اللغات بإرثها الإقليمي، في حدود

الرسميات الحكومية والإدارية، والمنظومات المدرسية والتربوية، والمنطلقات الدينية والثقافية، فلم يعد اللسان الكمي ممثلا لانتشار اللغة، ولم يقدر الكلام الكيفي المرتكز على الأدب والفنون على الوثوب باحترافية إلا في حالات استثنائية أو مناسبات جمالية، ليستعيد أفوله من جديد.

تتواضع الجماهير على أشكال (شكلنة) معينة من الكلمات والرموز والإشارات تكسبها رواجا وحضورا، فاللغة بذلك تحضر من خلال مدى قدرتها على استيعاب الاستعمال، واستقطاب التفاعل، فـ«.. كانت فعالية اللغة الإنجليزية، كلغة اتصال جماهيرية، لقبول الثقافة الأمريكية. فبعكس اللغات الألمانية و الروسية أو الصينية، كانت البنية الأبسط و النحو الأسهل للغة الإنجليزية، بالترافق مع ميلها لاستعمال كلمات أقصر و أقل تجريدا، و جمل أكثر إيجازًا، مؤاتية لمؤلفي كلمات الأغاني، لمبتكري الشعارات الإعلانية، لتعليقات الصور الكاريكاتورية، لعناوين الصحف، و لحوارات الأفلام السينمائية والتلفزيونية...»(16)، فاللغة الحية (La langue vivante) لا تعمل في حياء (timidité)، ولا خجل(honte) بل تتصدر كل مشهد وتعمد إلى التبسيط وتعتمد على الاختزال والقلة والدقة والرقة، دون إخلال في المعنى ولا توتر في اللفظ، لغة تقتصد في كل اعتقاد، ولا تعتقد في كل غنوصية معلنة.

تستند اللغة على [إلى] الهوية في تفعيل مكوناتها، وضبط استراتيجيات توجيه (تقويم) الكلام، وتمثل الخطاب، فقبل المغامرة في تحديث الملفوظ (المنطوق) بما يقتضيه الفضاء الألسني الجديد -لغويات العولمة- لابد من مؤانسة التراث الشفهي الضارب في عمق الزمـ(ا)ن، حتى يتأسس الصوغ مع طبيعة الصيغ، فتستقيم الصياغة كتابيا، إذ «.. من واجب القراءة أن تضع في الحسبان وجوب إعداد نمط أصيل من الحصانة الفكرية و الحصانة الذهنية لدى شباب هذا الوطن، الذي أحاطت به العواصف و الأنواء عبر الفضائيات والسماوات المفتوحة بما يدفع إلى وجوب تعريفه برموز الانتماء و الأصالة و المواطنة مدخلاً فكريًا إلى تحديث الموروث، و بناء جسور الحوار من خلاله تجديدًا وابتكارًا و إضافةً، مع تأصيل الجديد بمنطق الانتقاء و حرية الاختيار بعيدًا عن الضغوط و شبهة التبعية، بما يسمح بالإفادة من منظومة التحديث لإثراء لثقافتنا العربية واقعًا و مستقبلاً بإذن الله» (17)، فلا يمكن عزل اللغة عن بيئة التواصل، لأنها تمثل مرجعية (مصدرية=تصدرية)، وحتى إذا غادر القول أصالته (هويته) إلى هوية دخيلة، أو أنشأ تأزما(=تلازما) وملازمة(=مزاوجة) بين هويتين، يولد تنافرا في استخدام المعاني، وتناحرا في انتقاء الكلمات، فيحضر العنف في كل ممارسة قولية، وفق مستويات لا تؤسس لبلاغة ما، إنما تقتصر على تنفيذ إبلاغية معينة=معنية.

يحاضر جون تاج أستاذ تاريخ الفن بجامعة بنجهامتون حول موضوع «الفوتوغرافيا» قائلا: «..إن معنى و قيمة الممارسات الفوتوغرافية لا يمكن البتّ فيه بمعزل عن ألعاب اللغة المحددة، كما أنه لا يمكن لنطاق واحد من الأساليب الفنية أن تضمن وحدة مجال معاني الفوتوغرافية، فليس للتكنولوجيا أية قيمة ذاتية خارج استخداماتها في أنواع الخطاب والممارسات و المؤسسات و علاقات القوة المحددة، و لابد من خلق المغزى والمكانة وترسيخها من خلال المؤسسات إلا أن عملية التأسيس هذه لا تدل على وجود مجال موحد ولا تعنى أنها نتاج لعملية جوهرية، إن عمليات التأسيس هذه حتى و هي تترابط في سلاسل متسعة تنشأ بشكل محلي و غير متواصل و هي منتجة للقيمة و المعنى، وإذا شهر التحدّي في وجهها فلابد أن يكون من فوق الأرضية نفسها» [18]، فعالم اليوم هو مناسبة للفرجة (المشهد)، للصورة التي تحمل اقتصادا واضحا في اللفظ، واتساعاً مقصودا في الدلالة، فلم يعد الخطاب أحاديا أو حتى مباشرا، بل تحول إلى تركيبة متحركة من الفنون والأصوات والحركات والمصطلحات المتداخلة، فلا عجب أن يحتد الصراع داخل الأسرة بحسب مستويات الخطاب الموظف في حلقات الكلام، فهو لا يبدأ عند عتبة معينة، ولا يصل إلى جدوى ما.

يتولد العنف اللفظي بدءًا من فرض لغة بعينها، وكلمات تقوم على أحادية ملغاة، أو ازدواجية ملغمة، أو صياغة مكررة مستهلكة تستقطب كل المعاني، وتستجيب لغرض الانفلات من إجرائية مفعلة أو استباق ، فـ«.. تحت ظروف الضغوط الخارجية قد يلجأ النسق إلى تركيز و تكثيف الجهد و الضغط على نقطة واحدة مختارة يحسبها قادرة على التحمل، وقد يلجأ النسق إلى بديل آخر و هو توزيع الضغوط على النسق بأكمله، و من الواضح أنه في الحال الأخير يستطيع النسق أن يتحمل درجات أكبر من الضغوط؛ لأنه سيجند كل القوى ويحشدها لكي تقوم بدورها وتشارك في التحمل .. ويجب أن يكون النسق جيد التركيب والبناء لكي يمكن أن يوجد اتصال بيني داخلي جيد. وبدون البناء والتركيب الكفء فإن عدم الانتظام والفوضى ستحدث مما ينتهي أخيرا إلى حدوث تشوش بالكامل في النسق. ولكن مع توافر البناء والتكوين تستطيع الأجزاء الداخلية أن تتصل بعضها ببعض اتصالا تبادليا منسجما ومتوافقا مما يسمح لكل المكونات في النسق بأن تقوم بوظائفها على نحو صحيح، ومما ينعكس بالتالي على أداء النسق ككل» [19]، ويمكن إرجاع استمرار بقية اللغات كالفرنسية أو الاسبانية أو الإيطالية إلى عوامل سياسية أو دينية أو تاريخية، لأن عامل انتشار اللغات لا يقاس بعدد المتكلمين، إنما بالكَمِّ الهائل الذي يستطرد في شبكات التواصل وحقول النشر، وحواضر الاتصالات، وميادين الاستهلاك القيمي لكل مناسبة سيميوطيقية، مما دفع بأصحاب اللغات المشرفة على الزوال والاندثار إلى سن

قوانين ووضع استراتيجيات لضمان سلامة لغاتهم وتقدير تداولها بين شعوبها، حفاظا على الهوية والثقافة المحلية، وبمنع غزو المصطلحات الإنجليزية في وسائل الإعلام.

تتولى فئة الأنتلجنسيا مهمة حماية اللغة والحفاظ عليها من خلال الدعوة إلى توظيف الكلمات بما تحمله من مفاهيم وبناءات، بعيدا عن كل ازدواجية في المعاني أو تهجين باعتبار أن اللغة سلطة .. نافذة على صدامية ما ونافذا إلى كل تعبيرية (إبلاغية وبلاغية)، فـ«.. المواطن الواعي والناشط هو مواطن قادر على التعبير وهو قبل كل شيء يحب لغته. و كما كتب موريس دريون بأنه لا شيء ممكن أن ينفع الدولة في النضال من أجل اللغة القومية «إذا استمرت اللغة داخل الأمة نفسها بالتراجع و بالتلف بالتفتت». و هكذا فإن «العطب أصاب جسد من يحب أن يكون في وسط المعركة من صحافة و تلفاز و دعاية و إدارة وحتى التعليم، فالكل أصابه مرض اللامبالاة و بات كسيحا. لدينا الكثير من هبطت قواهم اللغوية و الكثير من الناس الذين يلفتون قليلاً أو كثيرًا بالرايات الأجنبية من أجل مصالح وهمية». قبل كل شيء هو مسؤول أمام نفسه. إن اللغة هي التعبير عن النفس والطبع. فمن لا يحترم لغته فهو لا يحترم نفسه أي أنه لن يصبح بالتالي محترمًا من الآخرين. نحن المسؤولون بشكل جماعي تجاه سبعة و أربعين بلدا بل خمسين بلدا في القريب العاجل، متحدين بشكل مؤسساتي لأن لديهم قاسم مشترك و هو اللغة الفرنسية و هم يمثلون أكثر من ربع الأمم المتحدة و مستقبلهم مرتبط بمستقبلنا». لأنه علينا أن لا نخدع أنفسنا «المسألة هي قضية استراتيجية بل جيواستراتيجية». يجب أن تحدث ردة الفعل في كل مكان بدءًا من كل واحد منا. «لنرفض أن نشتري المنتجات التي تستخدم لغة دعائية تشوه اللغة الفرنسية، لنرفض أن نستمتع إلى البرامج التي تقلل من كرامتها، لنعترض على كل نشرة غير مفهومة، لنطرد من حياتنا كل كلام غير مفهوم في أي مكان نواجهه لنرمي بالخزي و العار كل أولئك الذين يوسخون و يذلون ويشهون أغلى ما نملك من تراثنا»[20]، فلا شيء يسمو على اللغة، ولا أمر يعلو على اللسان الذي يوحد بين الشعوب ويمتد في التراث ليجتذب القص والقصد في السرد والكلام، وصولا إلى الأسرة التي تمثل العصب الرئيسي لكل ممارسة خطابية أو مناسبة حوارية، مما يستوجب تحسيسها بالدور التواصلي المنوط بها، وخطورة اللعب بالكلمات بلا احترافية،أو باعتباطية ما.

تعد التقنية أكاديمية موازية لإنتاج مقاييس اللغة ومصطلحاتها وذلك بتوجيه وتوحيد ألسنة الناس وإضفاء(/ إطفاء) الجديد على صيغها وتراكيبها، بل أصبح الحاسوب لوحده عالما يجمع أفراد الأسرة أو يفرق بينهم، سواء من قبيل الاهتمام والاشتراك، أو من باب الصراع والإهمال، وكذلك ظاهرة العنف، أو انتشار سلوكات دخيلة على عادات الجماعات، لقد «..صارت ألعاب الفيديو –و من أمثالها لعبة «سرقة السيارات الكبرى»– الأكثر شهرة

بسبب عنفها غير المبرر المتاح مجانًا، لكن الموت و التشويه وجدا سبيلهما أيضًا إلى شاشة التلفزيون العادية؛ فقد توصلت دراسة أجرتها الجمعية الوطنية لشبكة التلفزيون المدفوع تحت اسم «دراسة العنف على شاشات التلفزيون الوطنية» إلى أن العنف حاضر بنسبة 60 في المائة من جميع البرامج التلفزيونية، و أن ثلثي هذه البرامج يجسد شخصيات طالحة تنجو من العقاب، و أن ربعها فقط يوضح العواقب السلبية طويلة الأمد للعنف. و جرى توضيح العلاقة بين العنف المجسَّد على شاشة التلفزيون و السلوك العنيف والعدائي لدى الشباب عدة مرات، وكان أكثرها تلك الدراسة الطويلة الصادرة عن جامعة ميشيجن عام 2003. و يبدو جمود العواطف سبيلاً غير صحي للتعامل مع حقيقة الموت» [21]، كما تحلينا التقنية في قاموسها العالمي إلى تداولية لملفوظات كثيرة وجديدة مثل : «القرصنة»، «الاختراق»، «الجريمة الالكترونية»، «زوال المحظور»، «الشبكات العالمية»، وقضايا التهريب و الخطف و تجارة الممنوعات التي أصبحت تأخذ مدلولات أكثر حدة واتساع وانتشاراً وتسارعاً وتنوعاً واختلافاً، فلا شيء يقف أمام الزحف الرهيب لتبعات العولمة من صدام وصراع، ولمجابهة خطر العولمة على الأسرة «لغويا»، نقترح جملة من التدابير و هي:

1 – إفهام الناس **الفروقات** الاصطلاحية بين العولمة والعالمية والكونية والدولية.

2 – ربط اللغة بالاعتقاد منهجا و تطبيقا، حتى تكتسب اللغة **سلطانا ابستيميا وحضورا أنطولوجيا** بين أفراد الأسرة.

3 – وضع استراتيجيات لحماية **الرصيد اللغوي** للأسرة بما يتفق مع منظومات الوطن وهوية الأفراد، ومراعاة خصوصية المناطق وثقافاتهم المحلية.

4 – تصحيح **المجال الخطابي** بين أفراد الأسرة بوضع ضوابط كلامية ومرتكزات فيلولوجية تتيح التواصل الجيد والسليم والمناسب لكل وضعية جماعية أو فردية.

5 – تنمية التواصل الأسري بين أعضاء العائلة بمتابعة من الأولياء، وتشجيع الأطفال على الإسهام بالرأي والكلام في **مناقشة** قضايا الأسرة.

6 – تشجيع البعد اللساني **المحلي**، والعمل على نشر المثاقفة اللغوية والوعي النفسي والاجتماعي بين أفراد الأسرة.

7 – اقتراح وضع **قاموس** يتضمن كل الألفاظ التي أنتجتها العولمة، مع تحليل موجز لأصولها الأديولوجية وكذا الثقافية ووضع بديل لها يمكن تداوله داخل الأسرة.

8 – **مرافقة الأولياء** لأبنائهم من حيث التأكيد على أهمية تعلم اللغات الأكثر استعمالا من خلال تعلم اللغات بطرق حديثة و بكيفيات علمية و دقيقة و ناجعة، والتشجيع على

اكتساب «**اللغات**»، وتهذيب اللسان، و ترقية الملفوظات والمنطوقات، دون تعنيف، ولا إكراه، ولا تسلط، ولا تغريم، ولا تحقير، ولا تجريم.

9- تنظيم **اجتماعات** (جلسات، لقاءات، حلقات) دورية منتظمة يحضرها كل أعضاء الأسرة، لمناقشة قضايا العائلة ومتطلبات الأسرة بكل اهتمام وحب واحترام، وبلغة مهذبة وسلوكات راقية.

رابعا = العولمة و ديمقراطية السوق [منطق السلع و منطوق الحاجة]:

أنتجت (فرضت) العولمة منطقها الخاص الذي يوزع المهام والأدوار بين مختلف المجالات والفئات، وأضحت واضحة المعالم من خلال ترك بصماتها في جميع الخطابات، فلا حديث بين الناس (وداخل المؤسسات والجماعات) إلا بما يمتد ويتصل بها، فـ«.. نحن نعيش في عصر يمكن أن يسمى بأسماء متعددة، سماه البعض بعصر ثورة المعلومات أو ثورة الاتصالات، و سماه آخرون بعصر «الرأسمالية المتوحشة» أو عصر «نهاية التاريخ» أو «نهاية الأيديولوجيا» أو «عصر صراع الحضارات» أو «المجتمع الاستهلاكي» أو «عصر الجماهير الغفيرة» ... ولكني أضيف الآن أنه «عصر التسويق» فقليل من الأشياء ينمو في عصرنا بسرعة تقارب سرعة التسويق، ولا يبدو أن الإنفاق يزيد على شيء بمعدل يفوق معدل زيادة الإنفاق على التسويق. وأضيف أيضا أنه لا شيء يبدو وكأنه يفسد علينا حياتنا في هذا العصر أكثر مما يفسده التسويق: لا توحش الرأسمالية ولا صراع الحضارات، ولا زيادة السكان وانتشار ظاهرة الجماهير الغفيرة» [22]، فكل الأشياء في زمن العولمة تفسر وفق المعطى التسويقي، حتى الأخلاق أصبحت خاضعة لمنطق «القوة»، و«المصلحة» ، و«المال» ، و«الملكية»، و«الفائدة».. وغيرها من المصطلحات التي تحضر بوفرة وغلبة في الخطاب الأسري، وتؤدي إلى خصومات وصراعات بين أفراد العائلة، لما تحمله من عنف وأنانية ونظرة ضيقة.

تحولت الأسرة تحت مظلة العولمة إلى أيقونة تجتمع فيها كل الممارسات المعرفية والمالية والعلائقية، فلا يمكننا عزل الأسرة عن التماهي (الذوبان) في الإطار السياقي (السوقي) للعولمة، مقابل لحظات من التحرر والانزياح، إذ «.. إن غلبة أي عنصر من العناصر الثلاثة: الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي، الداخلة في عمليّة انبناء الأسرة الواسعة المتحولة، لحظة تركيبها، هي التي ترجّح كفّة بروز وجه معيّن يطبع البنية الأسرية بكاملها. ويعني ذلك: إن غلبة الطابع الثقافي يجعل الأسرة تبدو عصريّة أو محافظة، وغلبة الطابع الاجتماعي يظهرها متوازنة أو متأزّمة و غلبة الطابع الاقتصادي يظهرها غنية أو فقيرة» [23]، لقد كتب

لوغران يقول:«.. يكمن جمال العولمة في قدرتها على تحرير الناس من استبداد الجغرافيا. فهي تعني أنه من غير المفروض على المولود في فرنسا أن لا يطمح إلا للتكلم بالفرنسية، ولا يأكل إلا أطعمة فرنسية، ولا يقرأ إلاّ كتبا فرنسية، ولا يزور إلاّ متاحف فرنسية، وهلم جرا. فالافرنسي، بنفس قدر الأمريكي، يمكنه قضاء عطلاته في أسبانيا أو فلوريدا، وأن يلتهم السوشي أو السباغيتي للعشاء، وأن يحتسي الكولا و أن يشاهد عرضًا هوليوديًا مدويًّا أو حفلة تؤديها فرقة «المدوّر اللاتينية»، وأن يستمتع إلى موسيقى البانغرا أو الراب، وأن يمارس اليوغا أو الكيك بوكسينغ، وأن يطالع مجلة «إل» (Elle) أو «الإكونوميست» (The Economist)، وأن يكون لديه أصدقاء من جميع أنحاء المعمورة»[24]، فالحرية التي تروج لها العولمة هي حرب ضد الثابت الأصيل، وكسر لمناعة ومرتكزات التراث، لا شيء يصمد أمام اتساع الصورة وانتشار الصوت، وتسارع المعلومة، وتسرب الخبر، و«.. الحق أن منجزات الثورة التكنولوجية الكبرى في مجالات الاتصال السمعي البصري أصبحت عاملاً فعالاً في تسريع وتوسيع عملية انتشار ثقافة العولمة، بل وفي صناعة مكوّناتها أيضا. وقد ترتّب عن هذا الانتشار تغيير عديد من قيم وأخلاقيات وتقاليد كثير من المجتمعات والشعوب، وفي نهاية المطاف نشأت ظاهرة اجتماعية جديدة تتمثل في النزوع المتزايد إلى التجانس والتنميط الثقافي على مستوى العالم بأسره» [25]، فالثابت لا يصمد في عالم التحولات الكبيرة، فكلما استقامت الأسرة على سلوك معين، إلا وجدت نفسها بعد وقت وجيز في مأزق آخر، وثقافة جديدة، فتسارع المعلومات وتكاثف المعارف يرجحان كفة الدخيل على الأصيل.

تكتسب الأسماء (التسميات) مفاهيم جديدة في عالم العولمة، فكل لفظ يستقل بدءا بحروفه ليؤول إلى ديمقراطية لسانية متحررة من ضغوط النحو وهيستيريا الإيقاع، «.. ويبدو اليوم أنه من المستحيل عمليا على كل بلدان العالم الثالث، الانخراط بشكل حر وديمقراطي ضمن عملية التغيير، بدون مباركة «القوة العظمى الوحيدة» أو أي «قوة إقليمية ذات أهمية»، فعولمة الدمقرطة تعني تقوية آليات التوجيه عن بعد [أو المراقبة عن بعد] لضمان استمرارية أنظمة خاضعة، تنادي بالديمقراطية على المستوى الصوري، ولكنها تمارس الاستبداد عمليا بموافقة «عالمية»» [26]، ولا نريد لهذه الديمقراطية أن تمتد باعتباطية وسذاجة، تفتك بكل ممارسة معرفية وأخلاقية ومالية، تنفتح على شروخ وإرهاصات، لتدعها منبهرة بلا قيد ولا إحكام، «..إن الإنسان الاقتصادي ليس مرتبطا بأية دولة، ولكن من وجهة أخرى، أن التقديرات الإحصائية تستند إلى تصور الدولة القومية، أي على صعيد الماكرو اقتصاد تعتبر الدول الحدود التي تتعلق المقارنة بها، ويصار إلى الانطلاق من مبدأ كون الدولة القومية هي الترتيب المؤسساتي الطبيعي لإنتاج سلع جماعية. والمؤشرات التي تنتج عن ذلك يمكن أن توصل بسهولة إلى تأويلات خاطئة»[27]، ما نحتاجه هو ديمقراطية

الاحترام والاستماع والحوار، لا ديمقراطية الخطو في كل مكان وزمان تحت طائل حرية الرأي والحق في الكلام، لابد أن تحضر الديمقراطية لترشيد مقومات الإنسان، وترسيخ تقاليد الجماعة، ودعم اقتصاد يقوم على إتاحة الفرص،لا على سلب المدخرات واستغلال المكتسبات، بعيدا عن تفعيل وتبرير ثورات الخبط والقرع في المجهول.

تستقي العولمة كيانها المفاهيمي من الاقتصاد بشكل كبير، فأول مباحثة هي المال، «..العولمة تعني على الصعيد الاقتصادي تحرير التجارة وزيادة حركة تدفق رأس المال عبر الحدود وعلى الصعيد السياسي هي زيادة التنسيق بين الحكومات والإيمان بفكرة المواطن الكوني وفي الوقت نفسه زيادة التنسيق بين المجموعات غير الحكومية عبر الحدود والإيمان بفكرة المجتمع المدني العالمي، أما على الصعيد الثقافي فتعني زيادة التفاعل بين الثقافات وتجاوز سيطرة الدولة أو السلطات الثقافية الراسخة وترافق الثورة التكنولوجية والأنترنت المرتبطة بعلاقات عابرة للزمن والفضاء والهوية. لكن هل العولمة قدر؟ متى وكيف ستنتهي العولمة؟ وعلى أي أساس ومعيار يمكننا أن نحكم أنها انتهت؟» [28]، وقد تتخذ العولمة مفاهيم مغايرة بما ينسجم مع طبيعتها في التشكل والتطبيع، والصيرورة، فكلما وقفنا على تعريف لها، حتى نفاجئ بإمكانات جديدة ومعطيات مختلفة، تعيد نسج السياق استجابة لمقتضيات السوق العالمية، فكل الطرق تؤدي إلى تمجيد «العولمة»، لتصبح بذلك اسما يليق بكل ما يحلم به الإنسان ويدافع عنه بشراسة، ويتعاطاه بشراهة، ويعشقه بقوة وإخلاص، وهو لا يحسن له وصفا ولا تعريفا ولا فهما.

تدفع العولمة بالأسرة إلى عالم السوق، بمفهومه الاقتصادي العام، والعالمي، وبمنطوقه المحلي الضيق (الملغى)، سواء ارتبط ذلك بفرص العمل، أو باقتناء الحاجيات، فتحول السوق من محلات للبيع والشراء إلى متنزهات لالتقاء الناس، وتبادل الزيارات، والخوض في مستقبل العائلات، والجماعات، فالعولمة قذفت بالعائلة إلى الاستهلاك ودنيا السلع كلاما (المجال الاصطلاحي) وموضوعا وممارسات، وأخلاقيات، وهذا أدى إلى«.. تفكيك متزايد للعائلة إلى أجزائها، و تشجيع كل جزء منها على الاستقلال، تحت شعار مزيد من الحرية، و التخلص من أية قيود، و الحقيقة أن المقصود هو جر الجميع إلى الوقوع في فخ «السوق»، أي مزيد من البيع و الشراء» [29]، فأصبحت الأسرة شتاتا من الكلمات المتقاطعة بلا معنى، يوحدها الصمت، ويحييها الصراخ والصخب والصداع، لا نقاش مثمر ولا حوار مثمن محكم، كل فرد يعيش في عالمه الخاص، وفق قنوات تواصل مشفرة، وأدوات اتصال ملغمة.

أتاحت العولمة مجالات متنوعة من الممارسات الخطابية والمستويات الفكرية واللغوية، فالأسرة العربية عامة والجزائرية خاصة، يعيش أفرادها معا في بيت واحد، بل وفي غرفة

واحدة بسبب أزمات السكن، وظروف المعيشة، وضغوطات الحياة، لكن لكل فرد منها اهتماماته، وأدواته، وآلياته التي يستخدمها في تحقيق وجوده، وكلماته التي يعبر من خلالها عن استقلاليته، ويحدد من خلالها مسافات الحركة وأدبيات الحوار، وموضوعات الكلام، فلكل عضو نافذته الخاصة التي يطل من خلالها على العالم الفسيح، ولكل زاويته التي يرى منها فضاءه الخاص، الذي لا يتسع لغيره، وينقل لنا هذا الجدول تلك المفارقات في الاهتمامات والمجالات التي تؤسس لمقاربات فردانية داخل الأسرة الواحدة :

أعضاء الأسرة	نوع البرامج (تلفازية،حاسوبية)	المجال الخطابي و اللغوي
الأب	الأخبار، أفلام الخيال العلمي و الحرب، المسرحيات، كرة القدم	السياسة، الاجتماع، الاقتصاد، الأعمال، الواقع، الرياضة ..
الأم	برامج الطبخ و المسلسلات الاجتماعية	الاجتماع، النفس ..
الابن الراشد	مباريات في كرة القدم، أفلام أكشن و عنف وجنس	الرياضة، الموضة، الموسيقى ..
البنت الراشدة	برامج الموضة و الصيحات و الأكسسوارات والمواد التجميلية	الموضة، الصحة، الجمال، اللباس، الموسيقى ..
الأطفال الصغار	أفلام كرتونية، ألعاب، قنوات الأطفال الخاصة	التسلية، الترفيه، اللعب، التعلم، الأغاني ..
الجد و الجدة	أفلام و أشرطة تاريخية قديمة و دينية	التاريخ، الحنين (النوستالجيا) ..

وعند تتبع ما يحوزه أعضاء العائلة من هواتف نقالة، نجد ذلك التباين بين الأفراد، فلكل واحد ذوقه وغايته في التعامل مع هاتفه الخاص، بما يوافق طبعة ومزاجه وأسلوبه في اقتناء وسيلة التخاطب مع الآخرين، انطلاقا من سؤال «**ما هي المواصفات التي تريدها أن تتوفر في هاتفك النقال (الجوال)؟**»، **وما هي نوع التطبيقات التي تقبل عليها في الحاسوب أو الجوال؟** ولنا في هذا الجدول نماذج من هذه الاستعمالات بما يؤكد اهتمام كل فرد من الأسرة الموسعة (العائلة) .. وتعد هذه المواصفات مرجعيات للخطاب المتنوع والمتعدد الذي يسود

الأسرة، ويباعد بين أفردها في الاهتمامات والمناقشات ومستويات اللغة المعتمدة.

أعضاء الأسرة	نوع الجهاز / مواصفاته	المجال الاستعمالي
الأب	كلاسيكي، يعكس الوضعية الاجتماعية	أداة عمل و تواصل
الأم	عادي، المهم أن يضمن الوظيفة التواصلية	استهلاك غير محدود
الابن الراشد	غالي الثمن، جديد، إمكانات موسعة، الترقية	التباهي، الاختلاط، المظاهر
البنت الراشدة	جمال الشكل، اللون، انسجام الحجم	الشكل، الاهتمام، الفيديوهات
الأطفال الصغار	كبير الحجم، إمكانات السماع و المشاهدة	التسلية،الترفيه، اللعب، الصور
الجد و الجدة	بسيط، غير مكلف	التوفير، التواصل

تؤسس الأسرة حواراتها على مقتضيات السوق، من حيث الجديد الذي يعرض، أو الصيحات التي ترافق كل منتوج، وعالم الموضة الجاثم في كل مكان، وتستسقي منه كلماتها، وانشغالاتها اللغوية، وكذا اهتماماتها النفسية والاجتماعية، مما أدى إلى نشوء ثقافات جديدة الاختصار والسرعة، فـ«.. التقدم التقني السريع قد أقام تحالفًا مع الثراء الواسع على إضعاف الروابط الأسرية، وتقليل فرص تواصل الأسر وتحاورها، و ذلك لأن التقدم التقني في مجال الاتصال والبث الفضائي، قد وفّر لكل فرد من أفراد الأسرة إمكانية الانعزال عن أسرته، والتواصل مع العالم الخارجي» [30]، فلا عجب أن يتواصل أفراد الأسرة الواحدة داخل البؤرة الصغيرة فيما بينهم عن طريق تقنيات الإتصال الحديثة (مثل الأنترنيت، والجوال ...) دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التنقل بين المطبخ وغرفة النوم، أو غرفة الجلوس، لذا «.. لابد من اتخاذ إجراءات وقائية ليس للاحتراز من الظاهرة، بل للتقليل من مخاطرها العاتية، سواء على الدول أو المجتمعات و الخصوصية والقيم و الأخلاقيات» [31]، فلا يمكن تلخيص خطورة العولمة في اضطراب العلاقات الأسرية، بل في استـ(حالة) إعادة بناء الأسرة بعد تسرب العنف داخلها، واضطراب مستويات الخطاب بين أفرادها، فلم يعد للأب ذلك السلطان الذي يرجح من قراراته، ولا الصولجان ليدعم توجيهاته، ولا فرق

بين كبير وصغير في تدبير الحوار وانتقاء الملفوظات، لا من حيث النبرة وحدّة الصوت، ولا من حيث دقة المعنى، واستباق الخوض، وفق منطق «أنا أتكلم إذا أنت موجود» فالكل في ثرثرة وفوضى وفضفضة، الكل يتكلم، لا أحد يستمع ... الكل على حق ... لا أحد يبتغي أن يتنازل لغيره أو يرتقي ليفهم الآخر ... عالم من الجنون البليد .. «يتكلم، يحلم، ينام، يستيقظ ... لا شيء يتغير».

اقترح إمانويل كانط (Emmanuel Kant 1724–1804) على معدي المخططات في التربية أن يضعوا نصب أعينهم طبيعة العالم الممكن، المستشرف .. فعلى المختص في التربية والبرامج والمناهج :«..أن لا يرى الأطفال فقط بحسب حالة النّوع البشري الراهنة، بل بحسب الحالة الممكنة التي تكون أفضل [منها] في المستقبل، أي وفق فكرة الإنسانية و غايتها الكاملة. و هذا المبدأ على قدر كبير من الأهمية. فعادة ما يربِّي الأولياء أطفالهم بهدف تكليفهم وفقًا للعالم الرّاهن فحسب، مهما كان فاسدًا، بينما يجب عليهم بالأحرى تمكينهم من تربية أفضل، حتى يمكن لحالة أفضل أن تنبثق عنها في المستقبل» [32]، وهي دعوة للأسرة المعاصرة قصد تجاوز النجاح المزعوم والمبالغ فيه، وأن تتخذ هذا الاهتمام اتجاها كونيا (أو عالميا) يقوم على التضحية بالنرجسية المطلقة من أجل الخير الكلي، الذي تنعم فيه جميع الأسر.

يسعى الإنسان في زمن العولمة إلى إرضاء نزواته إلى أقصى حد، إلى تجريب الممنوع، إلى تجريد الرغبة من قدسيتها، إلى تشيئها، حتى تصبح إجراءً قابلا للقياس، للإعادة (والاستعادة)، فهو يعيش في سوق مفتوح على كل احتمال فـ«.. العصر الحديث هو عن حق عصر نهاية التاريخ، فالحضارة الحديثة المرتبطة بآليات السوق، وبالعرض والطلب، هي حضارة مرتبطة بآليات بسيطة لا تعرف تركيبة الإنسان و تنكر مقدرته على التجاوز، فهو إنسان ذو بُعد واحد (يعيش في مجتمعات أحادية الخط)، وعقله أداتي (يغرق في التفاصيل والإجراءات، ولا يمكنه إدراك الأنماط التاريخية أو تطوير وعيه التاريخي). فالسوق (والمصنع) بآلياتها البسيطة يتطلبان إنسانًا طبيعيًا ماديًا بسيطًا، ليست له علاقة بالإنسان الإنسان، الإنسان المركب. والمجتمعات الاستهلاكية التي لا تحكمها إلا آليات العرض والطلب والاستهلاك والإنتاج تزعم أنها قادرة على إشباع جميع رغبات الإنسان المادية والروحية من خلال مؤسساتها الإنتاجية والتسويقية و الترفيهية» [33]، فأمام كل محاولة استهلاكية لا فرق بين استقلال واستعباد، وهذا ما يزيد من حيرة الإنسان أمام وفرة أسباب الترفيه، وكثرة منافذ التسويق، بل تحوَّل الإنسان إلى طرفٍ موازٍ .. ومقابلٍ لهذا الاستهلاك، مما يصعب عليه إيجاد بديل واضح ومباشر لخطابات الـ«لا»، التي أصبحت

تعني «المكبوت»، «المسكوت عنه»، «المحرم» «المقدس»، وغيرها من التوصيفات التي يلحقها بالدين والأخلاق وقضايا التراث.

تستحوذ فكرة الكل في الواحد «All in One» على الكثير من مقتضيات العيش، وضروريات الحياة، لأنها تمثل نظرة شاملة داخل بؤرة ضيقة لكل جوانب الأشياء، فنحن نعيش في عصر يرابط بين الاتساع والدقة في فضاء واحد، وهذا ما يجعل الكلام عن الحيز مرادفا (مرافقا) للحديث عن الفضاء المتسع، فلم يعد الإنسان ابن بيئته وفقط، بل أصبح معني بكل ما يحدث في العالم، وذلك بسبب التقنية التي تتيح له الإبحار في حدب وصوب، مما يؤثر على المجال اللغوي والخطابي داخل المجتمع، فليس غريبا أن يعجز الإنسان المعاصر عن استيعاب كل شيء، رغم معرفته بأشياء كثيرة، وليس عجيبا أن يجهل أمورا أخرى، كما أنه لا يستطيع أن يكلمك في كل ما تستفسره فيه، فلا تلومه إذا فهم أمرًا ولم يحدس غيره، لأن الفهم لا يقاس بالمعرفة المطلقة، وإنما بمدى توظيف اللغة للتعبير عن هذا الفهم، واللغة لا تتعيّن بوفرة كلماتها، إنما باستعمالاتها، وبما نحتاجه منها في حياتنا الخاصة وعملنا واهتماماتنا، فعندما قابل العالم ألبرت أينشتاين Albert Einstein الممثل تشارلي تشابلين Charlie Chaplin (1889–1977)، قال أينشتاين (1879–1955): «أكثر شيء يعجبني في فنك أنه عالمي ... أنت لا تتكلم أي كلمة و العالم كله يفهمك»، رد تشارلي: «هذا صحيح! و لكن أنت شهرتك أكبر من ذلك ... العالم كله معجب بك، مع أنه لا أحد يفهمك!»، فهذه المحاورة تحمل دلالة واضحة بأن اللغة قد تحولت إلى سوق للكلام، وإلى بضاعة للعرض، نأخذ منها ما يلزمنا لمجاراة الحال، ونتعفف عن ما تبقى لحين أو لمآل .. حسب مقتضى الحال.

استنتاج:

إن الحديث عن خطورة العولمة على الأسرة وعلى الخطاب التواصلي بين أعضاء العائلة، لا يدعونا إلى مقاطعة مؤسسات العالم، إنما يدعونا إلى العمل على إيجاد استراتيجيات لمقاومة كل دخيل لا ينسجم مع المنظومة اللغوية والثقافية والدينية والقومية لأسرنا، يدعونا أكثر إلى ترشيد عولمة الفرد الواحد داخل الأسرة والجماعة وتوجيهه إلى السلوك العام والتطبيقات الأخلاقية الجديدة، وكذا التحول إلى إنتاج بدائل تكون في مستوى التحديات، فليس المهم أن نعترف بخطر الوافد، ولا أن نعترف أكثر بضعف إرادتنا، إنما المهم أكثر أن نبدأ الآن قصد فهم ونقد وإصلاح طبيعة وأصول الممارسات التي تحيط بنا من كل جانب، فبدل أن نلعن الظلام علينا أن نشعل شمعة لكي نتدرب على المشي من جديد على مسلك لنا فيه نصيب واختيار، ولنا عنه استشراف و استباق.

الهوامش :

1- المجلة الإلكترونية «يواس أيه»، ملف: قضايا عالمية «تحديات العولمة»، واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية، فبراير 2006، ص4.
2- الخويلدي زهير، معان فلسفية، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2009، ص139.
3- إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2012، ص25.
4- أولريش بيك، السلطة و السلطة المضادة في عصر العولمة، تر: د.جورج كتورة، د.إلهام الشعراني، المكتبة الشرقية بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص77.
5- المهدي المنجرة، عولمة العولمة، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، دط، 2000، ص6.
6- روبرت جاكسون، ميثاق العولمة «سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول»، تعريب: فاضل جتكر، مكتبة العربيكان،الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003 ،ص34-35.
7- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 2004،ص41.
8- كفافي علاء الدين (د)، الإرشاد و العلاج النفسي الأسري «المنظور النسقي الاتصالي»، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص83.
9- المرجع نفسه، ص105.
10- روبرت جاكسون، ميثاق العولمة «سلوك الإنسان في عالم عامر بالدول»، مرجع سابق، ص306.
11- جلال أمين، العولمة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2009،ص158.
12- نفسه، ص160.
13- بكار عبد الكريم (أ.د)، التواصل الأسري «كيف نحمي أسرنا من التفكك»، دار السلام للطباعة و النشر والتوزيع و الترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص20.
14- المرجع نفسه، ص16.
15-جديدي محمد (د)، ما بعد الفلسفة: مطارحات رورتية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص191-192.
16- المجلة الإلكترونية «يواس أيه»، ملف: قضايا عالمية «تحديات **العولمة**»، مرجع سابق، ص27.

17- التطاوي عبد الله (د)، اللغة و المتغير الثقافي «الواقع و المستقبل»، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص15.
18- أنطوني كينج، الثقافة و العولمة و النظام العالمي، تر: شهرت العالم، هالة فؤاد، محمد يحيى، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، دط، 2005، ص235.
19- كفافي علاء الدين (د)، الإرشاد و العلاج النفسي الأسري «المنظور النسقي الاتصالي»، مرجع سابق، ص95.
20- ميشيل بينيون-موردن، أمريكا المستبدة «الولايات المتحدة و سياسة السيطرة على العالم (العولمة)»، تر: د.حامد فرزات،إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية،دط، 2001،ص226.
21- كريس إمبي، نهاية كل شيء «من الإنسان إلى الكون»، ترجمة: إيناس المغربي، مراجعة: محمد فتحي خضر، دار كلمات للترجمة و النشر، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص329.
22- جلال أمين، العوملة، مرجع سابق، ص153.
23- كريستين نصار (د)، مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطّفل «دراسة سيكولوجيّة تتناول الطّفولة بشكل عام»، مطبعة جروس برس، طرابلس، لبنان، ج5، ط1993،1، ص66.
24- نقلا عن: المجلة الإلكترونية «يواس أيه»، ملف: قضايا عالمية «تحديات العولمة»، مرجع سابق، ص5.
25- عبد الرزاق الدوّاي (د)، الفلسفة في عصر العولمة و تكنولوجيا المعلومات و الاتصال الجديدة، مقال منشور في مجلة عالم الفكر، مجلة محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، المجلد 41، العدد2، أكتوبر/ ديسمبر 2012، ص173.
26- المهدي المنجرة، عولمة العوملة، مرجع سابق، ص15.
27- أولريش بيك، السلطة و السلطة المضادة في عصر العولمة، مرجع سابق، ص78.
28- الخويلدي زهير، معان فلسفية، مرجع سابق، ص140.
29- جلال أمين، العولمة، مرجع سابق، ص163.
30- بكار عبد الكريم (أ.د)، التواصل الأسري «كيف نحمي أسرنا من التفكك»، مرجع سابق، ص29.

31- سيار الجميل (د)، العولمة: الخلفيات الفلسفية و المواجهات الفكرية، مقال منشور في مجلة عالم الفكر، مجلة محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، المجلد 41، العدد3، يناير/ مارس 2013، ص158.
32- إمانويل كانط، ثلاثة نصوص «تأملات في التربية، ماهي الأنوار؟، ما التوجه في التفكير؟»، تعريب وتعليق: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2005، ،ص19.
33- عبد الوهاب المسيري (د)، الصهيونية و النازية و نهاية التاريخ «رؤية حضارية جديدة»، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 2001، ص267.

دور المعالم الأثرية في إرساء التنمية بالجزائر.

The role of historical monuments in the establishment of development in Algeria.

بن زغادي محمد، أستاذ بقسم علم الآثار، جامعة تلمسان

الملخص:

تعتبر المعالم الأثرية بما تحمله من بعد تاريخي و حضاري شواهد ملموسة عما أبدعه الأسلاف في تنمية وعائهم المكاني،بما يتناسب مع ظروفهم المعيشية،و لحد هذه الساعة لا تزال المعالم الأثرية التي كانت بمثابة مرآة عاكسة لمدى التقدم و الرقي الحاصل آنذاك،تساهم بشكل مباشر و غير مباشر في دفع قاطرة التنمية بمختلف المجالات،هذه الأخيرة التي تسعى لتحقيقه جميع الدول،بما في ذلك الجزائر،التي عملت على توفير الجو الملائم لذلك،نظراً لكونها أي التنمية عملية تحسين وتغيير وضع إلى وضع أحسن منه،لذلك يمكن القول أنها تغير مقصود يستوجب تعبئة كافة الطاقات و الإمكانيات،ينحصر الدور الذي ستتناوله هذه الأوراق في الدور الثقافي و الاجتماعي وأخيراً الاقتصادي.

Abstract :

Is no longer the concept of monuments and limited to historical sites in being the ruins of the distant past, but it became in the eyes of our modern society humanly heritage and mirror reflective of the extent of progress and prosperity, which was the case when the ancestors, and the link between the past of the nation and its present, and most of the confirmed its presence through direct contribution to the embodiment of the process of development of various cultural, social or economic forms, cultural Its role is to limit the impact of the phenomenon of globalization, which means the dominance of one culture to the world as a whole, it's also refreshing souls seeking renewal and change to the extent that the thinker Bevarnos described as «food Spirit and soul «: The social role in being a collective memory of the nation as a whole, not to mention being the source of a sense of belonging, The economic role is in the money resulting from

the tourism industry which is the twenty-first century industry , only a description of the World Tourism Organization in its report issued in 2003 made monuments significant advantage in the global economy, making it a serious competitor to petroleum and telecommunications industries in the late twentieth century.

مـنذ القـدم ارتبط بناء شخصية الإنسان في أبعادها الأربعة :البدنية،الفكرية،النفسية و الروحية بالعمران روحاً و مادةً،فعلماء النفس ذهبوا في أغلب المواقف إلى إرجاع مشاكل بناء الشخصية إلى المسكن الذي نشاء فيه ذلك المرء،لأن الجسم البشري يحتاج إلى متطلبات أربعة ،أولاً بدنية:تتمثل في الشمس والهواء والمتعة البصرية،ثـانياً:فكرية تتمثل في الهدوء والتركيز،ثـالثاً:نفسية:تتمثل في الاستقرار والطمأنينة والسكينة رابـعاً:روحية:تتمثل في الخشوع والإيمان،لذلك اهتمت جل الحضارات الغابرة بالجانب المعماري،فحضارة القرن الحادي والعشرين ركزت اهتمامها على العمارة،حيث استفادت من نتاج تجارب وخبرات الحضارات الغابرة في جميع الميادين، فالمبادئ التي اعتمدتها حضارة المصريين والرومانيين واليونانيين منطلقاً في مجال البناء والتشييد تحقق به تطوراً معمارياً في الحضارات اللاحقة كما أن نظرة المنظمات الدولية نحو المخلفات المادية قد تغيرت وأصبحت في عرف عصرنا تراثاً إنسانياً ملكاً للبشرية جمعاء،ونتيجة لليقظة الثقافية أصبح حماية التراث المادي من الأولويات التي تسهر عليها منظمة الأمم المتحدة،حيث عقدت المؤتمرات وسطرت القوانين والتوصيات من أجل الحفاظ الدائم على المعالم الأثرية لتبقى همزة وصلٍ بين ماضي الأمة وحاضرها،وإذا مـا تصفحنا هذا العالم،نكاد لا نجد بقعة تخلو من بصمة الأسلاف،ففي الجزائر مثلاً تتواجد العديد من المعالم الأثرية ذات الأصل المختلف من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الإسلامية مروراً بالفترة الرومانية والوندالية والبيزنطية مؤكدة على مدى الرقي والتطور الذي وصلت إليه تلك الحضارات كما أنه توجد سبعة معالم مصنفة في لائحة اليونسكو كتراث عالمي وهي:قلعة بني حماد،حضيرة الطاسيلي ناجر،وادي ميزاب بغرداية،تيمقاد بباتنة،القصبة بالجزائر العاصمة،جميلة بسطيف،تيبازة بحوضها الفينيقي،وإلى فترة قريبة أصبحت المعالم والمواقع التاريخية منبعاً وركيزة لأي بلد من بلدان العالم في تحقيق النمو ودفع قاطرة التنمية المستدامة،هذه الأخيرة التي شاع وإن كانت الاستدامة تعني الاستمرارية لكنها أوسع دلالة إذ تعتبر رؤية شاملة إستراتيجية لا تقع في وحل الشره وضيق الأنانية وهي كذلك الاستعمال المثالي لجميع مصادر الحياة للمستقبل البعيد مع التركيز على حياة أفضل في الحاضر والمستقبل،والسؤال الذي يبقى مطروحاً ما هو الدور الذي تلعبه المعالم الأثرية من أجل المساهمة في عملية التنمية بالجزائر؟

أ-الـــدور الثـــقـــافي:

لطالما كان تراث الأمم ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافية، وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها،ولطالما كان التراث الثقافي للأمم منبعا للإلهام ومصدرًا حيويا للإبداع المعاصر ينهل منه فنانوها وأدباؤها وشعراؤها، و كذلك مفكروها وفلاسفتها لتأخذ الإبداعات الجديدة موقعها في خارطة التراث الثقافي، وتتحول هي ذاتها تراثا يربط حاضر الأمة بماضيها، ويعزز حضورها في الساحة الثقافية العالمية،لذلك تعتبر المعالم الأثرية بما تحمله من بعدٍ تاريخي و جمالي شواهد ملموسة عمّا أبدعه الأسلاف في مضمار الفن المعماري،إذ تكتسب المقومات الأثرية قيمة ثقافية منفردة حسب كل أمة وذوقها الفني وانتمائها العرقي، ولقد عرف الأنتربولوجي تايلور«Taylor»الثقافة أنها ذلك الكل المركب من العقائد والفنون والأخلاق والعرف وسائر القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع([1])،كما عرفها « راد كليف براون« Rad kliff Braoune بقوله أن الثقافة هي العملية التي يكتسب من خلالها الفرد المعرفة والمهارة والأفكار والمعتقدات والأذواق والعواطف وذلك عن طريق الاتصال بأفراد آخرين أو من خلال أشياء أخرى كما أنه يكتسب الأعمال الفنية. ويمكن التمييز بين نوعين من الثقافة الأولى مادية والتي تدل على كل الماديات التي يصنعها الإنسان في المجتمع لسد حاجياته.

أما الثـانية فهي الثقافة اللاّمادية أو المعنوية وهي تتمثل في الأفكار والمعتقدات والعلوم والفنون والنمط المعيشي، هذا الأمر الذي نستشفه من خلال زيارة المعالم الأثرية التي تعتبر متعة ذهنية رفيعة فليست مشاهدة الآثار أو دراستها مجرد وسيلة للهروب من الحاضر أو التنقيب عن الماضي فقط ولكن هي بمثابة خطوة مهمة لفهم أنفسنا فبالتطلع إلى الوراء على طول الطريق الذي قطعته أمة من الأمم يكون فهمها أكبر لمستقبلها. وذلك باعتبار المعالم الأثرية سجلاً مرئياً بالغ الدقة، وتُعد الرغبة في ارتياد تلك الشواهد الأثرية المادية من قبل الإنسان قديمة، فقد قطـع هيروديث آلاف الأميال للبحث بحماس عن تاريخ الشعوب التي اتصل بها[2] وواصل الإنسان تلك الرغبة حتى الوقت الحاضر، كما أن المعالم الأثرية تعمل على تعميق الانتـماء الـقـومي، وتساهم في بناء الشخصية الإنسانية إضافة إلى أنها شواهد محسوسة تعين الباحث على دراسة تطور الحضارات والفنون عبر الزمن وهي مادة خصبة للبحث العلمي الأثري وكذلك لإغناء المعلومات التاريخية، لأنها تلقي الضوء ساطعاً على المستوى الحضاري والثقافي الذي عاش فيه الإنسان إبان فترة من الزمان مجسدة بذلك صورة للإنسان على المستوى الفكري والعقائدي وإمكانياته المادية وذوقه الفني في تشكيل عمائره، كما أنها لا تخلو من الموضوعية التي قلما اتصف بها مؤرخ أو غيره، لذلك كانت الوسيلة التي تضمن فهماً أكبر وصورة ذهنية أوسع عن إجمالي المعتقدات

والانطباعات والأفكار التي خلفها القدامى، وهي تعمل كذلك على الترويح النفسي والجسدي ليعود المواطن إلى عمله أكثر نشاطاً وحيوية،ومن خلالها تلتقي ثقافات الشعوب لتنعش النفوس الباحثة عن التجديد والتغيير لدرجة أن وصفها المفكر بيفارنوس أنها « غذاء الروح والنفس»[3]،كما أنها تعزز من تجسيد الهوية الثقافية هذه الأخيرة مأخوذة من « هو « بمعنى جوهر الشيء وحقيقته إنها كبصمة الإنسان التي يتميز بها عن غيره. وتُعرّفُ الهوية أيضا بمعنى «التفرّد « فالهوية الثقافية تعني التفرّد الثقافي بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوكٍ، وميلٍ، وقيم، ونظرةٍ إلى الكون والحياة.إن مفهوم " الهوية " لا يجب أن يؤخذ بالبساطة العفْوية، إذْ لا يزال يلفه الكثير من الغموض فهناك من المفكرين مَنْ يصل به الأمر إلى حدّ القول بأن الهوية لا وجود لها أصلا، ذلك أن الهوية الشخصية تُفترضُ أن يبقى الإنسان نفسه على مرّ الزمن،أمّا الهوية الجماعية فهي أكثر إشكالية إذ تفترض(التماثل التام) في:(نحن) الجماعية، بينما البشر مختلفون تبعا لطبيعة الظروف التي تكوّنوا في إطارها، وتبعا للبيئة التي يَحيوْن فيها ومكوّناتها الحضارية والثقافية والاجتماعية ، وهذا ما عبّر عنه الفيلسوف الفرنسي " ديول ريكور " بالقول:« .... إن أهواء الهوية متجذّرة فينا بعمق، وليس هناك أي شعب يعاني منها أكثر من شعب آخر.....«ذلك ما يتوافق مع ما ذكره عفيف البهنسي أن الهوية هي المعنى الأول الأصالة[4].

الهوية الثقافية هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان، كما هو في تفرده وتميزه ففي الهوية الثقافية تشتغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافها من خلال اتصالاتها الثقافية بماضي الأسلاف عبر ما خلفوه من عمائر و مدن و مصنوعات في مختلف مجالات الحياة،لذلك أمكن اعتبار الثقافة كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر النابعة من أسلافنا، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الخارجي الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط.. وأيضا «كيان يتطور وليست معطى جاهزا ونهائيا. وهي تصير وتتطور، إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، بانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما،كما تناول المفكر علي سالم فكرة الهوية من خلال علاقة الذات بنفسها وبالآخر وأكد أن المرء يولد بمفرده ويموت بمفرده، لكنه لا يحيا إلا مع الآخرين وبالآخرين وللآخرين، ذلك أن الشعور الفردي لا ينطوي على أي انفصال مطلق عن عالم (الغير) الذي هو من مقومات الوجود الإنساني وأمام مختلف التأثيرات كالعولمة التي تعني هيمنة ثقافة واحدة ونهاية التاريخ والماضي،تبقى الشواهد الأثرية بما تكتسبه من مقومات ثقافية، السبيل الوحيد للحد من مثل تلك التأثيرات.

ب-الـدور الاجـتمـاعـي:

تعتبر المعالم الأثرية والمواقع التاريخية بما تحمله من بعد تاريخي وحضاري ذاكرة جماعية للأمة، ككل فهي عبارة عن نشاط اجتماعي وإنساني مارسه الأسلاف وخلفوه كسجل اجتماعي مرئي لذلك كان لها دوراً اجتماعياً يبرز في النقاط التالية:

- تـأميـن وحـدة الـتراب الوطــني:

إن تواجد أي معلم في أي منطقة من الوطن يعتبر مرجعاً تاريخياً للوطن ككل.إذ يزيد من تماسك أفراد المجتمع لنفس الانتماء الذي ينقله إليهم المعلم الأثري أو الموقع التاريخي الأمر الذي يزيد من وحدة التراب الوطني، ربما يكون الشعور بالانتماء، خصوصا هذه الأيام، إحدى أهم القضايا التي تتطلبها «المواطنة»،في اعتقادنا أن الانتماء بحاجة إلى «مرجعية» يعود الإنسان لها كلما شعر أنه بحاجة إلى مكان يضمه وناس تؤويه، لذلك عندما سألني أحد الزملاء عن الشعور بالانتماء، وهل يمكن أن نصنع هذا الشعور أم أنه موجود في قلوب وعقول الناس وما علينا إلا أن نكتشفه ونظهره على السطح، قلت له أن السؤال يصب في صلب فلسفة عملنا في مركز التراث العمراني، فهل نحن نعمل من أجل المحافظة على ما تبقى من تراثنا العمراني ونحاول أن نستثمر هذا التراث وننميه ونطوره كي يكون محطة سياحية جاذبة، أم أن دورنا أكبر بكثير وأن علينا مسؤولية وطنية كبيرة وهي إعادة الشعور بالانتماء إلى الأرض وإلى الوطن؟ ومع ذلك فإن هذا السؤال يحيلنا إلى سؤال آخر هو: هل لدينا المقدرة التي تجعلنا نقوم بهذا الدور؟ في اعتقادي الشخصي أن تحريك الشعور بالانتماء لا يعتمد على الإمكانات بقدر ما يعتمد على الإيمان بالفكرة، إذ مــثلاً الزيارات المتكررة التي يقوم بها أبناء الوطن إلى أي معلم أثري مهما كان منعزلاً يجعله جزءاً لا يتجزأ من أرض الوطن.

- دعـم النـسيـج الــقـومي للمجتمــع:

وذلك عن طريق الاحتكاك المتبادل بين أبناء المجتمع الواحد من خلال التقائهم في الزيارات السياحية لتلك المعالم والمواقع التاريخية حيث تزيد فرص التفاهم والتبادل الثقافي[5].

- زيادة تماسـك الأسـرة كوحدة اجـتماعيـة:

وهي مرتبطة بالنسيج القومي للمجتمع فمن المعروف أن قرار سياحة الآثار من القرارات الجماعية وبالتالي يمثل قرار السفر عملية اتصال متكاملة بين أفرادا لأسرة،فجماعية القرار تحقق جماعية تنفيذه مما يحدث حواراً أسرياً وتقارباً اجتماعياً،نفس الوضع يتحقق

في الرحلات الجماعية للجماعات والمؤسسات إلى تلك الآثار حيث يتدعم الفهم الثقافي الإوالتقارب الاجتماعي.

- الترويح عن المواطنين وإزالة مظاهر التعب والإرهاق:

مما يجعلهم أكثر حيوية وذلك لارتيادهم المواقع والمعالم الأثرية.لا شكّ أن التراث يمثّل الذّاكرة الحيّة للفرد وللمجتمع ويمثّل بالتالي هويّةً يتعرّف بها الناس على شعْبٍ من الشعوب،كما أن التراث بقيه الثقافية،والاجتماعية يكون مصدرا تربويا وفنيا،وثقافيا،واجتماعيا،ذلكم أن تراكم التراث يُكوّن الحضارة،وتراكم المعلومات يُكوّن الذاكرة، وهذه الذاكرة بدورها كما تقول: الباحثة « تمبل كريستين» في كتابها «مدخل إلى دراسة السيكولوجية والسلوك«هي التي تمكّننا من فهْم العالم،إذ تربط بين خبرتنا الراهنة، ومعارفنا السابقة عن العالم وكيف مع مرور الزمن تحولت تلك الخبرات إلى إنتاج جماعي يختزن بصمات الأفراد والجماعات،لذالك يمكن اعتبار كل معلم أثري جدار متين لحفْظ هويّتنا، ومحرّكٌ لنا في الاستمرارية والوجود،إن فقدان التراث يعني فقدان الذاكرة،هذه الأخيرة تساعد على اتخاذ القرار،فالفرد الفاقد لذاكرته لا يستطيع أن يستدلّ على باب بيته،فكيف وحاله هكذا أن يستطيع صنع مستقبله، ويطوّر ذاته، ومثلما ينطبق هذا على الفرد ينطبق على الشعوب.

إن التراث الثقافي وكما هو معروف لدى الباحثين،والمختصين يحتوي على جانبين أوّلهما الملموس المادّي ممّا أنتجه السابقون من مبانٍ، ومدنٍ، وأدواتٍ، وملابس وغيره،وثانيهما التراث الغير الملموس كالمعتقدات والعادات، والتقاليد، والطقوس، واللُغات وغيرها،وهو ما يُطلق عليه الموروث الشعبي،فالحفاظ على هذيْن العنصريْن هو حفاظٌ على هويّة الأمّة وذاكرتها ويعني أيضا الحفاظ على المنتجات التي نستطيع من خلالها أن نقيس مستوى الحضارة لهذه الأمة أو تلك.

ج- الدور الاقتصادي:

منذ الأمد البعيد،حظيت الآثار المعمارية باحترام وتقدير الأمم الراقية،إذ يورد لنا الرحالة العربي عبد اللطيف البغدادي في كتابه ~الإفادة والاعتبار~،المُؤلف في القرن الثاني عشر للميلاد موقف السلطات في الدولة العربية الإسلامية بقوله: «... ومازالت الملوك تراعي بقاء هذه الآثار وتمنع من العبث فيها والعبث بها وإن كانوا أعداءاً لأربابها،وكانوا يفعلون ذلك حتى تبقى تاريخاً يتنبه به على الأحقاب،ومنها أنها تدل على شيءٍ من أحوال من السلف وسيرتهم وتوافر علومهم وصفاء فكرهم وغير ذلك وهذا كله مما تشتاق النفس إلى معرفته وتُؤثر الإطلاع عليه ...» (6)،من هنا تتجلى صفة الإنسانية

في التراث، حيث يعتبر حلقة من حلقات الحضارة البشرية التي تمازجت وتكونت عبر التاريخ وتطور الأمر في وقتنا الحالي، إذ أمكن أن تتيح المدن التاريخية بمعالمها الأثرية عنصراً حيوياً للاستمرارية والاستقرار، فإرث الماضي يساعد على تنمية المستقبل،لذلك أصبح التراث المادي رافداً من روافد الاقتصاد لأي بلد من البلدان في هذا العالم،وذلك عن طريق السياحة،هذه الأخيرة التي ارتبط مفهومها بالمسافة التي يقطعها الإنسان من مكان إلى آخر أي أن السياحة كانت مجرد حركة تنقل أشخاص يرغبون في أداء مهام معينة، أما العالم الألماني «جـوبيـر فرديـلـر» فقد أعطى تعريفاً للسياحة بقوله: « السياحة ظاهـرة عصرية تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة وإلى تغيير الهواء وإلى مولد الإحسـاس بجمال الطبيعة ونمو هذا الإحساس إلى الشعور بالبهجة والمتعة والإقامة في مناطق لها طبيعتها الخاصة ([7])، وفق الإحصائيات الصادرة عن منظمة السياحة العالمية باتت السياحة الثقافية حوالى٪37من إجمالي سوق السياحة العالمي، أي ما يوازي ثلث إجمالي النشاط السياحي في العالم، ما يشير إلى أن السياحة الثقافية أصبحت من أبرز أنواع السياحة، وأنها تنمو بشكل سنوي بمعدل ٪15،تعتبر المنجزات الحضارية منذ القديم من أهم العناصر في عملية الجذب السياحي فهي تؤلف المادة الخام للصناعة السياحية التي تعتبر صناعة القرن الواحد والعشرين، فحسب وصف منظـمة السـياحة العالميـة في تـقريـرها الصادر عـام 2003 أحرزت المعالم الأثرية تفوقاً كبيراً في منظومة الاقتصاد العالمي ما جعلها منافساً خطيراً لصناعتي البترول والاتصالات في نهايات القرن العشرين ،لأن الخلفية التاريخـية والطراز المعماري الفريـد اللذان تحظى بهما،يجعلها ذكريات تاريخية مرئية لحقب الحضارات القديمة، وهي بذلك تجلب ما يقارب ٪12 من السياحة الدولية،لذلك كانت جزءًا من الموارد الاقتصادية المهمة لأي دولة في العالم،إن المتتبع للتطور السياحي الدولي يستطيع الجزم بأن السياحة الثقافية ساهمت إيجاباً في اقتصاديات دول عديدة،فهي محرك قوي للمد السياحي الذي ينجر عن عائدات ضخمة، فمثلاً منطقة الشرق الأوسط زارها ما يقارب 41 مليون سائح حيث بلغت حصتهم السوقية 4,4% من حجم السياحة العالمية،أما الإرادات السياحية التي حصل عليها فقد وصلت إلى 12,9 بليون دولار بنسبة 2,7% من الدخل السياحي العالمي،وتشير المنظمة في تقريرها السنوي أن حصة مصر تمثل ربع حصة منطقة الشرق الأوسط، وفي الأردن يوفر القطاع السياحي بأنواعه ما يقارب 55 ألف منصب عمل حسب إحصائيات وزارة السياحة والآثار لعام 2003،ومثلاً بأوربا مجلس السياحة يتبع مجلس الحكومة،تأكيدا منهم على أهمية الدور الذي تلعبه السياحة في الاقتصاد الوطني فبالسياحة تنشط بقية القطاعات الأخرى كالتجارة والصناعة بما فيها الحرف التقليدية والمواصلات والفنادق،وذلك عبر الوظيفة الاستهلاكية التي يقوم بها السائح، الأمر الذي يضمن دخول العملات الصعبة،ولهذا أمكن اعتبار الصناعة السياحية صناعة منظمة

ومنضبطة شأنها في ذلك شأن الصناعات الأخرى،وحسب توقعات العالم الأمريكي «جون نيبزت» فإن اقتصاد العالم في القرن الواحد والعشرين ستقوده ثلاثة صناعات خدمية وهي صناعة الاتصالات،وصناعة تكنولوجيا المعلومات،وصناعة الخدمات السياحية،حيث أشارت مثلاً بعض التقارير أن هذه الأخيرة أصبحت أكبر صناعة تصديرية في الولايات المتحدة الأمريكية بقيمة 4/8 بليون دولار تليها صناعة السيارات بـ 61 بليون دولار وهي بذلك أكثر الدول إيراداً لهذا لم تعد السياحة تلك الرحلة التي يخرج فيها الإنسان لمدة معينة ليمضي وقتاً مريحاً بل أصبحت صناعة خدمات ضخمة نمت خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية على مستوى العالم لتصبح القاطرة التي ستقود النشاط الاقتصادي خلال السنوات القليلة المقبلة([8])،وتعمل السياحة بجميع أنواعها خاصة الأثرية على تنشيط الصناعات المختلفة ذات الارتباط المباشر أو غير المباشر بالسياحة مثل الصناعة الحرفية، النقل، زيادة على ذلك تضمن إنفاق مالي للمناطق السياحية الأكثر استقطاباً للزوار وذلك لإجراء عملية ترميم وصيانة دورية، الأمر الذي يشكل انتعاشاً لتلك المناطق،ضف إلى ذلك فهي تعمل على التخفيف من حدة مشكلة البطالة في المناطق السياحية،وذلك بخلق فرص عمل ترفع مستوى المعيشة لديهم، كما أن بعض المؤسسات السينمائية تعمد على إدماج المعالم الأثرية والمواقع التاريخية ذات الصبغة الحضارية ضمن الصناعة السينمائية باعتبارها تحمل إلى المشاهد صورة واقعية لما كان يحدث أيام الأسلاف على المستوى الاجتماعي والصناعي والعمراني ومن أمثلة ذلك ما قام به الإيطاليون في استخدام مدرج فيرونا الأثري لإخراج فيلم من العهد الروماني، حيث وضعت السلطات الأثرية هذا البناء تحت تصرف مؤسسة السينما التي بعثت الحياة الرومانية إلى المدرج من جديد وذلك من خلال إكمال زخارفه وتزويده بالتماثيل اللازمة المألوفة في العهد الرومان وقد تم ذلك بمواد خفيفة من الكرتون أو الخشب رسمت عليه العناصر المعمارية والزخرفة والتماثيل المفقودة أو التي يحتاج المشهد السينمائي إلى تجسيدها([9])،وهكذا كانت هذه الوظيفة أو الدور الذي تقوم به هذه الآثار عملاً جديداً من خلاله يمكن اكتساب دخل يحقق مبدأ إحياء المباني التاريخية وربطها بعجلة الحياة وذلك عبر الإنفاقات المالية التي تستفيد منها في مجال الترميم والصيانة الدورية، الأمر الذي يضمن بقاءها شاخصة على مر الزمان، وللصناعة السينمائية دور غير مباشر في مجال الدعاية الإعلامية لتصبح بذلك تلك المعالم الأثرية أكثر استقطاب سياحي. في حين باتت السياحة الثقافية تمثّل وفق الإحصائيات الصادرة عن منظمة السياحة العالمية أيضاً حوالى٪37من إجمالي سوق السياحة العالمي، أي ما يوازي ثلث إجمالي النشاط السياحي في العالم، ما يشير إلى أن السياحة الثقافية أصبحت من أبرز أنواع السياحة، وأنها تنمو بشكل سنوي بمعدل ٪15.

كخاتمة حول ما تم ذكره،يمكن القول أن التراث المادي تغير مفهومه من مجرد أطلال أو قطع مثناترة هنا وهناك بالمواقع الأثرية،إلى أداة فعالة في بلورة التنمية بمختلف أشكالها،سواءاً كانت تنمية اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية،هذا الأمر الذي تفطنت له العديد من الدول كالجزائر مثلا التي أعادت النظر في السياسات المعتمدة للحفاظ على تراثها بشقيه المادي و اللاّمادي،فقد وضعت قانون 98/ 04 خاص بحماية الممتلكات الثقافية وكيفية دمجها في الحياة اليومية ومن تم الاستفادة منها في دفع قاطرة التنمية.

قـــائمـــة المـــراجـــع:

1 -يوسفي (أمال)،الممارسات الثقافية في الوسط الحضري،دراسة في البناء الاجتماعي لمدينة الغزوات ،رسالة ماجستير،تخصص أنثروبولوجيا، معهد الثقافة الشعبية،جامعة تلمسان، 2002. ص: 24.

2 - الظاهر(نعيم)،سراب (إلياس)،مبادئ السياحة،دار المسيرة،عمان ،الأردن 2001. ص: 142.

3 -3الطائي(حميد عبد النبي)،أصول الصناعة السياحية،مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ط2،الأردن 2006. ص: 38.

4 -عفيف(البهنسي)،جمالية الفن العربي،عالم المعرفة،الكويت،1978.ص 143

5 -محمد)الصيرفي(،التخطيط السياحي ،ط1،دار الفكر الجامعي،مصر2007. ص:51.

6 -عبد القادر)الريحاوي(،المباني التاريخية حمايتها وطرق صيانتها،منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف دمشق 1972.ص41

7 -الظاهر(نعيم)،إلياس سراب مرجع سابق ص: 29

8 -المرجع السابق ص-ص: 79 - 80.

9 -الريـحاوي (عبد القادر)،مرجع سابق ص: 47

ظاهرة الإرهاب وانتهاكات حقوق الإنسان بعد عام 2001

The phenomenon of terrorism and human rights violations after 2001

أ.م. د . هالة خالد حميد، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد
أ.م. د. قاسم محمد عبد، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين

الخلاصة

تعد ظاهرة الإرهاب من الظواهر القديمة بوجودها وحديثة بدلالاتها وتعاريفها وآلياتها ووسائل محاربتها وتصنيفها أحيث اصبح مفهوم الإرهاب ياخذ اكثر من معنى مع تنامي دور المنظمات والجماعات المسلحة تحت مسميات وذرائع واهداف مختلفة أومع تغير النظام الدولي وتغير المواجهة من مواجهة ايديولوجية إلى مواجهة حضارية خاصة الحضارة الإسلامية من خلال اعطاء الطابع الارهابي على المسلمين خاصة مع وجود ارضية خصبة لتغذية التطرف ووجود جهات داعمة لهذا التطرف لشق الصف الوطني وتشوية الصورة الحقيقية السلمية للاسلام وهذه التغذية داخلية نابعة من الواقع العربي والاسلامي من فقر وتخلف وتراجع وخارجية من خلال دعم بعض الدول لهذا التطرف لتحقيق مصالحها الاقليمية والدولية أولذلك نجد تعاريف مختلفة ومتعددة لمفهوم الإرهاب تبعا لمصلحة كل دولة ورؤيتها لاهداف هذه الجهة اوتلك .

اما مفردة حقوق الانسان فهي الاكثر تداولا وحسما من جهة تعريفها وتحديدها واذا كانت الحرب على الإرهاب تاتي بدعوى الحفاظ على حقوق الانسان فان هذه الحرب افرزت داعيات خطيرة على حقوق الانسان ولذلك فان كلا المفهومين متداخلين حيث أن تحديد مفردة الإرهاب بشكل دقيق ومحدد يؤدي إلى الحفاظ على حقوق الانسان وعدم تجاوزها بدعوى الحرب على الإرهاب خدمة لاجندات داخلية وخارجية .

Conclusion

The phenomenon of terrorism from the old phenomena existence and modern Bdalaladtha and their definitions, mechanisms and ways to combat and classification, where he became the concept of terrorism takes more than one meaning with the growing role of organizations and

armed groups under the names and excuses and different goals, and the international system has changed, and changed the front of the face of ideology to cope with a private Islamic civilization civilized by giving the terrorist nature of the Muslims, especially with the presence of a fertile ground for feeding extremism and the presence of supportive views of this extremism to divide the national front and distort the true picture of peaceful Islam and this stems from the Arab and Islamic reality of poverty and underdevelopment and the decline and external through the support of some countries for this extremism to achieve regional interests internal nutrition International and, therefore, we find several different definitions of the concept of terrorism, according to the interests of each country and its goals.

As a single human rights are the most heavily traded and decisive hand defined and identified and if the war on terror comes under the pretext of safeguarding the rights of man, this war has produced serious advocates of human rights, therefore, both concepts are intertwined as the Single terrorism determine accurately and specifically leads to the preservation of rights rights and do not exceed the pretext of the war on terrorism service for internal and external agendas.

المقدمة :

بعد أحداث 11 أيلول 2001 أصبح موضوع الإرهاب ومكافحته موضوع الساعة ولازال ،وهو يتطور مع تطور الأحداث السياسية وبوتائر متسارعة ، ورغم ان وجود الإرهاب سابقاً على تشكيل تنظيم القاعدة الا انه في الآونة الأخيرة أصبح مقترناً بهذا التنظيم ومسئولة أسامة ا بن لادن وحكومة طالبان في افغانستان ، ومع اندلاع الأزمة مع العراق واستعداد الولايات المتحدة لأحتلاله أرتبط الأرهاب بالعراق وحكومته وأسلحة الدمار الشامل المزعومة ، وبعد الاحتلال وسقوط ذريعة أسلحة الدمار الشامل بقيت حجة الإرهاب قائمة ، وفي هذه المرة كانت المقاومة على يد من يرفض الاحتلال من أي جهة كانت هي المقصودة.

لقد تم البحث في هذا الموضوع من حقيقتين أساسيتين الأولى ، هي االحقيقة الدامغة التي مهما أبعدناها عن أذهاننا يذكرنا فيها سلوك الولايات المتحدة تجاه العرب والمسلمين بالذات وهذه الحقيقة تتمثل في أن العالمان العربي والإسلامي هما المستهدفان والمتهمان في جميع ما تدعيه الولايات المتحدة من عمليات إرهابية ، وهذا ما أكده الكاتب «صاموئيل

هانتغتون» في مقال له تحت عنوان «عصر حروب المسلمين» في مجلة نيوزويك في عددها السنوي الخاص بقوله «أن الإسلام يشكل خطراً على الغرب وان المتطرفين الإسلاميين هما الخطر ، وان تاريخ الإسلام خلال (14) أربعة عشر قرناً يؤكد بأنه خطر على أية حضارة واجهها وخصوصاً المسيحية» وهذا التفكير الأمريكي يشيرالى اتهام واضح للعرب والمسلمين مما ينعكس على السلوك الامريكي وهو الامر الذي قد يؤدي الى ممارسة إنتهاكات واسعة وكبيرة بحق الإنسان العربي بدعوى مفبركة مثل اتهامه بالإرهاب وتتم هذه الانتهاكات عن طريق الحرب أو الحصار أو العقوبات بإشكالها كافة .

أما الحقيقة الثانية فإننا اذا سمحنا للغرب والولايات المتحدة الامريكية بالذات ان تخلط الأوراق بين ماهو مشروع من أجل تحرير الإرادة الوطنية وبين مانسميه بالإرهاب فإننا سنسهم بشكل غير مباشر أو محسوس في خلق ثقافة جديدة قائمة على أساس الرضوخ والإذعان للأمر الواقع مما يخلق حالة من الإحباط والعجز وانقسامات وطنية تسهم في إضاعة أية فرصة لحماية أو إسترجاع أو الإقتراب من الإستقلال الوطني ، كما تسهم في خلق وتنشئة جيل محبط ومذعن لأوامر المحتل وفاقداً للإرادة ومجرداً من وطنيته وهويته العربية والاسلامية ، وكل ذلك يسلبه حقه في العيش بحرية وكرامة ، ويتم التجاوز على حقوقه المدنية والسياسية التي كفلتها له الشرائع السماوية والقانون الدولي الذي وضعته الأيادي الغربية نفسها .

ولأجل معالجة ودراسة هذا الموضوع فقد قسمنا هذا البحث الى محورين الأول يتناول تطور موضوع الإرهاب في نطاق القانون الدولي كما تناولت ضمن هذا المحور التفريق بين الإرهاب وحق تقرير المصير وقد حاولت التوفيق بين الرؤيا العربية والمفهوم الغربي الذي يقع ضمن إطار القانون الدولي. اما المحور الثاني فقد تناولت فيه واقع حقوق الإنسان في ضوء الخلط بين المفاهيم من وجهة النظر الغربية والطروحات العربية.

المحور الأول الإرهاب والقانون الدولي

1 .تطور موضوع الإرهاب في نطاق القانون الدولي .

أن ظاهرة الإرهاب قديمة قدم التاريخ والذي تغير فيها هو الأشكال المبتكرة للإرهاب، والإرهاب السياسي أحدث هذه الأشكال رغم إنه قديم في مضامينه وأهدافه قدم العمل السياسي.

ومن الصعب الإتفاق على تعريف محدد للإرهاب ، وعدم الاتفاق هذا خلق إشكالية التباين في نظرة الدول إليه، فهناك دول تتهم بالإرهاب وأخرى معرضة له ، ودول اخرى

ايضا تتعرض للإرهاب ، ودول أخرى تمارس الإرهاب ضد أفرادها وشعوب تكافح من أجل استقلالها ودول احتلت أراضي شعوب وتمنعها من حق تقرير مصيرها ولذلك فإن مفهوم الإرهاب يحدد معناه في ضوء مفهوم كل دولة وفلسفتها ومصالحها السياسية ، ورغم هذه التعقيدات فإن هناك تعريفات عديدة للإرهاب ، فقد عرفه «غوشيه» بأنه ((أشكال من القتال قليلة الأهمية بالنسبة للأشكال المعتمدة للنزاعات التقليدية الا وهي قتل السياسيين أو الإعتداءعلى الممتلكات [1] أما»جوليان فرويند» فقد عرفه على انه ((فعل يرمي الى قلب نظام الأوضاع القانونية والإقتصادية التي تقوم على أساسها الدولة))[2].

كما عرفه العديد من الاساتذة والمفكرين العرب ، حيث عرفه الاستاذ الدكتور «عبد العزيز محمد سرحان» ((بأنه إعتداء على الأرواح والأموال والممتلكات العامة والخاصة بالمخالفة لأحكام قانون الدول)) [3].

أن الكثير من الكتّاب والمفكرين العرب والغربيين على حد سواء تناولوا موضوع الإرهاب ولكن جميع التعاريف المطروحة تأخذ جانباً من جوانب الإرهاب المتعددة، ولذلك فلم يتوصل أي من هؤلاء الى تعريف جامع مانع لموضوعة الإرهاب وقد إنعكس ذلك على تحديد معنى دقيق للإرهاب في المواثيق الدولية.

وقد برز الاهتمام العالمي في هذا الموضوع في عام 1937 عندما تم إبرام معاهدة دولية بأشراف عصبة الامم لمكافحة الارهاب متزامنة مع معاهدة إنشاء المحكمة الجنائية وكانت المعاهدة الأولى أول محاولة لتقنين الإرهاب على الصعيد الدولي ، الا ان الاتفاقيتين لم تدخلا حيز التنفيذ بسبب عدم التصديق عليهما [4] ومنذ ذلك الوقت ولغاية عام 1972 وقعت جرائم إنسانية كثيرة بحق العديد من الاشخاص والشعوب لم تلتفت اليها أنظار العالم ، وفي عام 1972 وقعت عملية ميونيخ خلال الألعاب الاولمبية ثم عملية مطار اللد التي نفذتها عناصر الجيش الأحمر الياباني ووجهت التهمة الى منظمات المقاومة الفلسطينية مما حفزَّ الإعلام الدولي والصهيوني لتعبئة الرأي العام العالمي ضد الإرهاب الذي نسب منذ ذلك الوقت الى الدول الإسلامية والعربية خاصة .

وعلى أثر هاتين الحادثتين تعالت صيحات الادانة والاستنكار الرسمية والشعبية والاعلامية من العالم الغربي وسارعت الأمم المتحدة على إدراج موضوع الإرهاب على جدول أعمال الجمعية العامة . وأصدرت القرارين ، الأول في 9/ 12/ 1985 والمرقم 40/ 61 والذي أدانت فيه الجمعية العامة وبشكل قاطع جميع أساليب الإرهاب ودعت الدول الى اتخاذ جميع التدابير الوطنية اللازمة للقضاء على مشكلة الإرهاب الدولي ، الا انها ميزت حالات الاستعمار والعنصرية وحالات إنتهاك حقوق الإنسان والحريات الأساسية والأحتلال الأجنبي . أما القرار الثاني ، والصادر في 7/ 12/ 1987 والمرقم 159د/ 42،

فقد طلبت بموجبه الجمعية العامة من الأمين العام إستخلاص آراء الدول الأعضاء بشأن الإرهاب وعقد مؤتمر دولي تحت إشراف الامم المتحدة لمعالجته على أن لايمسس هذا القرار الحق في تقرير المصير والحرية والاستقلال للشعوب المحرومة قسراً من هذا الحق لاسيما تلك الرازخة تحت النظم الإستعمارية والعنصرية والاحتلال الأجنبي ، كما لايمس حق الشعوب في الكفاح ونشدان الدعم والحصول عليه وفقاً لمباديء ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي المتعلق بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول ، وقد ادين الارهاب في هذا القرار بأغلبية 153 صوت مقابل صوتين ضده هما إسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، وكان سبب الأعتراض الأمريكي هو نص القرار على حق الشعوب بالحرية والاستقرار وتقرير المصير[5] ، وهذا الاعتراض دليل على السياسة الازدواجية للولايات المتحدة في الخلط بين مفهومي المقاومة والارهاب ،واخطر الوثائق التي صدرت عن الامم المتحدة حول الارهاب والتي تم خرقها بشكل غير مسبوق لـــ (12) اتفاقية دولية حول الارهاب ، وهذه الوثيقة تنص على القرارالمرقم (1373) الصادر عن مجلس الأمن في 28/ 9/ 2001[6]، وهو في الأصل مشروع قرار أمريكي فرض بوسائل الترغيب والتهديد وينص بصراحة على التهديد باللجوء الى الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة الذي ينص على فرض عقوبات تصل الى حد استخدام القوة على الدول التي ترفض التعاون في حملة مكافحة الأرهاب الأمريكية [7]. وهي تمثل الرؤية الأمريكية لظاهرة الإرهاب الدولي التي أوضحها التقرير الأمريكي الصادر في نيسان في عام 2001 والذي اعتبر المقاومة المشروعة للأحتلال عملاً أرهابياً وتحدث التقرير عن (43) تنظيم من بينها (28) تنظيم نشيط حددتها الحكومة الأمريكية بعد أحداث (11) أيلول 2001 ، عندما تحدثت عن (60) تنظيم في (40) بلد ممكن أن تطالها الحرب ضد الارهاب ، أي ان الارهاب موجود في جميع القارات ، سيما اذا علمنا ان التقرير أدرج دولاً عدها دولاً أرهابية وهي ايران والعراق وسوريا وليبيا وكوريا الشمالية والسودان ، وهذه الدول هي نفسها مايسمى بدول محور الشر التي أعلن عنها بعد احداث (11) أيلول ، فاذاً المخطط الأمريكي معد سلفاً وأحداث 11 أيلول والإرهاب كانت طلقة البداية لمارثون الاحتلال الأمريكي .

إن القانون الدولي ومباديء ميثاق الأمم المتحدة قد فرقت بوضوح بين الإرهاب الذي يعني القتل من أجل القتل وبين المقاومة التي تُعد حقاً مشروعاً للدول والشعوب التي تواجه الإحتلال والتي هي محط دراستنا في الفقرة الثانية.

2 .مقاومة الاحتلال في الاطار الدولي لحق تقرير المصير .

يبدو إن الإختلاف في تعريف الإرهاب يعود الى الخلط المتعمد بين الارهاب والمقاومة

المشروعة ، فالولايات المتحدة الامريكية نجحت في إعطاء الاولوية لملف الارهاب ، كما نجحت في إغراق المجتمع الدولي في العموميات عن طريق الخلط بين المقاومة المشروعة والارهاب لأثارة القلق والتوتر والتهديد الأمني للشعوب والأنظمة السياسية.

ان مقاومة الاحتلال حق مشروع يندرج في بند الدفاع عن النفس والسيادة المسلوبة والحقوق المغتصبة وقد بدأ هذا الحق يأخذ طريقه الى نصوص الشرعية الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة ، فقد جرت محاولات عديدة لوضع تحديدات لظاهرة العنف السياسي والتمييز بين الإرهاب والمقاومة المشروعة للإحتلال وكان أول قرار صدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة هو القرار رقم (3034) بتاريخ 18/ 12/ 1972 الذي يعد تأكيداً لشرعية النضال من أجل التحرر الوطني وتمييزه عن الارهاب الدولي حيث نص على تأكيد الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الواقعة تحت الاستعمار ، وهذا القرار إعتبر نقله نوعية في موقف الشرعية الدولية من المقاومة ، وكررت الجمعية العامة في 14/ 12/ 1974 بقرارها المرقم (3246) بشرعية كفاح الشعوب في التحرير من السيطرة الإستعمارية بجميع الوسائل بما فيها الكفاح المسلح ، وقد أدانت الجمعية العامة بشدة جميع الحكومات التي لاتعترف بهذه الحقوق للشعوب الخاضعة للسيطرة والإحتلال . كما أن هذا القرار جعل حق المقاومة والكفاح المسلح واجب دولي عام ، وواجب حقوقي للشعوب الخاضعة للاحتلال ، وفي مؤتمر تطوير القانون الدولي الانساني المنعقد في جنيف عام 1976 أقرَّ بروتوكولان يعتبران حروب التحرير حروب عادلة ودولية يطبق بشأنها جميع القواعد التي أقرها القانون الدولي بشأن قوانين الحرب وأن حركات التحرر الوطني هي كيانات محاربة ذات صفة دولية. (8)

ومن خلال تعريف القانون الدولي للإحتلال يتوضح ثبوت الحق المشروع للشعوب في مقاومتها ، ولكي تتوافر مشروعية المقاومة ينبغي توفر شروط محددة. أولا ، أن تكون هناك حالة أحتلال فعلي ، ووجود لقوات الإحتلال داخل الأراضي وأن يقوم بأعمال المقاومة أفراد الشعب المحتل ضد قوات الاحتلال العسكرية وداخل حدود الأراضي المحتلة.

ورغم هذه الحجج القانونية التي تضمن حق الشعوب في تقرير مصيرها الا ان المجتمع الدولي يعجز عن ضمان تطبيق هذه النصوص أو التصدي لقرارات جديدة تعيق تنفيذ وتطبيق هذه النصوص أو الغائها . كما هو الحال مع القرار (1373) الذي تخطى في نصوصه مانص عليه ميثاق الأمم المتحدة والاتفاقات الدولية وقرارات الجميعة العامة ومباديء القانون الدولي حول شرعية المقاومة وحق تقرير المصير ، عندما يسعى نحو خلط الأوراق بالاصرار على عدم إعطاء تعريف واضح ومحدد للارهاب . وعلى الرغم من ان القرار يؤكد الحق الراسخ للفرد أو الجماعة للدفاع عن النفس كما هو معترف به في ميثاق

الامم المتحدة الاّ انه يغفل حق تقرير المصير وحق مقاومة الاحتلال ، فالقرار رغم ضبابيته ذو أبعاد خطيرة يتجاوز كل ما إتخذ من قرارات وما ابرم من معاهدات بشان الإرهاب لأنه يمتلك قوة الزامية بتطبيقه فمن يتقاعس عن تنفيذه يحاكم بموجب المادة (41) من ميثاق الامم المتحدة – كما انه لم يكتفي بمجرد تأييد الدول للولايات المتحدة الامريكية في حملتها ضد الارهاب وانما في ضرورة أن تتخذ هذه الدول تدابير إجرائية ضمن تشريعاتها الداخلية ثتبت بها تعاونها مع هذه الحملة، وهذا البند اشارة واضحة لأختراق السيادة لجميع دول العالم [9].

ختاماً مهما طال الحديث عن ضرورة التمييز بين مفهومي الإرهاب والمقاومة المشروعة وبين ضرورة الإرهاب من عدمه ، تبقى الحدود واضحة لمن ينظر لها بمنظار قيمه الأسلامية والعربية الأصيلة .

المحور الثاني واقع حقوق الانسان في ضوء الخلط بين المفاهيم:

مثلما تسارعت وتائر دعوات الإرهاب ومكافحته والتصدي له بجميع الوسائل ، حتى وان كانت وسائل أكثر إرهابية من مرتكبي جرائم الإرهاب انفسهم فقد تصاعدت ايضاً دعوات حقوق الإنسان والديمقراطية وضرورات الإصلاح السياسي والثقافي والمتتبع لهذه الدعوات ، وعلى الجانبين الإرهاب وحقوق الإنسان يجد ان العالم العربي والإسلامي هما الركيزة الأساسية في هذه الدعوات فهما منبع انتهاك حقوق الإنسان ، وهما ايضاً منبع الإرهاب من وجهة النظر الغربية والأمريكية ، متناسيه أن من ينتهك حقوق الإنسان العربي في الحرية والعيش بكرامة هي التدخل ومشاريع الهيمنة التي يطرحها دعاة حقوق الإنسان .

إن حقوق الإنسان وفق ماهي معرَّفة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تمثل ركيزة أساسية لقياس تطور ونمو أية دولة ، ولذلك فإن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق الدولية التي تبعته تمثل معايير عالمية لقياس تطبيق حقوق الإنسان في أية دولة ولايمكن تبريرانتهاك هذه الحقوق وفق معايير ثقافية أو اقتصادية وتحت أي ظرف ولذلك فحقوق الإنسان العربي لاتشذ عن هذه القاعدة.

ورغم ذلك فإن الإنسان العربي تُنتهك حقوقه يومياً وعلى صعيدين :

الأول : داخلي : ونقصد هنا الانتهاكات التي تقع على الانسان العربي من قِبل حكوماته او مجتمعه او من التقاليد والأعراف والثقافات التي تقيد حقوق الفرد العربي وتحد من طاقاته وامكاناته أو انها تداهم معتقداته وتلغيها في اطار سياسة إحتواء وتدخل عبر وسائل الإعلام بمختلف انواعها وخاصة الفضائيات ، وفي كلا الحالتين يعيش

الإنسان العربي حالة صراع بين ما يعتقد وبين ما يوفد اليه من الخارج وهو في جلّه يتعارض مع ثقافته الوطنية والقومية .

ولذلك نجد أن الوطن العربي قد سجَّل أسوأ حالات انتهاك حقوق الإنسان طبقاً للتقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية لسنة / 2000 حيث ورد في ذلك التقرير أن في عام 1999 كانت هناك انتهاكات على نطاق واسع وخطير لحقوق الانسان بما في ذلك حالات الإعدام بالجملة ، التعذيب ، المحاكمات غير العادلة، وغالباً ماتكون أمام محاكم خاصة ، وذلك في معظم ارجاء الشرق الأوسط وشمال افريقيا وبالمقارنة مع الماضي فقد إستمرت هذه الانتهاكات بإستثناء بعض الخطوات منها تقديم بعض المسؤولين عن انتهاكات حقوق الانسان السابقة الى العدالة [10] . وهذا التقرير جاء بعد اعلان الميثاق العربي لحقوق الإنسان الذي اعتمد بموجب قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم 5427 والمؤرخ في 15 أيلول 1997 ، الذي أقرَّ في ديباجته بالارتباط الوثيق بين حقوق الانسان والسلام العالمي واكدَّ على مباديء ميثاق الامم المتحدة ، وأعلان القاهرة حول حقوق الانسان واحكام العهدين الدوليين للامم المتحدة وأعلان القاهرة حول حقوق الانسان في الاسلام وهو في مواده الثلاثة والاربعون أكدَّ على ضرورة تطبيق واحترام حقوق الانسان ، حيث اقرَّ في المادة الاولى حق تقرير المصير لكافة الشعوب ، واعتبر ان العنصرية الصهيونية والاحتلال والسيطرة الأجنبية هي تحَدٍ للكرامة الإنسانية ، وتحول دون تحقيق الحقوق الأساسية للشعوب ومن الواجب ادانتها وازالتها .[11]

أما المادة (19) من الميثاق العربي فقد نصت «الشعب مصدر السلطات والأهلية السياسية حق لكل مواطن رشيد يمارسه طبقاً للقانون» . أما المادة (27) فقد كفلت حق الإنسان العربي في تشكيل مؤسسات المجتمع المدني ولم يتناسى الميثاق ايضاً الحقوق المدنية والاقتصادية للمواطن العربي او الفرد العربي [12].

لقد حفل الميثاق بمواد تركز على حقوق الإنسان والتي تعبر عن طموح الإنسان العربي في الحصول على أبسط حقوقه في العيش بكرامة وحرية ، وهذين المطلبين لايأتيان الا بحفظ حقوق الإنسان الاقتصادية والسياسية والفكرية، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن ، هل إستطاع الإنسان العربي تحقيق طموحه ولو بدرجاته الدنيا في مجال حقوق الإنسان ؟ وهل استطاعت الحكومات العربية الوصول بحقوق الإنسان العربي الى مستوى الطموح نظرياً وتطبيقياً؟

والجواب على هذه الأسئلة يمكن استشفاقه من خلال دراسة المتغيرات على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي .

اولاً: المستوى الداخلي :

- يكمن في الآتي

1. **أزمة النظم العربية** : فهذه النظم على الرغم من دعوتها لمباديء الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان الا انها تتجنب أي إصلاح ديمقراطي حقيقي أ ولذلك فقد بقيت أغلب النظم العربية متوارثة لعوامل الضعف التي اكتنفتها ، وبالتالي أصبحت بعيدة جداً عن عوامل التغيير التي تسود العالم على الأصعدة كافة . وأكسبتها صفة الاستبداد أو الوراثة رغم ان نظمها السياسية تشير الى انها نظم دستورية ديمقراطية ، وهذا في جله انعكس على سلوك هذه النظم تجاه الانسان العربي وحقوقه . سيما وأن أغلب هذه النظم بدأت تعتمد على طبقة يسميها البعض الأمنوقراطية ، التي تقوم بمهمة حماية هذه الأنظمة من خلال خلق أجهزة أمن تقوم بمهام ذات طابع بيروقراطي يتحمل مسؤولية حماية النظام ليس ضد الأعداء الخارجيين وانما ضد دعوات الديمقراطية والتحرر وحقوق الإنسان ، والذي من وجهة نظرها هو ((تآمر)) [13].

2. **الثقافة** : مثلما نمت الثقافة في المجتمع الغربي وقادت الى الاسراع في تطبيق حقوق الإنسان على المستوى الوطني والعالمي ، فإن الإنسان العربي يحتاج الى خلق ثقافة جديدة لحقوق الإنسان خاصة في ظل التطورات التي تعصف بالوطن العربي وحالات الانتهاك سواء من الداخل ومن الخارج ، بينما يعتقد الآخرون بأنهم يمتلكون الحق في التمتع بحقوق الإنسان لايجد هذا ضرورياً بالنسبة للإنسان العربي ، فالكيان الصهيوني يبطش بالمواطنين الفلسطينيين بدعوى الإرهاب من جهة وحقوق الإنسان من جهة أخرى ، والأحتلال الأمريكي كان ينتهك حقوق الإنسان في العراق دون هوادة أو رادع قانوني او قيمي ، ولذلك يحتاج الإنسان العربي في هذه المرحلة الى ثقافة لحقوق الإنسان تُبنى على أساس الإحترام المتبادل والفهم الحقيقي لمباديء حقوق الإنسان.

3. **الأصلاح ودور النخب العربية في مواجهة مشاريع الهيمنة المطروحة** : أن الموقف الأمريكي الداعي الى إحداث اصلاح سياسي ديمقراطي في الوطن العربي يأتي في إطار سياسة أمريكية مفادها اعادة تشكل المنطقة بما يخدم مصالحها ، ووفقاً لهذه الدعوات فإن الإدارة الأمريكية ستطلب من الحكومات العربية تطبيق اصلاحات سياسية واقتصادية واسعة ومسائلتها عن سجلها في مجال حقوق الإنسان ، وفي تقرير سري حصلت عليه صحيفة ((لوس انجلس تايمز)) في 15/ 3/ 2005 عنوانه (نظرية دومينو الديمقراطية لن يتم العمل بها) أشار الى إيمان الإدارة الأمريكية بمخاطر

قيام نظام ديمقراطي والذي يمكن أن يحمل إصوليين الى الحكم ومن أنصار هذا الموقف رموز اللوبي الصهيوني في ادارة الرئيس بوش وخاصة (بول ولفويتز) نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق ، وفي ندوة سرية تحت عنوان الديمقراطية العربية والإحتياطات الأمنية الأمريكية والتي عقدت في مركز نيكسون في27/ 3/ 2003 طرحت فرضيتين تتعلق بمبدأ بوش لعام 2002 ، الاولى : تفترض ان المصالح الأمريكية لن تتحقق الا بأنظمة ديمقراطية وازاحة الأنظمة غير الديمقراطية، أما الثانية: تفترض ان تدميرالنظام العراقي السابق سوف يهيء فرصةلأقامة ديمقراطيات عديدة في المنطقة تبدأ في العراق وتنتقل الى كل المنطقة[14].

والمتتبع لهذه المشاريع والطروحات يجد أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول فرض نمط جديد من الحياة السياسية والإقتصادية والنظامية في المنطقة العربية أما عن طريقة تغيير الأنظمة أو بدعمها ، وهذا الأمر يعد انتهاك صارخ لحق الإنسان العربي في العيش بحرية وكرامة واختيار طريقة حياته وفقاً لثقافته وحضارته وقيمه الاجتماعية .

ثانياً:- على المستوى الخارجي:

ان الهيمنة الخارجية تعدعامل أساسيا في خلق شعور بأستلاب وانتهاك حقوق الإنسان حيث أن الوطن العربي يعيش حالة جديدة من الأختراق الثقافي والسياحي والاقتصادي والأمني ، لم يسبق أن عاشها ، وهذا الاختراق اتخذ اشكالاً جديدة أهمها ، انه يتخذ صفة الشرعية بإستخدام كافة الأساليب الإرهابية التي تسلب الإنسان حقوقه وتجرده منها ، وهي بدءاً بالحصار ثم التدخل والقصف العشوائي أثناء الحروب وبدونها لأماكن مدنية يذهب ضحيتها النساء والشيوخ والأطفال وبدون سبب ، وهذا الإرهاب الدولي توضح بأسمى صورة في الوطن العربي دون غيره من خلال ممارسات الادارة الأمريكية ازاء العراق وسوريا ولبنان وممارسات الكيان الصهيوني حيال الشعب الفلسطيني.

وبعد أحداث 11أيلول 2001 تكرس التدخل الأمريكي والصهيوني على وجه الخصوص في الشؤون الداخلية للمنطقة العربية وقد اتخذ سمةً جديدةً وهي التدخل الجماعي وبإسم الشرعية الدولية لمكافحة ماتسميه الإرهاب ، وقد دشنت تدخلها في تحالفات اولها افغانستان بناءاً على قرار مجلس الأمن رقم 1368، وتبعه القرار رقم 1373 في 28 أيلول 2001 والذي أكد على ضرورة مواجهة مخاطر الإرهاب الدولي بجميع الوسائل السياسية والعقابيه ، بما في ذلك فرض العقوبات الاقتصادية لتجميد الأموال وبشكل لايميز بين ماهو مشروع له علاقة بالإرهاب وبين ماهو خلاف ذلك ، دون التأكيد على حق النضال

والكفاح للشعوب ضد الإحتلال والإستعمار وحق تقرير المصير.

يضاف إلى ذلك تصاعد حدة الأزمات الداخلية لبعض البلدان العربية مثل لبنان والسودان وليبيا وسوريا واليمن وهذا التصاعد وما يجره من إنتهاكات لحقوق الإنسان العربي في العيش بحرية وكرامة كان سببه الأول هو التدخل الخارجي ،حيث أصبحت القضايا العربية تنسحب من نطاقها الإقليمي والعربي إلى نطاق دولي تتخذ حيالها قرارات دولية ملزمة لها أثارها السياسية والإقتصادية لمستقبل هذه البلدان والمنطقة العربية برمتها ، وهذا مامثله القرار (1559) الذي أدخل لبنان في دائرة عدم الإستقرار السياسي الذي كان لهُ نتائجه الخطيرة على مستقبل لبنان ووحدته الوطنية ا فضلا عن القرارات التي صدرت حيال حالات التغيير في المنطقة العربية خاصة ازمتي سوريا وليبيا .

أما السودان حيث تحول ملف أزمة دارفور الى مجلس الأمن ولعبت فيه الولايات المتحدة الأمريكية دوراً كبيراً وجاء قرار مجلس الأمن رقم 1556 في 30 تموز 2004 بمثابة الإعلان الرسمي لتدويل هذه الأزمة ثم جاء القرار 1564 في 18 أيلول 2004 الذي مثل موقف الولايات المتحدة الأمريكية الرسمي تجاه السودان تستهدف قطاع النفط الذي يشكل ٪40 من الميزانية العامة للبلاد . وهذين القرارين الدوليين اهتما فقط بسبل حفظ مصالح القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية دون الإكتراث بكيفية تقديم سبل المساعدة اللازمة لعودة النازحين الى مساكنهم أو التخفيف من معاناتهم أو منع انتهاكات حقوق الإنسان في دارفور ، متناسياً أو متجاهلاً حقيقة الأزمة التي هي في أساسها التنمية التي ينطوي جوهرها على إمكانية الوصول إلى الموارد واستغلالها لتحقيق مستوى معيشي لائق ، إضافة الى خلق تنمية حقيقية في كافة المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية[14].

ان طبيعة المجتمعات ومكوناتها تفرض نمط السلوكيات المتبعة في داخلها وهذا يجعلها ملتزمة بقيمها وتقاليدها حيال أثر وقيمة الإنسان ، بإعتباره غاية ووسيلة ، وعليه فهناك ازدواج في الرؤية لهذا السلوك ، حيث نلاحظ هناك رؤية وافدة مفادها أن للقوى الكبرى وخاصة الدول الغربية مصالح جوهرية واستراتيجية في المنطقة العربية وعليه فإن تدخلها فيها هو عمل مشروع من وجهة نظرها ، وبالمقابل انها تواجه تحديات من داخل هذا المجتمع وطبقاً لمشروعها فإن هذه التحديات هي أعمال إرهابية يجب التصدي لها وانهائها، اما مايصدر من الداخل من قبل المجتمع العربي حيال المشاريع الخارجية التي تحاول تغييب المشروع الحضاري العربي ، فهي أعمال مشروعة طبقاً للروح الوطنية السائدة. ومن قبلها الإلتزامات الدينية التي تفرض على المواطن الدفاع عن بلاده وقيمه ومصالحه ومستقبل أجياله ، وبالتالي وإزاء هذا التناقض في المواقف نلاحظ أن الدول الغربية لها اليد الطولى

في التجاوز على حقوق الإنسان العربي، وعندما يدافع هذا الإنسان عن حقوقه يوصف بالإرهابي.

الخاتمة

لاشك إن ظاهرة الإرهاب ظاهرة قديمة وهي مظهر من مظاهر العنف الذي ينتشر في المجتمعات الدولية او في المجتمع الداخلي وهي ظاهرة خطيرة لايختلف في خطورتها أي شخص ، ورغم انها ظاهرة معروفة لها اشكالها وأبعادها المتعددة الا انها ظلت عصية التعريف فلم يتوصل المجتمع الدولي الى وضع تعريف جامع مانع لهذه الظاهرة ، وظل تعريفها محكوماً بالخلفيات الايديولوجية والمصلحية والمذهبية للباحثين والدول على حدٍ سواء فما يعد ارهاباً لدى دولة يعد حقاً من حقوق الإنسان في تقرير المصير في دولة أخرى وصعوبة التعريف هذه هي التي خلقت اشكالات وصعوبات وإختلافات ايضاً بين الدول، خاصة وان الارهاب لاتقف خطورته عند مرتكبيه فقط وانما تتعدى محيطه يشمل اناساً أبرياء .

ورغم ذلك حاول الكثيرون وضع تعريف للارهاب وكان محور اساسي لكثير من اللقاءات والمؤتمرات الدولية ، ولكن لم تتوصل أية محاولة إلى وضع تعريف أو مفهوم للإرهاب كونه يختلف بإختلاف الظروف شكلاً ومضموناً . وبالتالي فإن النتيجة هي لايوجد تعريف محدد للإرهاب دولياً في الوقت الذي اتسم موضوع حقوق الإنسان بالشفافية وأوجدت تعريفات ومحددات وثوابت لتعريفه ، رغم أن موضوعة حقوق الإنسان هي أقل اثراً وخطورةً من الإرهاب، ومبعث هذه المفارقة أن الأول موضوع يرتبط بمصالح واستراتيجيات دول كبرى في مقدمتها الولايات المتحدة تحاول من خلاله فرض ارادتها على بعض الدول المهمة اقتصادياً اما موضوع حقوق الأنسان فإنه يتعلق بالإنسان العربي اولاً وكيفية تسويق مفاهيمه لتتطابق مع مصالحه ثانياً دون النظر أو مراعاة مصالح الإنسان العربي ودوره الانساني والحضاري.

The phenomenon of terrorism is an old phenomenon, a manifestation of the violence that has spread in the international community or in the internal community, a dangerous phenomenon is no different in the severity of any person, and although this phenomenon known its forms and multiple dimensions, but it remained obstinate definition did the international community to reach put sententious definition this phenomenon, defined

governed by self-interest and ideological backgrounds and religious community. As for human rights and have known many definitions have been employed for the benefit of the goals of intervention in the internal affairs of States.

المراجع

1. د.أودينس العكرة ، الارهاب السياسي ، بحث في اصول الظاهرة وابعادها الانسانية ، دار الطليعة ، بيروت ، 1983 ، ص86.
2. إسماعيل الغزال ، الإرهاب والقانون الدولي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1990 ، ص10.
3. د.عبد العزيز سرحان ، حول تعريف الإرهاب الدولي ، المجلس المصري للقانون الدولي ، المجلد التاسع والعشرين ، القاهرة ، 1973 ، ص17.
4. يليشنكو وزادانوف ، الإرهاب والقانون الدولي ، ترجمة المبروك محمد الصويعي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،ط1، 1994، ص77-79.
5. الحملة الأمريكية ضد الجماهيرية الليبية في ضوء القانون الدولي ، مجلة مستقبل العالم الإسلامي ، السنة الثانية ، العدد6 ، 1992 ، ص218.
6. انظر نص الوثيقة الصادرة عن الأمم المتحدة (U.NCS /RES /1386(2001
7. لمزيد من التفاصيل انظر :د.سهيل حسين الفتلاوي ، الإرهاب والإرهاب الدولي ، بغداد ، 2002 ، ص200-205.
8. عبد الغني عماد ، "المقاومة" و "الإرهاب" في الإطار الدولي لحق تقرير المصير ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،العدد 275 ،2002 ، ص30-34.
9. لمزيد من التفاصيل حول القرار 1373 ، انظر : د.عصام سليمان ،القرار 1373 في منطلقاته وابعاده ، شبكة المعلومات الدولية الأنترنت
http: / /www.maqawama-tv /arabic
10. حقوق الإنسان والدول العربية الحديثة ، شبكة المعلومات الدولية الأنترنت
www.habtoor.com /thinkingclearly arabic /html /42ND-2001.htm".
11. لمزيد من التفاصيل: انظر نص المادة الاولى من الميثاق العربي لحقوق الإنسان .
12. نص المواد : (31) ،(32) ، (33)، (35) ، من الميثاق العربي لحقوق الإنسان لمزيد من التفاصيل انظر ايضاً نص المواد.
13. لمزيد من التفاصيل انظر : حيدر إبراهيم علي ، تجدد الإستبداد في الدول العربية : الدور المستقبلي للأمنوقراطية ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، العدد 313 ، 2005 ، ص57 ومابعدها.
14. لمزيد من التفاصيل بشان أزمة دارفور انظر : أزمة دارفور (1)بداياتها وتطوراتها ، محمد الأمين عباس النحاس ،(2)ابعادها السياسية والثقافية ، اجلال رأفت ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، العدد312 ، شباط ، فبراير 2/ 2005.

المعوقات الثقافية لمساهمة المرأة الجزائرية في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية

أ. لحول فايزة جامعة حسيبة بن بو علي ، شلف
أ. جمعي فاطمة الزهراء جامعة حسيبة بن بو علي، شلف

ملخص الدراسة

تعتبر الجزائر من دول العالم الثالث السائرة في طريق النمو، و التي عرفت تحولات في مختلف المجالات الاقتصادية، السياسية و الاجتماعية.

و لا يمكن بأي شكل من الأشكال تجاهل دور المرأة في العملية التنموية بعدما وصلت إلى مناصب مختلفة وساهمت بمجهودها في تطور مجتمعها و تقدمه، لكن رغم كل الانجازات والمكتسبات التى تحققت للمرأة الجزائرية فى العقود الأخيرة تظل قضية المشاركة الاقتصادية و الاجتماعية للمرأة تمثل إشكالية تؤثر على معدلات التنمية بالجزائر.

فإذا ألقينا نظرة على واقع المرأة في مجتمعنا ومدى مساهمتها في عملية التنمية المنشودة فإننا نجدها تواجه العديد من العقبات التي هي بالأصل نتاج الموروث الثقافي و تأثيره المباشر و غير المباشر على تمكين المرأة و فعالية أدائها.

لذلك فإن الدراسة الحالية تهدف إلى محاولة الكشف عن تحديات مساهمة المرأة في مجالات التنمية، التي تنشدها الجزائر من خلال مختلف برامجها التنموية في المجالات الاقتصادية الاجتماعية و السياسية، و محاولة الوقوف على أهم تلك العقبات و ايجاد حلول لها.

Absract:

Algeria is one of the third wold countries on the way of development and which knew various changes pratically in various dommaine economic social and political.

The main objective of the study is to enhance the role of the women in devlopment in terms of the current trends and identify cultural obstacles to women›s participation in social and economic development .

مقدمة:

إن أهم ما يميز شعوب العالم النامي اليوم هو الطموح الكبير نحو التقدم و الارتقاء و تحقيق أفضل معدلات الحياة الإنسانية و بمعنى أخر تتسم هذه الشعوب بالطموح التنموي حيث أصبحت التنمية شغلها الشاغل و أملها في الخلاص من كل مظاهر و أسباب التخلف الذي عاشته لعشرات السنين، إما بسبب الاستعمار الذي هيمن على معظم شعوب العالم الثالث أو بسبب الرجعية المحلية في هذه البلدان نفسها التي عملت على قيام بنى اجتماعية_ اقتصادية مشوهة تعتمد أكثر على العلاقات الاستغلالية و السيطرة و التبعية. [1]

و إذا كان ثمة اتفاق عام على أن خطط التنمية المنشودة في أي قطر نام ينبغي أن تركز على محددين أساسيين هما: تراكم رأس المال و العنصر البشري باعتبارهما الممر الاجباري لأي عملية تنموية[2]، فإننا و من منطلق هذه الورقة سنركز على العنصر البشري و بالتحديد على دور المرأة في التنمية و ما يقابله من تحديات، خاصة ما يتعلق منها بالجانب الثقافي فالعنصر الثقافي في المجتمع من أهم العوامل التي يؤدي إغفالها إلى إعاقة العملية التنموية.

فإذا كانت المرأة في المجتمع تشكل قوة لا يستهان بها من حيث العدد، فمن البديهي القول بأنه لا يمكن استبعاد هذا العدد أو عزله عن المشاركة في عملية التنمية، إذ لا تنمية أو حضارة أو تقدم دون مشاركة جميع أفراد المجتمع، و من البديهي أن الوصول إلى المشاركة المثلى للمرأة في التنمية يتطلب توفير مجموعة من المقومات منها: الذاتية كالتعليم، التأهيل و التدريب و الوعي الاجتماعي بالإضافة إلى المقومات الخارجية: من قاعدة عمل اقتصادية تتوفر فيها فرص العمل المناسبة كما تتوفر بجانبها مجموعة من الخدمات الاجتماعية المساعدة على دخول المرأة إلى الميادين المختلفة [3].

فإذا ألقينا نظرة على واقع المرأة في مجتمعنا ومدى مساهمتها في عملية التنمية المنشودة سواء الاجتماعية أو الاقتصادية فإننا نجدها تواجه العديد من العقبات خاصة ما يتعلق بالموروث الثقافي و تأثيره على تمكين المرأة و فعاليتها في المجتمع.

وهنا يمكن أن نطرح التساؤل التالي: ما هي المعوقات أو العقبات التي تضعف أو تحد من مساهمة المرأة في عمليات التنمية الاقتصادية و الاجتماعية في مجتمعنا الجزائري ؟

المرأة و التنمية وجهان لعملة واحدة فالنمو لم يعد يكتفي بإنعاش المجتمع اقتصاديا و اجتماعيا فحسب، و إنما أصبح يهتم بتوزيع فوائده توزيعا عادلا بما يوفر للأفراد أسباب المشاركة و فرص اتخاذ القرار و العمل و تمكينهم من المساواة في كل مراحل النمو المنشودة، فالتنمية بصفة عامة عملية مقصودة هدفها و وسيلتها الانسان مهما اختلف جنسه (ذكرا أو

انثى) فهي تسعى إلى تحقيق نمو متكامل اقتصاديا اجتماعيا وسياسيا و ديموغرافيا، باعتبار التنمية موارد مادية يقوم الانسان باستثمارها من خلال نظام اجتماعي سياسي يدرك ضرورة احداث النمو و يتفاعل معه و يخطط له [4].

و من الملاحظ أن مشاركة المرأة في التنمية تواجه عدة تحديات ، منها تحديات داخلية خاصة بالمرأة ذاتها وأخرى خارجية مرتبطة بالبناء الاجتماعي ونظمه وثقافته، مما دعا العالم بأسره إلى الاهتمام بقضية تمكين المرأة وإدماجها في التنمية المستدامة .

و يتفق كثير من علماء الاجتماع على أن إشكالية المرأة والتنمية ليست ذات قطب واحد ولا يمكن حلها بمساواتها بالرجل، وإنما تتمثل في القضاء على جميع أشكال وصور التمييز.

كما يتفق بعض الدارسين الاجتماعيين على أن هناك اتجاهات ثلاثة تتناول قضايا إدماج المرأة في التنمية منذ نهاية القرن العشرين للحفاظ على البناء الأسري ووظائفه.

الاتجاه الأول هو ما يسمى بنموذج التنمية البشرية المستدامة Human Development Sustained الذي يعني بتمكين جميع أفراد المجتمع وتنمية قدراتهم إلى أقصى حد ممكن من خلال التعليم والتدريب وخلق فرص عمل مناسبة .

ويركز **الاتجاه الثاني** على ظاهرة العولمة Globalization Phenomenon باعتبارها عملية كلية تشكل أبعادا اقتصادية ، وتكنولوجية ، واجتماعية وثقافية متداخلة ومترابطة فتتضمن العولمة في هذا الإطار بعدين أولهما فني تقني وثانيهما أيديولوجي فكري.

ويرتبط **الاتجاه الثالث** بتمكين المرأة الذي ظهر على يد عدد من مفكري دول العالم الثالث من النساء المنتميات إلى مجموعة DAWN Development Alternatives with Woman for New Era التي تعني تنمية بمشاركة المرأة من اجل عصر جديد، ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن الإبعاد المجتمعية المتمثلة في العوامل الاج تماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تعمل على قهر واستغلال المرأة ترتبط بعوامل محلية وإقليمية ودولية تعمل على تكريس النظرة الدونية للمرأة وعدم قدرتها على المشاركة الفاعلة في التنمية.

وعليه ظهر اتجاه عالمي لتمكين المرأة من حقوقها الاجتماعية والسياسية، ومن نصيبها العادل من ثروات المجتمع المادية واللامادية. وترتب على ذلك أن تصبح أجندة المرأة واحدة من أهم حركات النظام العالمي، وتضمن مفهوم التنمية اضافة إلى المعايير الكمية الاقتصادية معايير اجتماعية قيمية كقياس مستوى الحريات العامة ، ودرجة المشاركة السياسية المتاحة والوصول إلى مراكز اتخاذ القرار .

كما يرتبط موضوع المرأة والتنمية بأبعاد مختلفة منها ما هو كمي ومنها ما هو كيفي وآخر مؤسسي، فتتأثر المرأة بكل ما يقدم إليها من خدمات اجتماعية ونوعيتها ، فسعت برامج العمل الدولية إلى وضع استراتيجيات عمل متعددة بدأت بهدف إزالة المعوقات التي تحول دون تحقيق العدالة والمساواة في مجالات التشريع والتعليم والعمل والصحة، ثم تطورت تلك الاستراتيجيات عند وضع الأهداف التنموية للألفية الثالثة ، هذه الأهداف فعلت دور المرأة في الأسرة والمجتمع على حد سواء.[5]

لكن و رغم كل تلك الجهود لا تزال المرأة تواجه العديد من التحديات في مجتمعنا التي تقف حاجزا بينها و بين المشاركة الفعالة في عمليات التنمية رغم كل طاقاتها و امكانياتها يمكن تلخيصها في مجموعة من النقاط مع مناقشة لبعض الآفاق فيما يلي:

1- لا يزال الجدل دائرا حول حقوق المرأة فى العمل بالرغم من توافر قاعدة عريضة من النصوص الفقهية والتشريعية الوضعية أو الدستورية المؤيدة لعمل المرأة، فالمجتمع لا يزال ينظر إلى المرأة باعتبارها تنتزع فرص العمل من الرجل من ناحية، مما ينعكس على تفعيل القوانين الوظيفية و تنفيذها على ارض الواقع فى صور متعددة منها ما تثبته الدراسات من تدنى راتب المرأة عن الرجل لنفس نوع الوظيفة والكفاءة والوقت وانحسار وظائف الكثير من النساء فى طبيعة أعمال من وجهة نظر المجتمع تتناسب وطبيعتها (ممرضة، مدرسة ابتدائي، طبيبة نساء وتوليد، تحاليل، مهندسة ديكور، مرؤوسة وليست رئيسة عمل).[6]

2- تتصف غالبية المجتمعات العربية بما فيها الجزائر بأنها مجتمعات ذكورية، تهيمن فيها صورة الرجل ككاسب للرزق و المرأة كربة منزل و واجباتها الاعتناء بشؤون الأسرة اليومية و رعاية الأطفال و تربيتهم...مع الاعتقاد بأن تعليم المرأة و عملها سيؤديان إلى تحملها أعباء و مسؤوليات تفوق قدراتها و إمكانياتها، و هي ليست بالأساس من واجباتها مما يتطلب منها طاقات إضافية لتستطيع إنجاز كل ما يجب في الزمن المحدد و في أكمل وجه، أو ستضطر للتخلي عن الكفاءة في الأداء، وربما الاختيار بين أحد الدورين داخل أو خارج المنزل و هذه الأفكار هي فعلا ما يحد من مشاركة المرأة في التنمية المنشودة. [7]

3- خضوع المرأة لسلطة الأب و الأخ ثم الزوج في القرارات التي تخص التعليم أو اختيار نوعه و مدته، كما أنها ليست صاحبة القرار للالتحاق بالدورات التدريبية و كذلك فيما يخص اختيار المهنة.

فانخفاض دافعية الفتيات للانخراط فى الكليات العلمية فى الجامعات ، و مشاريع البحث والدراسات العلمية بتأثير الموروث الثقافي والعادات والتقاليد، فالنسبة

الغالبة من الفتيات ملتحقات بكليات العلوم الإنسانية، حيث تصب معظم التخصصات التي تدرسها هذه الكليات فى تعزيز الدور التقليدي للمرأة كمدرسة و مربية، كما أن هذه التخصصات لا يوجد عليها طلب كبير في سوق العمل بينما يقل التحاقهن بشكل ملحوظ فى الفروع المطلوبة لسوق العمل مثل: الهندسة، الري، البيطرة...[8]

4- و لعل أصعب ما يواجه قضية المرأة فى مجتمعنا استمرار التعامل مع هذه القضية باعتبارها حركة نسائية تدعو إلى التحرر ومزيد من الحريات أكثر من كونها قضية لها منهاجيات لتحقيق فكرة إدماج المرأة فى التنمية الشاملة Gender Mainstreaming ، وهو المدخل أو الفكر الذى يقود ويؤجج الجدل حول الدين وعلاقات وأدوار الرجل والمرأة فى الحياة العامة، وداخل الأسرة بدلا من توجيه الجهد إلى إيجاد الآليات المؤسسية لتفعيل المساواة الحقيقية بالقطاع الاقتصادى وعلى ارض الواقع العملى لصالح النمو والتنمية.

ومن هنا فإن التحدى يكمن فى توعية واعتراف الحكومات ومتخذي القرار بمدخل السياسات المستجيبة **للنوع الاجتماعى** كمنطلق لتبنى سياسات تأخذ فى الاعتبار نتائجها وأثرها على المرأة قبل إصدارها.

وان حل قضية المرأة: بتواجد المرأة عدديا فى مواقع العمل، بدلا من تحليل أوضاع المرأة الكيفية داخل العمل الذي يجعل من قضية المرأة قضية احتكاك وصراع بين الرجل والمرأة، فمما لا شك فيه ان تواجد المرأة فى كل المواقع الوظيفية على تنوعها واختلاف مستوياتها يعبر عن تقدمية المجتمع فى قبول دور المرأة المجتمعي.

على ان تحسين أوضاع المرأة فى سوق العمل خاصا كان ام حكوميا يحتاج إلى إصلاح الهياكل الوظيفية من خلال إيجاد منظومة من آليات ومعايير للشفافية وتكافؤ الفرص، لإتاحة الفرص للجميع دون ترك مساحات من التقدير الشخصي على أساس الجنس أو النوع ناهيك عن فرص المرأة فى الحصول على التدريب الوظيفي والمهنى فى داخل العمل أو توفير فرص التدريب للمرأة عند عودتها للعمل بعد انقطاع نتيجة لقيامها بأعباء الأسرة.

يعتبر **الالتزام بالتخصيص المالى** لتمكين المرأة الاقتصادى من أهم الآليات المؤسسية المتصلة من ناحية بإيجاد فرص لعمل المرأة الحر فى مستويات اقتصادية متناهية وصغيرة ومتوسطة الحجم من ناحية، ومن ناحية اخرى توفير المشروعات والخدمات الاجتماعية اللائقة لتمكين المرأة من المشاركة الاقتصادية، والذى يعرف على مستويات التخطيط القومى بالموازنات المستجيبة **للنوع الاجتماعى**. Gender Budgeting .

رغم كل الانجازات والمكتسبات التى تحققت للمرأة العربية فى العقود الأخيرة تظل قضية المشاركة الاقتصادية للمرأة تمثل إشكالية تؤثر على معدلات التنمية فى البلدان العربية.

ففى التقرير الصادر من البنك الدولى عام 2003 عن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعنوان Unlocking the employment potential in the Middle East and North Africa، فإن البنك يؤكد أن حجم مشاركة المرأة العربية فى سوق العمل فى بلدان الوطن العربي هى الأدنى بين دول العام وان كانت تتفاوت فيما بينها.

وفى عام 2004 أصدرت منظمة العمل الدولية تقريرا بمناسبة اليوم العالمى للمرأة أشارت فيه إلى انه بالرغم من ان النساء يدخلن سوق العمل بأعداد قياسية فإنهن يواجههن نسبا أعلى من البطالة ويعملن مقابل أجور متدنية، فهن يمثلن حوالى 60٪ من إجمالى العمال الفقراء فى العالم والذي يقدر عددهم بـ: 550 مليون عامل.

وعلى الرغم من ان الفجوة بين عدد الرجال والنساء فى قوة العمل آخذه فى النقصان منذ عام 1993 فى جميع أنحاء العالم، فإن نقصان هذه الفجوة فى تفاوت من إقليم لآخر فعلى سبيل المثال، فإن نسبة النساء العاملات إلى الرجال فى الاقتصاديات المتحولة وشرق آسيا 91 و83 مقابل كل 100 رجل، بينما فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجنوب آسيا فهي 40 امرأة مقابل كل 100 رجل. وحتى فى المهن التي هي من الناحية الثقافية والهيكلية، تعتبر من قبيل الوظائف النسائية كوظائف التمريض والتدريس، فإن النساء يحصلن على أجور اقل من الرجال بشكل عام فيها.

5- ضعف تقديرات الذات عند المرأة بتأثير أنماط التنشئة الاجتماعية والموروث الثقافي، حيث لم تطرح قضيتها الأساسية ضمن رؤيتها لنفسها على أسس أنها مورد انساني تتوزع طاقاته وقدراته فى مختلف المجالات والفروع، بل استغرقت فى نضالها المطلبي وانساقت وراء جزئيات متفرقة تحررها من اضطهاد الرجل أو المساواة به في جميع الميادين أو تعديل بعض التشريعات والنصوص أو الخروج للعمل بصرف النظر عن نوعه ومردوده [9].

و تجدر الاشارة إلى أن أحد معوقات مساهمة المرأة في العملية التنموية هو شخصية المرأة في حد ذاتها، التي مازالت تعاني السلبية و عدم الثقة بالنفس، و أن الهدف الأول لها يتركز في حياتها الزوجية و حياة أطفالها، هذه العوامل مجتمعة تمثل ظواهر لا يمكن إغفالها على الرغم من أن أسبابها ترتبط بعملية تربوية، فمكانة الفتاة هي دون مكانة الفتى، و أساليب التربية لا تغذي فيها روح التفوق و الابداع في العمل المهني بل تغرس فيها ما يتيح للرجل اتخاذ القرارات الخاصة بها، إن هذا النمط من التنشئة

ينسحب على الجنس الآخر فهو يزرع في مخيلته التفوق البيولوجي و الاجتماعي والذي ينسحب على سلوكه اتجاه المرأة.

و ربما يكون أحد أسباب ضعف مساهمة المرأة في ميادين المجتمع المختلفة هي انعكاس لطبيعة العلاقة بين الجنسين، فالرجال ينقلون نظرتهم الخاصة عن المرأة إلى ميادين العمل و يعاملون النساء العاملات في مؤسساتهم في ضوء هذه المنطلقات فالنساء مثلا غير مؤهلات لتحمل مسؤوليات كبرى وعملهن غير ضروري.[10]

6- الاعتقاد بأن التعليم ثم العمل يفقد المرأة فرصة الزواج المبكر: فرغم التأكيد على ضرورة التعليم فإن هناك بعض العادات و التقاليد التي ما تزال تسيطر على سلوك الأفراد، و التي يمكن أن تشكل عائقا أمام تنمية المجتمع و هي الزواج المبكر، و الذي من شأنه أن يؤدي إلى الحرمان من التعليم و عدم مواصلته، ذلك لأن طبيعة التنشئة الاجتماعية غرست في أذهان الأولياء أن المكان المناسب للفتاة هو البيت و بالتالي لا داعي لذهابها ألى المدرسة أو الاستمرار في التعليم، وهذا من شأنه أن يؤثر سلبيا في عملية التنمية الاجتماعية ذلك لأن التمسك بمثل هذه العادات و دفع الفتاة إلى الزواج المبكر حال بلوغها يترتب عليه بقاء الأمهات أميات أو على مستوى حدود جدا من التعليم مع تدني مستوى الوعي لديهم و كل ذلك ينعكس على تربية النشء[11].

هذا من ناحية و من ناحية أخرى أكدت الدراسات أن المرأة أصبحت لا تقبل الزواج مثلما كانت عليه في الماضي إلا بعد أن تضمن مستقبلها المهني فنجدها قد ترفض أو تتزوج وفقا لشروطها الخاصة [12] و هذا ما يراه بعض الأطراف أحد عوامل انتشار ظاهرة تأخر الزواج و العنوسة بين النساء و هو ما لا يمت بأي صلة لأي شكل من أشكال التنمية.

7- يمكن الاشارة أيضا إلى دور النسق القيمي و الثقافي في تحديد إشكالية : مدى مشاركة عمل المرأة في عملية التنمية أو أنها تقف عائقا لها، فالقيم الثقافية تمارس دورا فعالا في عملية التنمية داخل المجتمع حيث تمثل القيم السلبية عائقا خطيرا أمام جهود التنمية و هنا تبرز الأبعاد الثقافية للتنمية في علاقتها بالقوة العاملة وخاصة النسوية، حيث إذا كانت القيم الثقافية تؤيد عمل المرأة فستعتبر عملها ذو انتاجية و مجهودها مقدرا و دورها فعالا في عمليات التنمية، غير أن البعض يرى أن لعمل المرأة آثارا سلبية على عملية التنمية فالمرأة العاملة من وجهة نظرهم إذا ما تزوجت و أنجبت أولادا أصبحت أكثر تهاونا و استرخاء في القيام بمسؤولياتها العملية، ما ينتج عنه ظواهر عديدة تتمثل أساسا في: عدم انتظامها، كثرة التأخر، الغياب، الانقطاع عن العمل

بمبرر و بدون مبرر و رغبتها في الانصراف قبل المواعيد المحددة مما يخلق لها المشاكل مع الرؤساء و المسؤولين و الزملاء و هذا ما يؤثر على أدائها العملي بالسلب. [13]

8- وعلى الرغم من أهمية ما سعت إلى تحقيقه خطط التنمية، وفقًا لرؤية منطقية تتوافق مع العقل ولا تتنافى مع الأديان والشرائع فقد أغفلت إلى حد ما التركيز على القضية الأصل أو المرتكز الأساس في كل هذا ، وهو توفير القاعدة الاقتصادية المستقلة القائمة على النشاطات الإنتاجية والتي تعتمد على تشغيل كل القوى الاجتماعية القادرة على العمل والتي تعد المرأة انسانًا ومواطنة عاملة ذات إنتاجية تسهم في الاقتصاد ووفق قيمة مقاسة سواء كانت تعمل داخل المنزل أم خارجه وذلك وفق ما تحققه من نتائج. [14]

هذه المعوقات بمجملها تجسد مظاهر التمييز و الرجعية لدى مجتمعاتنا حيث نرى أن أعدادا متزايدة من النساء لا يحصلن على التدعيم أو التشجيع لتنمية و توظيف قدراتهن على قدم المساواة مع الرجال فهناك عوامل ثقافية و اجتماعية تقف عائقا دون حصولهن على قدر متساو من مستويات التعليم و الصحة و فرص العمل و تتظافر أنماط التنشئة الاجتماعية التقليدية و الممارسات التمييزية في العائلة لتعزز استمرار اللامساواة فيما يحتاج مجتمعنا إلى تكامل جميع القدرات لتحقيق التنمية الشاملة يظل نصف هذه الطاقات عرضة للإهمال.

و في هذا الاطار يمكن ادراج بعض الآفاق :

* ضرورة ادماج عنصر تنمية المرأة و مقومات تمكينها ضمن أولويات التنمية الوطنية.
* التوعية الفكرية المؤسسية للمفهوم الحقيقي للتشريع و النص الديني حول مكانة المرأة في الأديان و أهمية عملها و مشاركتها في تنمية الوطن.
* الارتقاء بالخدمات الاجتماعية بما يتوافق مع متطلبات العصر و تبيان أهمية دورها في إزالة عوائق خروج المرأة للعمل.
* تمكين المرأة للتعامل الواعي مع ظاهرة العولمة و التوسع في إنشاء مراكز للتدريب المهني و التقني للنساء.[15]

خاتمة:

إذا ما أريد لمفهوم التنمية أن يغدو طريقة في التفكير و العمل، لمواجهة ما يحيط بنا من تحديات فيجب أن يستهدف تحقيق الغايات الانسانية الأسمى: الحرية العدالة المساواة و الكرامة، فيتفق مع تعريف التنمية بوصفها اكتساب الحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و المدنية لجميع المواطنين و الأفراد و تجسيدها في التحسين المستمر لمستوى المعيشة المادي و الروحي، فلا تقتصر التنمية على أن تكون تحسين مستوى المعيشة و إشباع حاجات الانسان الأساسية القائمة على التنعم المادي بل لتصبح تيارا فكريا ينمو في اتجاه أكثر شمولية يتسع للجوانب المعنوية في الحياة الانسانية الكريمة مثل تحقيق الذات و التمتع بالكرامة الذي ينبع من المشاركة الفعالة لكل أفراد المجتمع جنبا لجنب ذكورا و إناثا في شؤون المجتمع كافة.

قائمة بالمصادر و المراجع:

1- نورية علي حمد و آخرون، المرأة و التنمية في الجمهورية اليمنية، سلسلة دراسات المرأة اليمنية في التنمية رقم 1 ، وزارة التأمين و الشؤون الاجتماعية، صنعاء، 1990، ص03

2- وليد خصام، العلاقة بين التنمية الاجتماعية و الاقتصادية و النمو السكاني بالجزائر بين النظري و الواقع دراسة تحليلية من 1990 إلى 2010، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع و الديموغرافيا، باتنة، السنة الجامعية 2013-2014، ص35.

3- رحاب الشيخ ابراهيم: العقبات التي تضعف دور المرأة و مساهمتها في التنمية الاقتصادية pdf.3-alolabor.org /final /images /stories /ALO /.../83 اطلع عليه بتاريخ 04 مارس 2015 على الساعة 9.30

4- اسماعيل حسن: أبعاد التنمية، مطبعة النهضة ، الأردن، بدون طبعة، 1982، ص10.

5- علي الطراح، تمكين المرأة الخليجية بين تحديات مجتمعية و رؤى مستقبلية، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر المجتمع المدني و تمكين المرأة العربية، البحرين، فيفري 2006، ص01.

6- الأمانة العامة للقطاع الاجتماعي و ادارة المرأة، التحديات التي تواجه مساهمة المرأة في التنمية الشاملة، ورقة مقدمة إلى ورشة عمل تنمية المهارات المهنية و القدرات التنافسية للمرأة العربية، دمشق، يوليو 2009، ص05.

7- آسيا غزال، دور المرأة العاملة في عملية التنمية الاجتماعية قطاع التعليم، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع تنظيم و عمل، باتنة، السنة الجامعية 2002-2003،ص 45.

8- المجلس القومي للمرأة، التقرير الوطني لجمهورية مصر العربية، بيكين ، ماي 2014، ص 44.

9- نفس المرجع، ص 45.

10- ضامر وليد عبد الرحمن، التحليل الاجتماعي لوضع المرأة في الفكر العربي الحديث، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية لجامعة حسيبة بن بوعلي العدد02، الشلف،2009 ، ص18.

11- هناء جاسم محمد السبعاوي، أثر الزواج المبكر للفتيات في عملية التنمية الاجتماعية دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة دراسات موصلية العدد 18، تشرين الثاني2007، ص ص 101-102.

12- فرحات نادية، عمل المرأة و أثره على العلاقات الأسرية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الانسانية لجامعة حسيبة بن بوعلي العدد08، الشلف،2012، ص133.
13- نفس المرجع، ص133.
14- رحاب الشيخ ابراهيم، مرجع سبق ذكره، ص05.

تأثير المخدرات على العلاقات الاجتماعية عند المراهق
دراسة ميدانية بمركز علاج المدمنين «أبو بكر بلقايد» بولاية البويرة

أ. سعيد زيوش، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

الملخص:

إن المخدرات ظاهرة قديمة عرفها الإنسان منذ القدم , قد تبدأ بالمواد الغذائية و النباتية كالقهوة و الشاي و غيرها، و كذا الإدمان على التدخين الذي يعبر عن ظاهرة تاريخية و قد يصـــل إلى مستويات خطيرة كالمواد المخدرة و غيرها، كما قد تسبب الخمور و المسكرات و المخدرات و العقاقير المخدرة مخاطر و مشكلات عديدة في كافة أنحاء العالم و تكلف البشرية خسائر تفوق ما تفقده أثناء الحروب المدمرة، حيث قد تسبب المشكلات الجسمية و النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية و التي تحتاج إلى تضافر الجهود المحلية و الدولية لمعالجتها.

Abstract :

Despite widespread concern regarding the effects of teenage drug use, there has been little effort to establish specifically what long-term consequences arise from such use and whether these adverse outcomes may be mitigated by a supportive social network.

Specific use of cannabis increased health and family problems. Alcohol use, which was not reflected in General Drug Use, had no specific negative effects, but it reduced loneliness in romantic relationships, self-derogation, and family problems.

مقدمة :

إن ظاهرة الإدمان على المخدرات لم تعد مشكلة محلية تعاني منها بعض الدول الكبرى أو الصغرى أو بلدان محلية أو إقليمية، بل أصبحت مشكلة دولية تتكاتف الهيئات الدولية والإقليمية لإيجاد الحلول الجذرية لاستئصالها أو الحد منها وترصد لذلك الكفاءات العلمية و الطبية و الاجتماعية لمحاولة علاج ما يترتب عنها من أخطار إقليمية ودولية و تنفق الأموال الطائلة لتضييق الحد من تفشيها و انتشارها .

حيث تعتبر ظاهرة الإدمان من المشكلات الـــــتي أصبحت تشكل الشغل الشاغل للأفراد و الجماعات على حد سواء حيث تحولت هذه الأخـــيرة بأنواعها إلى مأساة اجتماعية بعد أن شملت أغلب شرائح المجتمع و قد أظهرت عمليات الحجز التي تقوم بها مصالح الأمن و الدرك الوطني عبر الحدود أن المجتمع الجزائري أصبح مستهدفا من طرف المخدرات، حيث دعا مختصون في الأمراض العقلية الى تطبيق مادة 6 من القانون الجزائري 2004 حول الإدمان بمنح لمدمنين خيار الخضوع للعلاج أو السجن عند الإمساك بهم متلبسين يتناول المخدرات و ذلك عبر كامل التراب الوطني للحد من تطور ظاهرة الإدمـان على المخدرات و تؤكد التصريحات الأخيرة للمسئولين أن عدد المدمنين يفوق بكثير60 ألـــف مدمن بينما تشير الإحصائيات الى أن عدد الجزائريين المدمنين على المخدرات بلغ 300 ألــف مدمن لسنة 2013[1] .

وحسب المنظمة الوطنية لترقية الصحة فان عدد المدمنـين على المخدرات في البلاد يتراوح بين 250 ألف مدمن و 300 ألف مدمن و أن 50٪ من المدمنين يستهلكون القنب الهندي و 40 ٪ الأقراص المهلوسة و تشير إحصائيات الديوان لمكافحة المخدرات الى أن نسبة المدمنين في الوسط التربوي بلغ 13 ٪ منهم 4 ٪ مـن الفتيات كما كشفت دراسات ميدانية أخرى بالجزائر أن 13 ٪ منهم من الطالبات بالجامعات يتعاطون المخدرات[2].

حيث أن الجهود لم تنجح في كبح قوى العرض فإن البديل الأنسب هو العمل على تقليـل الطلب على المخدرات، فيعتبر الشباب ثروة كل مجتمع و معين طاقاته، و هو ظاهرة نفسية اجتماعية و قوة إنسانية بخصائصه و مميزاته الجسمية و العقلية و الانفعالية الفطرية و سماته الاجتماعية التي يكتسبها من خلال الإطار الثقافي التربوي في محيطه فتعاطي الفرد للمخدرات قد يؤدي إلى تفكك الأسر و تصدعها بمختلف أشكال التفكك المعهود سواء الطلاق و الانفصال و تدهور الظروف الاجتماعية و بالتالي انهيار الأسرة التي تعتبر من أهم المكونات الأساسية للبناء الاجتماعي لما تقدمه من وظائف اجتماعية مختلفة فأي تغيير أو اضطراب في وظائف الأسرة، قد تؤدي إلى انهيار الروابط الأسرية و الدعائم الأساسية التي تقوم عليها الأسرة و المجتمع. فقد حاولت بعض الدراسات العربية و الأجنبية محاولة الكشف عن العوامل و الأسباب المؤدية الى تعاطي الشباب و خاصة المراهق منهم للمخدرات و مدى تأثير هذه المشكلة أو الظاهرة على البيئة الأسرية بصفة خاصة و البيئة الاجتماعية بصفة عامة و بناءا على ما سبق جاءت هذه الدراسة كمحاولة للإجابة عن التساؤل الرئيسي للدراسة كالآتي :

ما هي آثار تعاطي المخدرات على العلاقات الاجتماعية عند المراهق؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي التساؤلات الثانوية الآتية:

1 – هل الإدمان عند المراهق يؤدي إلى التفكك الأسري؟

2 – ما هي الأسباب و العوامل المؤدية الى ظاهرة تعاطي المخدرات؟

3 – هل هناك علاقة بين التفكك الأسري و إدمان المراهق للمخدرات؟

فرضيات الدراسة:

1 – إن الإدمان قد يؤدي إلى التفكك الأسري عند المراهق.

2 – هناك أسباب اقتصادية و اجتماعية و نفسية لتعاطي المخدرات عند المراهق

3 – هناك علاقة وطيدة بين التفكك الأسري و إدمان المراهق للمخدرات

أهمية وأسباب الدراسة :

نستعرض من خلال بحث إلى تأثير تعاطي المخدرات على العلاقات الاجتماعية عند المراهقين في الأسباب التالية:

* كثرة المتعاطين للمخدرات خاصة في المجتمع الجزائري عند الشباب المراهق.
* اهتمامنا بظاهرة تعاطي المخدرات و تأثيرها على التفكك الأسري .
* كوننا شاهدنا شباب يتعاطون المخدرات داخل المؤسسات التربوية و حتى في الحرم الجامعي عدة مرات.
* تنامي ظاهرة المخدرات حيث أصبحت هاجسا و انشغالا و تخوفا من طموح وسط الشرائح الواسعة من الشباب من إدمان فئة الذكور الى فئة البنات و حتى الأطفال في مختلف العمر.
* محاولة إبراز آثار المخدرات صحيا و نفسيا على المراهق في الجزائر.
* محاولة تسليط الضوء على حساسية مرحلة المراهقة و مختلف الاضطرابات النفسية التي يعيشها المراهق و التي يمكن للمخدرات أن تلعب دورا كبيرا في التأثير على نفسية المراهق.

- تحديد المفاهيم الرئيسية:

التعريف اللغوي للمخدرات: جاء في لسان العرب الخدر: يستر بمد للجارية من ناحية البيت ثم صارما و راك من البيت و نحوه خدرا، و الجمع خدور و أخدار , و لخدر مدلول يخشى أعضاء الرجل واليد و الجسد، و قد خدرت الرجل بخدر، و الخدر من الماء و الدواء، فتور يعتري الشارب و ضعف، و الخدر: الكسل و الفتور، و الخدر في العين فتورها : و قيل هو ثقل فيها من قذى يصيبها [3].

التعريف الاصطلاحي للمخدرات : تعرف الموسوعة العربية المخدر بأنه مادة تسبب في الإنسان و الحيوان فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، قد تنتمي إلى غيبوبة تعقبها وفاة.»

و يعرفها قاموس أكسفورد المختصر بأنها « المواد الأصلية البسيطة الطبية و العضوية منها و الغير عضوية التي تستخدم وحدها كمادة فعالة «[4] .

التعريف القانوني للمخدرات : هي مجموعة من المواد المحضر أو الممنوع تداولها أو زراعتها أو تصنيعها إلا لأغراض قانونية يحددها القانون حيث تستخدم بواسطة ترخيص لها من قبل الدولة فهي مواد كيميائية تسبب النعاس أو النوم الغير طبيعي أو غياب الوعي لتسكين الآلام لذلك لا تعتبر المنشطات و العقاقير المهلوسة مخدرات بينما يعتبر الخمر و الكحول من المخدرات [5].

مفهوم الإدمان: هو الخضوع و الحاجة المستمرة الى المواد المخدرة بحيث لا يمكن الاستغناء عنها و يجعل الشخص يتعاطى المخدرات بصورة مستمرة بلا انقطاع و لا تحكم حتى يصل الى مرحلة التي يصبح فيها الفرد غير قادر على التخلص من هذه المادة المخدرة[6].

و يعرف أيضا على أنه تعود الملح و مز من يدفع الفرد المدمن الى تعاطي مادة معينة بصورة مستمرة و متكررة و الحصول عليها بأي طريقة و الميل الى زيادة في الجرعات من وقت لآخر، لأنها تؤثر عليه يصعب الإقلاع عنها و اعتماد الفرد نفسيا و جسديا على هذه العقاقير أو العقار.

و يعرف مصطفى سويف الإدمان بأنه '' التعاطي المتكرر لمادة نفسية لدرجة أن المتعاطي أو المدمن يكشف عن انشغال شديد بالتعاطي، كما يكشف عن عجز أو رفض، أو انقطاع . أو حتى تعديل تعاطيه و كثيرا ما تظهر عليه أعراض الانسحاب إذ ما انقطع عن التعاطي وقد عرفته لجنة خبراء المخدرات التابعة لهيئة الصحة العالمية على أنه '' حالة تسمم دوريات أو مزمنة ينتج عن تكرار تعاطيها عقار طبيعي أو مصنوع '' .

و تعرفه المنظمة العالمية للصحة بأنه « الحالة النفسية أو العضوية التي تنتج عن تفاعل العقار هو في الجسم الإنسان و تؤدي الى التبعية »[7].

الشهوة **أو** اللذة القاسية القوية للمواد المخدرة التي تعود«**mobert sillamy** وهو ما جاء

التعريف الإجرائي: نقصد بالإدمان في دراستنا تلك الحالة . من التعود على التعاطي المستمر و المتكرر للمواد المخدرة بمختلف الأنواع و الأشكال و الحصول عليها بأي طريقة و الميل الى الزيادة في الجرعة من وقت لآخر[8].

الأسرة: و يعرفها «محمد لبيب النجيحي» على أنها « الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل الطفل معها و يعيش السنوات الشكلية الأولى من عمر هذا السنوات التي يؤكد علماء النفس والتربية على أن لها تأثير كبير في تشكيل شخصيته [9].

الأسرة: و يعرفها «أوغست كونت» على أنها الخلية الأولى في الجسم المجتمع هي النقطة التي يبدأ منها في التطور يمكن مقارنتها في طبيعتها، جوهر وجودها بالخلية منها في الحية في التركيب البيولوجي للكائن الحي و هو أول وسط طبيعي و اجتماعي نشأ فيه الفرد و تلقى عنه المكونات الأولى للثقافة و تراثه الاجتماعي [10].

التنشئة الاجتماعية : هي عملية تثبيت التي تستمر طوال الحياة كلها، حيث يتعلم الفرد القيم و الرموز الرئيسية للأنساق الاجتماعية التي تتشارك فيها و التعبير عن هذه القيم في المعايير لكون الأدوار التي يؤديها هو و الآخرون فهي عملية تتم فيها التنشئة من مراحل الطفولة يمارسها طوال حياته و في هذا الخصوص و هي تضع أدوار معينة لكل من الجنس .

التعريف ا لإجرائي للتنشئة الاجتماعية: هي الطريقة التي من خلالها تحول الإنسان عن الكائن البيولوجي الى كائن اجتماعي يعيش ضمن محيط اجتماعي معين له عادات و تقاليد و قيم بهدف تحقيق التكيف و الاندماج فيه [11].

التفكك الاجتماعي: مصطلح يطلق لوصف وضع انحلالي يعتري مؤسسات المجتمع التوافق القائم بين الشخصية و الثقافة و يؤدي الى انتشار الفوضى و الاضطراب وبالتالي يؤدي الى انهيار المعايير و تصدع القيم السائدة و ينشأ التفكك عادة أثر وقوع تغيرات اجتماعية سريعة كحدوث حروب و حلول الكوارث و انتشار الأوبئة ويتجلى من الإنفاق الجزائي أو التام في الاستجابة للقيم العامة [12].

التعاطي: هو أخذ المادة المخدرة بطريقة غير منظمة و دورية حيث يأخذ المتعاطي المادة المخدرة بالصدفة، و التسلية أو التقليد للأصدقائه و لكن غيابها لا يسبب له أية

مشاكل نفسية أو جسدية و هو هنا يتعاطاها في أوقات مختلفة و أماكن مختلفة . و هو التنازل غير المشروع للمخدرات بطريقة غير منتظمة و غير دورية و يتعاطاها الأفراد من أجل إحداث تغيير في المزاج أو في الحالة العقلية و لكن لا يعمل الى حد الاعتماد التام عليه.

التعريف الإجرائي: هو أخذ جرعة من المخدر و يكون بطريقة مختلفة و أماكن و أوقات معينة نتيجة في بعض الأحيان لضغوطات يتعرض لها أو لتحقيق نشوة ما [13].

الأسرة : و هي مأخوذة من الأسر و هو القوة و الشدة و لذلك تفسر أنها الدرع الحصينة.

* هي جماعة من الأشخاص يرتبطون عن طريق الدم أو التبني و يسكنون معا بصورة مستقرة و بينهم تفاعلات مستمرة نتيجة لقيامهم بأدوار اجتماعية معينة و من هنا تكون لهم حضارة مشتركة .

* و هي هذا الاتحاد القائم بين الكائنين الرجل و المرأة بصورة يقرها المجتمع هو (الأسرة) فالزواج مرحلة و شرط ضروري لقيام الأسرة و الأسرة نتاج التفاعل الزواجي و لكي نفرق بين المصطلحين نذكر أن الزواج هو تزوج منظم بين الرجل و النساء في حين أن الأسرة تدل على الزواج و مضاف إليه الإنجاب [14].

التعريف القانوني للأسرة:حسب المادة رقم 02 من قانون الأسرة الجزائري : «الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع و تتكون من أشخاص تجمع بينهم الصلة الزوجية و صلة القرابة»[15].

تعريف جماعة الرفاق: نعرف جماعة الرفاق على أنها جماعة تتألف من زمرة من الأولاد بتجميعهم و رفقتهم قصور الوسط العائلي و قسوة البؤس بحيث تمثل لهم جماعة وقوة و قدرة تشبع في نفس الوقت حاجتهم و الطمأنينة و توطيد الذات فيشعرون بأنهم مترابطون و أنهم عناصر واحد و أنهم يتوغلون بجرأة في اجتماعية تزيدها خطورة حاجتهم إلى التنافس [16].

التعريف الإجرائي لجماعة الرفاق: تعتبر جماعة الرفاق من الجماعات الاجتماعية المرجعية التي تلعب دورا مؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية خارج نطاق الأسرة و في المدرسة و خارجها.

تعريف المراهقة :هي مرحلة من مراحل تطور عمر التي تتوسط بين الطفولة و اكتمال الرجولة أو الأنوثة و ذلك بمعنى النمو الجسمي و نحسب بدايتها عادة ببداية البلوغ الجنسي الذي يتفاوت الأفراد فيها تفاوتا واسعا يصل في الأحوال العادية نحو خمس سنوات بين مبكرين و أخرى المتأخرين و تختلف المراهقة بين الشعوب والسلالات

المختلفة متأثرة في ذلك عوامل المناخ و العوامل الاستعدادية و البيئية المختلفة .

التعريف الإجرائي للمراهقة: المراهقة هي فترة متصاعدة من الناحية الجسمية، النفسية العقلية المعرفة و هي تمتد من السن حادي عشر الى سن العشرون و إن هذه الفترة التي يمر بها المراهق تتأثر بعوامل بيئية و مناخية مختلفة .

العلاقات الاجتماعية : هي نموذج الإجتماعي بين شخصيتين أو أكثر و يمثل هذا النموذج أبسط وحدة من وحدات التحليل السوسيولوجي كما أنه ينطوي على الاتصال الهادف و المعرفة المسبقة بسلوك الشخص الأخرى و قد تكون العلاقة الاجتماعية ذات أمر قصير و تكون طويلة المدى و في تلك الحالة يطلق عليها علاقة طويلة الأجل.

التعريف الإجرائي للعلاقات الاجتماعية: هي الروابط و الآثار المتبادلة بين الأفراد و المجتمع و تنشأ من طبيعة اجتماعية و تبادل مشاعرهم و احتكاكهم ببغضهم البعض و من تفاعلهم في المجتمع [17].

أولاً : الإطار النظري للدراسة :

1 – النظرية البيولوجية :

نظرية ستانلي هول « Stanley Holl » حيث ظهرت أول نظرية خاصة بالمراهق على يد « Stanley Holl » النفساني الأمريكي وسميت النظرية البيولوجية وتنص على مخطط مراحـــل البشر عبر العصور مسجلة في البنية الجينية لكل فرد حيث أن مراحل نمو كل فرد منـــذ الولادة الى سن الرشد تتناسب مع مراحل التطور البشري بأكمله وحسب S.holl المراهقة تمتد من 12 الى 24 سنة كما أنها تتناسب مع فترة ما قبل الحضارة حيث كان يعيـش الإنسان ضمن مجتمعات قبائلية وعشائرية في جو الاضطراب وعدم الاستقرار ومن تم فالمراهق بالنسبة إليه هو فرد غير مستقر يميل إلى الانعزال والى التقرب أحيانا خلال هذه المرحلة يدرك الفرد مفهوم القيم وذلك حسب إمكانيته العقلية والفكرية كما أنها مرحلة مهمة ذات اثر على الحياة المستقبلية تحدد فيها له الأدوار الاجتماعية.

كما أن S.holl يعطي أهمية لأثر المحيط في نظرة كل الأفراد يمرون بنفس المراحل مهما كان المحيط الاجتماعي و الثقافي الذي ينمو فيه الفرد بالإضافة الى انه يؤكد أن السلوكيات الغير المرغوب فيها اجتماعيا ما هي إلا انعكاس لمرحلة من التطور ا لبشري عبر التاريخ ومن ثم فلاشك أنها انعكاس سيختفي وذلك تبعا لمخطط التطور الجيني ودون تدخل من طرف المحيط [18].

2 – النظرية المعيارية أو النموذجية.(Arnold):

تأثر «ارنولد «Arnold بالنظرية البيولوجية وقد اقترح في بداية الخمسينات النظرية النموذجية للنمو فبالنسبة له يوجد نموذج لنمو الفرد حيث ان النمو يتم تبعا لأطوار متتابعة ومحددة زمنيا وذلك حسب المخطط الجيني الشترك بين جميع الأفراد كما أن المراهق في نظره عبارة عن سيرورة نضوجه حيث يتعرض خلالها المراهق لتغيرات على مستوى الجهاز العصبي المركزي والتركيبات البيوكمياوية هذه التغيرات تكون مرفقة بتغيير على مستوى تصرفات السلوكيات العاطفية فبالإضافة إلى انه اقترح فكرة عن التفاعل بين المراهق ووالديه فهو يشرح أن الوالدين أيضا في تطور و أن نوعية التفاعل الحادث بين كلا الطرفين تابعة لمدى تزامن تطورها بمعنى انه أما يبحث المراهق عن استقلاليته ويرغب تجريب مختلف الأدوار والسلوكيات التي تمكنه من التمتع بقدراته الفيزيائية المعرفية والاجتماعية الجديدة وعلى الآباء التخلي عن سلوك التوجيه الذي كان لما كان طفلا وتكليفه بمسؤوليات جديدة حتى يتوصل إلى استقلاليته [19].

إن النقد الذي وجه للنظرية البيولوجية هو عدم الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف الموجود بين الإناث و الذكور و تركيزه على العامل الزمني، و منه إهمال الفرق الموجود بين النضج المبكر و النضج المتأخر إلى جانب أنه لم يعطي الأهمية الكافية لأثر المحيط الاجتماعي والثقافي .

3 – النظرية الديناميكية للتحليل النفسي « أنا فرويد»:

ركزت «أنا فرويد» Anna Freud على أن النزوات الجنسية خلال المراهقة يمكن لها بعد بيولوجي وضيفتها هي التكاثر بينهما خلال الطفولة هي وسيلة لإشباع الذات وتزايد الطاقة الجنسية.

هل المراهقة يمكن أن تكون خطر بالنسبة للتحكم في الذات؟ فالإفراط في ا لنزوات (الهو) قد يؤثر ويضغط على (الأنا) ويصعب عليه تحقيق التكيف وفي هذه الحالة عدم تحمل الإحباط الناتج عن اندفاعية الفرد يمكن أن تصبح خاصية دائمة في سلوك المراهق، وبالمقابل فصعوبة التكيف يمكن أن تكون أيضا نتيجة التحكم والسيطرة المفرطة على النزوات الجنسية التي قد تؤدي إلى تراكم خطير للتوترات وتعتبر الحالتين أي الإفراط في النزوات والسيطرة المفرطة أنها تترجم السلوكات التي يسلكها المراهق (الحب، الكراهية، الانعزال، الإفراط في النشاط الاجتماعي) وهي تبين وجود صراع داخلي يعاني منه،هدفه خلق وتأمين التوازن بين التحكم في النزوات والإشباع الليبدي[20].

4-ـ نظرية «سيغموند فرويد «Sigmund Freud :

يعتقد «فرويد» بوجود طاقة جنسية تتحكم في النشاط العقلي والسلوك وهي كما يعتقد مسؤولة عن النوم الذهني، هذا الأخير يمر بخمسة مراحل تمتد من سن الولادة الى الثامنة عشر وسن المراهقة من أثنى عشر سنة إلى ثامنة عشرة سنة في نظره تشمل الطول الجنسي وهي تتميز باهتمام كبير بطرق الإشباع الجنسي.

خاصة بالراشد وبتضاعف النزوات الجنسية وهذه المرحلة تتضمن ركوض المراهق في مواقف أخرى فيقوم بتقمص مواضيع جديدة بدلا من أبيه ويتخلى عن الرغبة الموجهة عن أمه ليوجهها نحو مواضيع ونفس الشيء بالنسبة للفتاة. [21] وبالنسبة لهذه النظرية الهدف الرئيسي للفرد هو الوصول إلى الطور الجيني باعتبار الطريقة الرئيسية لإشباع الجنسي.

إن النقد الموجه لها هو أنها ركزت على الجانب الجنسي للمراهق فقط وأهملت جميع الجوانب الأخرى.

5- النظرية الانثربولوجية الثقافية:

تعتبر العالمتان «بورات روين» Beurette Ruin وMargaret Mead «مارغريت كيد « من رواد النظرية الانثروبولوجية حيث قامتا بمقارنة مختلف الظواهر في كل المجتمعات الغربية والمجتمعات البدائية حيث تناقض هذه النظريات البيولوجية والدينامكية والتي ترى أن النمو ظاهرة خاضعة لمخطط جيني وأنها تتم لأطوار متميزة محدودة متميزة محدودة زمنيا النظرية الانثروبولوجية ترى أن النمو هو صيرورة يمكن أن تتم بتواصل ذلك أن «مارغريت ميد»M. Mead لاحظت خلال دراساتها لقبائل الساموا 1928 Sommoa أن في هذه المجتمعات يمارس الطفل ابتداء من 16 إلى 17 سنة نفس المسؤوليات التي يمارسها الراشدون وذلك دون تدخل أو نقد من قبل هؤلاء واكتشفت (ميد) أيضا أن في هذه المجتمعات،المراهق لا تظهر على شكل مرحلة تغيرات مفاجئة بل على شكل « ازدياد تدريجي للمسؤوليات « قد مارسها الطفل واستطلع عليها مسبقا[22].

وبالنسبة (لميد) المجتمعات المتحضرة هي التي تخلق الضغوطات الجو الذي يجعل من المراهق مرحلة اضطراب إذ أن الفرد الذي الم يعد طفلا ولم يصبح بعد مدركا بالأمكنة والأدوار والمسؤوليات بالإضافة إلى أن الفرد في المجتمعات الحالية مضطر للمشاركة فجأة الانتقالية من دور الى آخر ومن مكانة الى أخرى، و اتخاذ مسؤوليات جديدة هذا التغير الحادث في البيئات والوظائف الاجتماعية قد يشكل ضغط وقد يكون سبب في توتر المراهق.

ثانياً: مجتمع الدراسة الميدانية

أ- **المجال المكاني**: أجريت الدراسة في المركز الوسيط لمعالجة المدمنين» أبو بكر بلقايد« بحي 1100 مسكن بولاية البويرة، و لقد أنشأ هذا المركز في جويلية 2012 بمقتضى المرسوم رقم 261/ 87 المؤرخ في 1 ديسمبر 1967 بطاقم بيداغوجي و إداري [23].

يلعب المركز دورا هاما اتجاه كل الأعمار و خاصة المراهقين منهم حيث يساهم في بناء شخصيتهم من جديد سواء كانوا شاباً أو مراهقين و حتى الإناث منهم و لذلك من الناحية التربوية و النفسية و السلوكية و التعليمية و بالخصوص مرحلة المراهقة كما يستقبل المرضى العقليين و متابعتهم بأطباء أخصائيين في الأمراض العقلية.

كما يوجد أربعة أطباء أخصائيين في الأمراض العقلية و ثلاثة أخصائيين نفسانيين عياديين و مساعدتين اجتماعيتين ، حيث له علاقات كثيرة من كل ولايات الوطن خاصة من الولايات المجاورة ،كما أن للمركز علاقات مع إدارات الأخرى كالدرك الوطني و الشرطة وحتى المستشفيات.

ب- **المجال الزماني** : حيث كان خلال سنة 2013 و بالتحديد بداية من شهر فيفري بعد ما تم الضبط النهائي للإشكالية،بدأنا بملأ الاستمارة 6 أفريل 2014.

ج- **المجال البشري** : ونقصد بهم في بحثنا هذا كل الأشخاص الذين يكون سنهم ما بين 14 إلى أقل من 18 سنة ويتعاطون نوعاً ما من المخدرات.

1- **العينة** : هو نموذج أو جزء أو عدد الحالات من وحدات أو أشخاص مجتمع الدراسة الأصلي تمثله من حيث الصفات و الخصائص ، و تؤخذ منه لفرط دراسة تلك الصفات و الخصائص حيث يعني الباحث عن الدراسة كل وحدات المجتمع ويستطيع من هذا الجزء التعرف على المجتمع ككل [24].

و هو عمل منظم يجري بطريقة علمية يوفر جهد و وقت كبيرين للحصول على النتائج المطلوبة و لا بد من مراعاة عدة أسس عند اختيار العينة [25].

و على اعتبار أن جميع عناصر العينة موجودة في المركز الوسيط لمعالجة المدمنين بولاية البويرة ، فإننا اعتمدنا طريقة المسح الشامل لكامل أفراد العينة.

من المعلوم أن نتائج الدراسة لا تسير وفقاً لأسلوب واحد يمكن أن يتبعه الباحثون، بل وفقاً لأساليب متعددة ومختلفة، ورأينا أنه من أفضل هذه الأساليب هو الذي يتم وفقاً لتساؤلات الدراسة. بناء عليه سنعمد فيما يلي، إلى استعراض نتائج الدراسة استنادا لتساؤلاتها المطروحة سابقاً، بحيث يشكل كل واحد من هذه التساؤلات عنواناً مستقلاً في هذا الفصل.

بلغت عينة دراستنا (50) فرداً وهم جميع الموجودين في المركز، وبالتالي فرضت الدراسة تطبيق المنهج المسحي، وهذا يعود بدوره إلى طبيعة الدراسة التي تهدف إلى الكشف عن آثار تعاطي المخدرات على العلاقات الاجتماعية عند المراهق.

حيث قمنا بأخذ كل الموجودين بالمركز الوسيط لمعالجة المدمنين مشتركون في تعاطي المخدرات و هذه العينة تحمل الجنسين الذكر و الأنثى، فالباحث يحدد حجم العينة و يطلب من المقابل اختيار وحداتها بطريقة و الأسلوب الذي يلائمه[26].

2- المنهج المستعمل في الدراسة :

لقد قمنا بالاعتماد على منهج المسح الاجتماعي في دراستنا و ذلك لملأئمته من لموضوع البحث.

منهج المسح الاجتماعي : يعتمد على وصف الحقائق الراهنة و المتعلقة بطبيعة الظاهرة أو الموقف مع تفسير هذه الظاهرة تفسيرا كافيا و هذا يعني أن البحث الوصفي يهتم بما هو كائن كما ينطوي على عدد من الخطوات أهمها :

جمع البيانات و تلخيصها بعناية ثم تحليلها و استخلاص التعليمات المناسبة التي تؤدي إلى تقدم المعرفة [27].

كما أن المنهج الوصفي يهتم بتصوير الوضع الراهن و تحديد العلاقات و الاتجاهات التي تسير في طريق النمو أو التطور أو التغيير فإنه بذلك يمكننا من وضع تساؤلات عن الأوضاع المقبلة التي ستكون عليها الظاهرة.

حيث أنه يتطلب جمع المعطيات في جداول و رسوم ثم إظهار التغيرات عن طريق توزيع مؤشراتها على جداول و رسوم تبرز خصائصها و تداخلها فالإجابة التي تحصلنا عليها تظهر مختلف حالات المتغيرات ، ذكور ، إناث و كذلك يمكن أن تكون المهنة و لكل منها مؤشرات تدل عليها [28].

3- أدوات و التقنيات جمع البيانات

* **الاستمارة** : أو الاستبيان تحتوي على مجموعة من الأسئلة و الاستفسارات المتنوعة عن الموضوع و التي يجيب عليها البحوث نفسه و بالشكل الذي يعني متطلبات الحصول على البيانات و المعلومات الخاصة بمشكلة البحث إن الإجابة على أسئلة الاستبيان و التي تحدد عددها حسب طبيعة البحث ، تتم من خلال عدة طرق خاصة بتوزيعها و جمعها من المجتمع المبحوث [29].

و للاستبيان أو الاستمارة أسئلة يمكن توظيفها كما يلي :

أ – **الأسئلة المفتوحة** : و تكون أسئلة غير محددة و مفتوحة للتعبير عن رأي المبحوث .

ب– **الأسئلة المغلقة** : و هي التي تكون أسئلة محددة للإجابة بعبارة (موافق أو غير موافق) أو (نعم أو لا) أو التأثير (صح أو خطأ)

ج– **المغلقة و المفتوحة** : و هي تكون أسئلة مزيج بين النوعين .

كما أن الاستبيان أداة فعالة لجمع المعلومات بشكل واسع في العديد من البحوث في الموضوعات الإنسانية و الاجتماعية و العلمية المختلفة ، لما يمتاز به من صفات و جوانب ايجابية نستطيع تحديدها كالأتي :

* الاستبيان يؤمن تشجيع الإجابات الصريحة أو الحرة
* تكون الأسئلة موحدة و متشابكة لجميع أفراد البحث في طريقة الاستبيان لأنها مكتوبة و مصممة بشكل موحد للجميع .
* يستطيع الأفراد المعنيون بالإجابة على الاستبيان و أن يختاروا الوقت المناسب و بضوء فراغاتهم للإجابة على أسئلة الاستبيان.
* يسهل الاستبيان على الباحث جمع معلومات كثيرة جدا ، أي من أشخاص كثيرين و في وقت محدد.

أما المحاور التي تتناولها الاستمارة فهي كالتالي:

المحور الأول: بيانات أولية عن المبحوث:

السن، الجنس، المستوى التعليمي للأب وللأم، مهنة الوالدين، دخل الأسرة

المحور الثاني:البيانات المتعلقة بالمشاكل الأسرية:

مكان العيش، نوعية الرعاية التي يتلقاها المبحوث، المشاكل التي قد يعاني منها، الدافع لتعاطي المخدرات، مع من يتعاطى المخدرات، رد فعل الأسرة نحو تعاطي المبحوث للمخدرات.

المحور الثالث: بيانات متعلقة بالظروف الاجتماعية :

أحد أفراد الأسرة يتعاطى المخدرات، دور الأهل في تعاطي المبحوث للمخدرات، تأثير مكان العيش على تعاطيه للمخدرات، الإحساس بالذنب.

المحور الرابع: البيانات المتعلقة بالظروف الاقتصادية :

عدم تلبية الحاجات الأسرية، محاولة تقليد من هم أعلى من المبحوث في المستوى المعيشي، عدم الحصول على المصروف اليومي من المال.

ثالثاً: النتائج العامة للدراسة

1- عرض نتائج الفرضيات:

من خلال تحليل البيانات والجدول توصلنا إلى النتائج التالية:

أولاً: عرض نتائج الفرضية الأولى المتعلقة بالمشاكل الأسرية تدفع بالمراهق إلى تعاطي المخدرات.

وهي أن معظم متعاطي المخدرات قارب سنهم من 16 إلى أقل من 18 وهذا يدل على سن المراهق التي يمر بها الفرد، ونجد أن أغلبية المتعاطين هم من الذكور حيث وصلت نسبتهم ٪80 وهذا يدل على تحرر الذكر أكثر من الأنثى بسبب العادات والتقاليد، وأن مستوى متعاطي المخدرات هو المستوى الثانوي حيث قدرت بـ ٪40 ويدل ذلك إلى قلة الوعي والدراية الكافية، أما المستوى التعليمي للوالدين بالنسبة للأب فنجد المستوى الابتدائي بنسبة ٪27 أما الأم فهي أمية بنسبة ٪47 وهذا راجع إلى أن العادات والتقاليد التي تمنح الفرص التعليمية للذكور أكثر من الإناث.

ويتضح أيضاً أن الأب عامل واهتمامه بالعمل يجعل الابن يتعاطى المخدرات، وأن عدم عمل الأم جعلها غير قادرة على فرض سيطرتها على الفرد المتعاطي، وأن حجم الأسرة الكبيرة دفعتهم إلى تعاطي المخدرات لعدم قدرة رب الأسرة السيطرة على الوضع، وأن نسبة الإناث أكثر من الذكور في حجم الأسرة حيث مثلت نسبتهم بـ٪93 ، كما يظهر مستوى دخل الأسرة أكثر من 25000 دج وهي أكبر نسبة قدّرت بـ ٪37 وهذا لتعاطي المخدرات.

ويتضح أن معظم المدمنين يعيشون مع الوالدين التي وصلت نسبتهم ٪80، و أن معظم المدمنين يلقون الإهتمام والرعاية من الوالدين بنسبة ٪67 إلاّ أن هذا السبب لم يمنعهم من التعاطي لسبب التجربة.

وأن للمدمنين مشاكل أسرية تجعلهم يهربون منها واللجوء إلى المخدرات حيث أن المشاكل أدت بهم إلى التعاطي بنسبة ٪77، و أنه لا يحس بالأمان والإطمئنان داخل أسرته بنسبة ٪76 وهذا راجع إلى عدم الإستقرار الأسري و أن نسبة ٪47 يتعاطون الحشيش (القنب) ونسبة ٪40 يتعاطون الأقراص وهناك من يتعاطى الكحول مع

الحشيش والاقراص وغيرها من المواد المخدرة وهذا يدل على سهولة جلب المادة السامة، وأن معظم هؤلاء المدمنين يتعاطون المخدرات مع أصدقائهم بنسبة ٪50 وذلك لتكتمل نشوتهم وليحسوا بالثقة بالنفس، و أن معظم الأسر لها العلم الكامل بتعاطي أولادهم للمخدرات بنسبة ٪63، وعدم مبالاتهم بهم وهذا لعدم الرقابة التامة لأولادهم ، وعن ردة فعل الأسرة اتجاه أبنائها المدمنين فـنجد أن نسبة ٪60 منهم حاولوا النهي عن تعاطي أولادهم المخدرات و٪33 تعرضوا للعنف من طرفها و ٪17 لم تبالي بما يفعلون.

ثانياً:عرض نتائج الفرضية الثانية: المتعلقة بأسباب تعاطي المخدرات عند المراهق

من خلال تحليل البيانات والجداول توصلنا إلى النتائج التالية للفرضية الثانية المتمثلة في الظروف الاجتماعية تدفع بالمراهق إلى تعاطي المخدرات .

وجدنا أن معظم المتعاطين ليس لأسرهم علم عن تعاطيهم للمخدرات بنسبة ٪67، و أن الأسرة تنهي أبنائها عن تعاطي المخدرات وأنها تسبب آثاراً نفسية بنسبة ٪47، وعن عدم تأثر المراهق بأحد أفراد العائلة في تعاطيه للمخدرات فقد وجدنا ما نسبته ٪63 ، وأن المراهق المتعاطي للمخدرات يتأثر بالرفاق في تعاطيه للمخدرات بنسبة ٪50 وأن معظم هؤلاء المتعاطين يسكنون في منطقة حضارية بنسبة ٪73، وأن بعض المراهقين المتعاطين يسكنون في أحياء شعبية بنسبة ٪67 ، و أن المكان الذي يسكن فيه المراهق تكثر فيه ظاهرة تعاطي المخدرات بنسبة ٪67 و أن نسبة ٪73 من المتعاطين يفكرون في التخلي عن تعاطي المخدرات، وأن نسبة ٪63 من المراهقين يعتبرون أنفسهم إهانة لأسرهم.

جدول رقم (01): الظروف الاقتصادية السيئة للمراهق المتعاطي للمخدرات

النسبة / الظروف الإقتصادية السيئة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	37	٪74
لا	13	٪26
المجموع	50	٪100

يظهر في الجدول رقم 01 أن أعلى نسبة وهي ٪74 أجابوا بنعم و26 ٪ أجابوا بلا ونفسر ذلك أن نسبة الذين أجابوا بأن الظروف الاقتصادية السيئة هي من أهم المشاكل التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات وذلك أن الفقر والحاجة الشديدة إلى المال في ظل المشاكل الأسرية.

والنسبة الثانية الذين أجابوا بأن الظروف الاقتصادية السيئة ليست من أهم المشاكل التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات ونفسر ذلك أن هناك مشاكل أخرى غير هذه المشكلات الاقتصادية التي تؤدي إلى تعاطي المخدرات ربما قد تكون مشاكل أسرية أو نفسية.

جدول رقم (02): الشعور عند انعدام هذه المادة

النسبة / الشعور عند انعدام هذه المادة	التكرار	النسبة المئوية
ألم في الرأس	32	64٪
لا يحس بشيء	08	16٪
أحاسيس أخرى	12	24٪
المجموع	50	100٪

يظهر في الجدول رقم 02 أن أعلى نسبة هي ٪64 أجابوا بأنهم يشعرون بألم في الرأس ونسبة ٪24 يحسون أحاسيس أخرى ونسبة ٪16 لا يحسون بشيء .

ونفسر ذلك أن المخدرات تؤثر صحيا على المتعاطي وتجعله يطلبها باستمرار دون انقطاع.

جدول رقم (03): مصدر شراء المخدرات

النسبة / مصدر شراء المخدرات	التكرار	النسبة المئوية
بائع المخدرات	22	44٪
سرقة بعض المدمنين على المخدرات	04	08٪
أشخاص لا أعرفهم	09	18٪
أصدقاء	15	30٪
المجموع	50	100٪

يوضح الجدول رقم 03 أن المصدر الذي يمدهم بالمخدرات أعلى نسبة مروج المخدرات بنسبة ٪44 ثم تليها الأصدقاء بنسبة ٪30 ثم تليها نسبة ٪18 لأشخاص لا يعرفهم ثم تليها نسبة ٪8 لسرقة بعض المدمنين على المخدرات.

ونفسر ذلك أن المتعاطي يجد سهولة في الحصول على المخدرات ولا يجد صعوبة في ذلك ونجد أن المتعاطي يحصل على المخدرات من رفقاء السوء والمروجين لها.

جدول رقم (04): الصعوبة التي يتلقاها المراهق في الحصول على المخدرات

النسبة / الصعوبة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	20	40٪
لا	30	60٪
المجموع	50	100٪

يوضح الجدول رقم 4 أن أعلى نسبة هي ٪60 الذين لا يجدون صعوبة في الحصول على المادة المخدرة تليها نسبة ٪40 يجدون صعوبة في الحصول على المادة المخدرة .

ونفسر ذلك أن المتعاطي لا يجد صعوبة في الحصول على المادة المخدرة لأن هذه المادة متوفرة في المجتمع الذي يعيشون فيه.

ثالثاً:عرض نتائج الفرضية الثالثة المتعلقة بالعلاقة بين التفكك الأسري و إدمان المراهق للمخدرات

من خلال تحليل بيانات الفرضية الثالثة توصلنا إلى النتائج التالية المتمثلة في الظروف الاقتصادية السيئة تدفع المراهق إلى تعاطي المخدرات.

حيث وجدنا أن الظروف الاقتصادية السيئة بنسبة ٪73 من المشاكل التي قد تؤدي إلى تعاطي المخدرات وأن معظم المتعاطين يعتمدون على أوليائهم في تلبية حاجياتهم، و أن المراهق المدمن يشعر بألم في الرأس عند انعدام هذه المادة بنسبة ٪63، وأن معظم المدمنين المراهقين يحصلون على المادة المخدرة من مروجي المخدرات بنسبة ٪43، و أنهم لا يجدون صعوبة في الحصول على هذه المادة بنسبة ٪67، فالمتعاطي للمخدرات يقوم بأعمال متنوعة كالسرقة والاحتيال، واللجوء إلى أصدقاء السوء للحصول على المادة المخدرة، فهو لا يهتم بالأعمال التي يقوم بها، فما يهمه هو الحصول على المخدرات فقط لإرضاء رغباته، وهذا كله يدفع بالأسرة إلى وجود مشاكل تؤدي أحيانا إلى التصدع والتفكك خاصة في ظل الظروف الاقتصادية السيئة .

2 – الاستنتاج العام للدراسة:

نستنتج أن متعاطي المخدرات أصبح يهدد أمن واستقرار أسرته وخاصة في ظل الظروف الاقتصادية السيئة، وطغيان المادة على الحياة الأسرية والاجتماعية وأن المتعاطي يمثل عبئا اقتصاديا واجتماعيا يدفع إلى تصدع الأسرة، وإنه خلق مشاكل وآثاراً مختلفة جعلت من الأسرة مكانا غير مستقر ومهدد بالتفكك في أية لحظة، وإنما على المجتمع ككل. مما تسبب في تصدعات وإنحلالات خلقية سارعت من وتيرة تفكك الأسرة والمجتمع في ظل الظروف

الاجتماعية والاقتصادية السيئة، ويمكننا أن نوجز هذه النتائج في النقاط الآتية :

* أن الآثار التي تخلفها الأسرة على المتعاطي عدم الاهتمام والرعاية مما يؤدي إلى التعاطي بسبب المشاكل الأسرية .
* عدم الإحساس بالأمان والاطمئنان للمتعاطي من طرف أسرته.
* إن حاجة المتعاطي إلى المخدر تدفعه إلى ارتكاب العديد من الجرائم والمشاكل كالسرقة والقتل بسبب الظروف الاقتصادية السيئة وذلك لما يقوم من أعمال للحصول على المخدرات في بعض الأحيان وطرق غير شرعية في ظل تدهور المستوى المعيشي .
* مكان العيش له تأثير كبير على إدمان الشخص وذلك بسبب كثرة هذه الظاهرة .
* يقوم المتعاطي بأي شيء للحصول على المخدرات بأي وسيلة.
* سهولة الحصول على المخدرات تؤدي إلى جعل المتعاطي يكثر من استعمال جميع الأنواع.
* للأصدقاء دور كبير في التأثير على بعضهم البعض من خلال التقائهم في أوقات الفراغ، فالصحبة السيئة لها أثر بالغ في تعاطي المخدرات.

مقترحات و توصيات الدراسة:

1- إن ظاهرة تعاطي المخدرات هي مشكلة اجتماعية يعاني منها المجتمع ككل، وبالتالي يجب مشاركة جميع الجهات الرسمية منها و الشعبية في إيجاد هذا الحل وإفساح المجال بشكل ديمقراطي أمام البحث العلمي لأسباب الظاهرة لتشمل كافة الميادين التي تتفرع منها المشكلة

2- إن للظاهرة جوانب متعددة (اجتماعية ، اقتصادية و سياسية) قد أدت إلى وجودها و انتشارها في المجتمع ككل ولابد من العمل بشكل جاد على حل هذه المشكلات المتعددة الجوانب التي يعاني منها المواطن من سكن و توفير العمل المناسب والحريات الديمقراطية و غيرها لتنقية الأجواء و تخلصها من الشوائب التي تشجع على الكثير من الظواهر و الأمراض الأخلاقية والسلوكية السيئة و من ضمنها ظاهرة تعاطي المخدرات .

3- تشكيل لجنة متخصصة من كافة الجهات الرسمية و الشعبية (صحية ، اجتماعية، اقتصادية ، حقوقيين ، مفكرين ، مؤسسات شعبية من أندية و جمعيات مهنية ونسائية ... إلخ)

و ذلك للمشاركة في الكشف عن الأسباب الحقيقية للمشكلة ووضع الحلول بشكل جماعي بحيث تتناول مختلف جوانب المشكلة مع توفير حرية البحث العلمي

ووضع الدراسات العلمية التي تتناول المشكلة من جوانبها الاجتماعية و النفسية ، وتوفير كافة التسهيلات و الضمانات لنجاح عمل اللجنة في القيام بمهامها حتى يتم القضاء النهائي على المشكل في المجتمع .

4- الاهتمام بالتعليم التربوي و إتباع الأساليب التربوية العلمية المتطورة في المناهج التعليمية لبناء جيل المستقبل على قاعدة متينة من الوعي و التربية وإدخال موضوع المخدرات و المؤثرات العقلية في برامج كليات الحقوق و الشرطة .

5-توعية أفراد المجتمع عبر مختلف أجهزة الإعلام للدولة بالأضرار الجسمية ، الصحية و الاجتماعية الناشئة عن تعاطي المخدرات على ضوء ما تسفر عنه نتائج الدراسات و البحوث الاجتماعية و النفسية حول المشكلة

6- القضاء على مشكلة البطالة التي يعاني منها المئات من الشباب بتوفير فرص متكافئة من العمل و الاعتماد على المواطن في البناء الاقتصادي بشكل رئيسي و للعمل على تضييق حدة الاعتماد على الخبرات الأجنبية بتوفير فرص التعليم و التدريب المهني للعمالة المحلية لإحلالهم محل العمالة الأجنبية وفق عملية جذب العمالة الأجنبية إلى المنطقة لإغلاق مكاتب المتاجرة بها .

7- توفير العلاج الصحي و الاجتماعي للمدمنين و المتعاطين الذين يتم ضبطهم وذلك بتوفير المصحات النفسية و مراكز التدريب المهني و التوعية لكسبهم مهن توفر لهم شروط معيشتهم المادية و معيشة أفراد أسرهم بعد فترة العلاج .

8- التوسع في إنشاء العيادات النفسية و تزويدها بأخصائيين نفسانيين واجتماعيين للعمل على تشجيع إقبال المرضى المتعاطين للعلاج بها على أن تبعد هذه العيادات تماما عن الطابع الأمني بحيث يطمئن المريض المتعاطي على أنه لن يكون مراقبا من أجهزة الأمن في الدولة .

9- التأكيد على دور الأسرة في تهيئة الظروف الاقتصادية و الاجتماعية و الصحية لتربية الأبناء على الأسس الأخلاقية السليمة تقيهم من شر السقوط في تعاطي المخدرات و غيرها من الأمراض الاجتماعية الأخرى .

10- منع تسرب المواد المخدرة إلى داخل البلاد و القضاء على تجارها بمعاقبة المروجين و المتاجرين الحقيقيين لها دون تمييز و التستر على الكبار منهم ومعاقبة الضحايا الصغار .

11- العمل على إملاء الفراغ القاتل الذي يعاني منه قطاع الشباب و ذلك بإطلاق الحريات العامة في البلاد ووضع برامج اجتماعية و ثقافية جديرة بتنمية

وعي الشبـــاب و فتح مداركهم ، و توفير كل فرص الإبداع لديهم مـــن خلال النشـــاطات الثقـــافية ، الاجتماعية و الريـــاضية عبر المؤسســـات والجمعيـــات و الأندية الشعبية و المســـارح و غيرها .

خاتمـــــة:

إن ظاهرة تعاطي المخدرات تعتبر انحرافاً يسبب خرقا في القواعد القانونية الأخلاقية والاجتماعية، فيحدث ضرراً لا يمس الفرد وحده بل يتعدى ذلك الأسرة والمجتمع بما يحويه.

وبهذا فالمسؤولية تقع على عاتق الأسرة والمجتمع بمشاركة أفراده ومؤسساته وهياكله التربوية (وسائل الإعلام السمعية، المرئية والمكتوبة) السلطات القضائية، المراكز الصحية والإستشفائية ما دامت إمكانية المعالجة تبعث نفسا جديدا للمدمنين.

ومن جانب آخر لا بد من توعية الأسرة والمجتمع حول أخطار المخدرات وعلى الأولياء مراقبة أبنائهم لا سيما في مرحلة المراهقة وفتح مجال الحوار لهم والإصغاء إليهم للتعرف على رغباتهم ومعاناتهم.

والمخدرات لا تزال تشكل خطرا يتعاظم على مر الأيام، ليصل إلى تحقيق غايته المنشودة والوصول بالمخدرات إلى أيدي الفرد المدمن، هذا الفرد الذي يشكل الخلية الأولى للمجتمع فيحاول تدميره صحيا ونفسيا واجتماعيا ليقضي على كل ما ورثته البشرية من تراث وحضارة.

والشخص الذي ينحدر إلى هاوية الإدمان، ينحرف أخلاقيا واجتماعيا وذلك لما يقوم به من أعمال غير سوية في حالة تعاطيه المخدرّ، وبالرغم من أن المخدر يعتبر نتيجة للتدهور الأخلاقي، إلاّ أنه في نفس الوقت يعتبر سببا لهذا التدهور في القيم وذلك نتيجة لعدم القبول الاجتماعي للمتعاطي، كسلوك غير محترم في بعض الأوساط الاجتماعية، فالمتعاطي يضطر إلى ارتياد أماكن سيئة حتى يوفر المخدر ومن ثم يختلط بذوي السلوك السيئ والسيرة الشائبة، وأغلب حالات الإدمان تؤدي إلى التفكك الأسري وفقدان الروابط داخل الأسرة فالأب المدمن للمخدرات هو شخص غير قادر على تنشئة أولاده تنشئة اجتماعية صحية، فهو غير مدرك لمشكلات أسرته، علاوة على ذلك فهو يفقد احترام أبنائه كرد فعل طبيعي لما يظهر عليه من مظاهر الإدمان، كشخص المفروض فيه أن يعتبر بمثابة القدوة والمثل الأعلى لأبنائه الذين قد يكونون في سن الطفولة أو المراهقة، مما يؤدي بهم إلى الفشل والضياع، خاصة إذا كان هذا الأب عاجزا عن القيام بأعبائه المالية اتجاه أبنائه .

الهوامش

1 – ب، خيرة. جريدة أخبار اليوم الجزائرية الإلكترونية، يوم 11–11–2014www.
121291 /akhbarelyoum.dz /ar /200293

2 – نفس المرجع .

3 – محمد، بن يحي النجيبي . المخدرات و أحكامها في الشريعة الإسلامية، (ط) : الرياض، جامعة نايف العربية، 2005، ص7.

4 – جابر، بن سالم، عبد الرحمن، بن محمد، عقيل، و آخرون . المعجم العربي للمواد المخدرة و العقاقير النفسية، (ط2)، الرياض:جامعة نايف العربية، 2005،ص9.

5 – سعد، المغربي . سيكولوجية تعاطي الأفيون و مشتقاته ، دط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص ص 31، 32.

6 – سعد كريم ، الفقي . المخدرات و الإدمان الظاهرة و العلاج ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 2005 ، ص 9 .

7 – حسين عبد الحميد ، أحمد، رشوان . علم الاجتماع الجنائي، الإسكندرية : المكتب الحديث ، 2005، ص 57.

8 – مصطفى ، سويف. المخدرات و المجتمع، الأردن: سلسلة عالم المعرفة ، ص 17.

9 – حسين ، فهمي . علم النفس المرضي دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 204.

10 – محمد ، لبيب النجيحي . الأسس الاجتماعية للتربية ، بيروت : دار النهضة العربية ، ص 81، 82.

11 – مصطفى ، زيدان . دراسة سيكولوجية للتربية، السعودية : دار الشروق للنشر والتوزيع،. ص 73.

12 – مصطفى ، الخشاب . دراسة في علم الاجتماع العائلي ، بيروت : دار النهضة العربية، 1981، ص51.

13 – محمد أحمد ، مشا قبة . الإدمان على المخدرات : الإرشاد و العلاج العصبي : دار الشروق للنشر و التوزيع ، سنة 2007 ، ص61.

14 – حسين عبد الحميد ، رشوان . الأسرة و المجتمع في علم الاجتماع الأسرة، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، سنة 2003، ص 21.

15 – يوسف ، لأند. قانون الأسرة ، مطبعة عمار قرني : 1973، ص2.

16 – مصباح ، عامر . التنشئة الاجتماعية و السلوك الانحرافي لتلميذ مدرسة الثانوية، دار الأمة الجزائرية ، الجزائر: 2002، ص 160.

17 – صموئيل، مكاريوس . الصحة النفسية و العمل المدرسي ،(ط2)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1982 ص 162 ، 163.

18 – محمد، زيدان . النمو النفسي للطفل و المراهق و نظريات الشخصية، دار الشرق جدة، 1990،ص91.

19 – منيرة، حلمي . مشكلات الفتاة المراهقة و حاجاتها الإرشادية ، القاهرة: دار النهضة العربية، ص198.

20 – نفس المرجع ، ص 108.

21 – محمد، زيدان . مرجع سابق،ص91.

22 – نفس المرجع، ص 105.

23 –أنظر جريدة آخر ساعة الالكترونية، يوم 30/ 06/ 2012، http: //www. akhersaa-dz.com /watani /66132.ht

24 – إبراهيم أحمد ، عبد الغفور. المدخل إلى طرق البحث العلمي ، عمان : دار زهران، 2008، ص 71 .

25 – نفس المرجع ، ص72.

26 – منذر، الضامن . أساسيات البحث العلمي .(ط2) ، الأردن: دار المسيرة ، 2009 ، ص 166.

27 – حسين طه ، مصطفى رجب . مناهج البحث التربوي بين النقد و التجديد ، (ط1)، القاهرة : العلم و الايمان للنشر و التوزيع ، 2008 ، ص 101.

28 – نفس المرجع ،ص103.

29 – إبراهيم أحمد ، عبد الغفور . مرجع سابق ، ص 82.

دار التل للطباعة

رقم الإيداع: 2014–4343

ISSN 2437-0436 ر.د.م.د